

قبائل المغرب
١

زناثة والخلافة الفاطمية

دكتور
حنو سي يوسف إبراهيم
كلية الآداب - جامعة عين شمس

منشور في الطبعة الأولى
مكتبة سعيد رافت
جامعة عين شمس

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٦

بِسْمِ اللَّهِ

الهِ رُوحِ وَالِدِي .. الَّذِي كَانَتْ حَيَاتِهِ عِطَاءً

تقديم

بقلم الاستاذ الدكتور / محمود اسماعيل عبد الرازق

استاذ التاريخ الاسلامي

بجامعة عين شمس

يسعدني أن أقدم لجمهور الباحثين المهتمين بمشكلات التاريخ الاسلامي في بلاد المغرب بحثا جديدا في موضوعه ومنهجه ، وباحثا يستهل عمله الأول بطول باع ورساخة قدم في حقل كان ولا يزال بكرا رغم ما صنف فيه من لدن القدامى والمحدثين .

والموضوع الجديد — وهو رسالة الباحث للماجستير — يتعلق بالتاريخ لقبائل زناتة منذ الفتح العربي وحتى رحيل الفاطميين من المغرب واستقرارهم بمصر ، برغم ما يوحى به العنوان من الاقتصار على دراسة دور زناتة في المغرب ابان الوجود الفاطمي . ووجه الأهمية والجدة في هذا العمل ، موضوعا ومنهجيا أنه يمثل زيادة في مجال الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب الذي اقتصر دور الدارسين لها على الجوانب السياسية والعسكرية . صحيح أن باحثا جزائريا سبق الى ولوج هذا التاريخ للقبائل المغربية في رسالة للدكتوراه عن قبيلة كتامة (١) . وصحيح أيضا أن مؤرخا مثل جوتيه (٢) قد اقتحم ميدان تفسير تاريخ المغرب الاسلامي من خلال منظومة الصراع بين زناتة وصنهاجة . وصحيح أخيرا أن ابن خلدون قد فطن الى التأثير للقبائل المغربية ، لكن الانصاف يدعونا الى اثبات دور الباحث في اختيار موضوعه الذي يعد — شيئا نرى — أكثر الموضوعات ابهاما والغازا في تاريخ المغرب الوسيط برمته . ومرد هذا الالغاز راجع الى أمرين :

(١) راجع : لقبال موسى بن علاوة ، دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية .

(٢) Guaiet, Le Passé de l'Afrique du Nord. Le Siecles Obscurs du Maghreb

المتواترة عن « جوتييه » ومدرسته التي ترى « العصبية » في مفهومها الضيق ، لتفسر من خلالها موقف القبائل المغربية الكبرى من الفاطميين وأمويي الاندلس . ويغفر للباحث تداركه هذا الخطأ عندما تابع دراسة دور زناتة في تاريخ المغرب الى عصر المرابطين ، وذلك في رسالته للدكتوراه .

أما عن اسهامات الباحث في ميدان التحقيق فحدث ولا حرج . فلا يكاد مبحث من مباحث الرسالة يخلو من تصويبات وتصحيحات لأخطاء في أسماء القبائل والبطون وأنسابها وانتماءاتها ، فضلا عن التواريخ واسماء الأعلام والأمكن وما شابه .

وحسبى أن هذا العمل الذي رسخ به الباحث قدمه في ميدان التاريخ الاجتماعي المغربي كان شهادة نبوغ وصك امتياز أثبتته عمله الثانى الذى تشرفت بالاشراف عليه ونال به الباحث درجة الدكتوراه . لذلك لم يكن جزاؤها أن ينال العملين معا أقصى درجات التقدير من لدن لجننتى المناقشة .

أرجو أن يتقبل الدارسون هذا العمل بما يستحق من قبول ، وأرجو للباحث مواصلة المسيرة بذات الحماس والتفوق في أعماله المقبلة ،

أ . د . محمود اسماعيل

تمهيد

مقدمة البحث :

- ١ - تقسيمات الموضوع
- تعريف المصادر

كانت قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية التي سكنت شمالي أفريقيا ، وكان لها الكثير من البطون التي امتدت مضاربها في طولها وعرضا بأقسامها الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى . ولأن مسألة أصول الشعوب مسألة دائما صعبة ، كان أصل زناتة موضوع مناقشة بين المؤرخين القدامى وعلى رأسهم ابن خلدون ، كما أن المؤرخين المحدثين اختلفوا حول ذلك أيضا . ولأن زناتة كانت من أكبر القبائل البربرية ، فقد حدث خلط في كتب المؤرخين قدامى ومحدثين ، فنسبوا بعض بطون البربر الأخرى وقبائلها الى زناتة .

ولقد كانت قبيلة زناتة من أسرع قبائل البربر تحولا الى الاسلام ، فوقفت الى جانب العرب لاتمام فتح المغرب وفتح الأندلس ، ثم اعتنقت مبادئ الفرق الاسلامية المختلفة من سنة وخوارج ومعتزلة ، الا أن الاعتقاد الغالب لافرادها كان مذهب الخوارج والمعتزلة ، فكان هذا الاعتقاد المذهبي المتنوع سببا في اضطراب علاقاتها بالخلافة الأموية التي حاربت الخوارج ، والخلافة العباسية التي وقفت في وجه مذهب الخوارج والمعتزلة ، ولنفس السبب أيضا لم ينجح الفاطميون الشيعة في اكتساب أعوان لهم من بين بطون زناتة .

ولأن زناتة التي كانت من أشد قبائل البربر مراسا وأنفة ، تميل بطبيعتها البدوية الى الاستقلال ، فكانت دائما تتور على السلطة الشرعية ، اذا ما أساء ممثلو هذه السلطة معاملتها ، أو أغمطوها

حقاً منحها الاسلام اياه ، فقامت زناتة بالفتن المتعددة في بلاد المغرب ، متمثلة في فتنة البربر الكبرى التي قادتها زناتة ضد الخلافة الأموية ، ثم استمرت في فتنها على الخلافة العباسية حتى قامت دول خارجية وعلوية مستقلة بأرض المغرب انضمت لها زناتة ، وساندت دول الخوارج بالمغرب لاعتناقها مذهبهم ، ووقفت الى جانب الادارسة ، لما كان لهم من أهداف استقلالية . وفي غضون حكم الادارسة أصبحت لزناتة السيطرة على المغرب الأوسط ، بسبب وجود أقوى البطون الزناتية به ، ولضعف سلطة الادارسة على القبائل بعد اقتسام الدولة بينهم ، فأقامت زناتة به امارات مستقلة .

ويهمنا بطبيعة الحال موقف زناتة من الخلافة الفاطمية بأرض المغرب . فقد اتخذت زناتة موقفاً معادياً للفاطميين بسبب العداء المذهبي في الدرجة الأولى ، وبسبب الخوف على استقلالها بحكم سيطرتها على المغرب الأوسط ، ولأن الخلافة الفاطمية ذاتها اعتمدت على قبائل البرانس ولم تكن زناتة من البرانس ، وإنما من البتر . والعداء قديم ، والاحن والثارات مريرة بين البتر والبرانس اللذين كانت بينهما فوارق اجتماعية واقتصادية ، فغالبية البتر قبائل بدوية ترتحل وراء الانتجاعات ، ومعظم البرانس كانوا أهل زراعة واستقرار ونالوا قسطاً من الحضارة . ولذا ظلت زناتة في صراع دائم مع الفاطميين وأنصارهم من البرانس طوال فترة حكمهم لبلاد المغرب ، كما وقفت حجر عثرة أمام رغبتهم في مد سلطانهم على بقية بلاد المغرب ، فلم يتمكنوا من اخضاع المغرب الأوسط ، وبالتالي المغرب الأقصى ، الا بعد أن شتتوا شمل قبائل زناتة بمساعدة البرانس .

وكان هذا العداء بين زناتة والفاطميين سبباً في تقوية الروابط بين زناتة والأمويين في الأندلس ، فاستغل خلفاء قرطبة الأمويون قبائل زناتة في المغرب في الصراع الذي نشب بينهم وبين الفاطميين ، كما شجع خلفاء بني أمية هجرة القبائل الزناتية الى الأندلس للاعتماد عليهم في جيشهم ، فكان ذلك سبباً في نقص جموع زناتة بالمغرب

وتفتتت قوتها ، مما أضعف مقاومتهم للفاطميين وحلفائهم من البرانس ، فتمكنت صنهاجة أقوى حلفاء الفاطميين من هزيمة زناتة ، وتشريد قبائلها في صحراء المغرب ، بعد أن أخرجتها من مضاربها بالمغرب الأوسط الذي عرف بها .

وقصارى القول ، أن تاريخ زناتة قطعة هامة من تاريخ بلاد المغرب ، وحيث أنه لا توجد دراسة متكاملة عنها فقد اخترنا لفترة من أخصب فترات تاريخها في القرون الأربعة الهجرية الأولى ، وهو موقفها من الخلافة الفاطمية في المغرب (٢٩٦ / ٩٠٩ — ٣٦٢ / ٩٧٣) ، وهي الفترة التي ظل فيها صوت زناتة مسموعا . حقيقة أن بعض كتب المؤرخين ضمت بين صفحاتها بعضا من دور زناتة في تاريخ المغرب ، إلا أن معالجتها لهذا الدور كان من خلال تاريخ المغرب العام أو من خلال تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ولا توجد دراسة تتناول موقفها من الحكم الفاطمي ببلاد المغرب بالذات الذي أختير موضوعا لرسالتنا .

ولقد أمكن بفضل ما جمع من مادة تاريخية دسمة عن هذا البحث أن نقوم بدراسته ، وأن نوزع مادته على الفصول الآتية :

الفصل الأول ، بعنوان : زناتة : بطونها ومضاربها ومذاهبها ، ويتناول تقسيم البربر الى بتروبرانس ، وأصول زناتة كقبيلة بترية أى بدوية ، وما تفرع عنها من بطون ، ومضاربها بأقسام المغرب الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، حيث أن لكل بطن من بطونها مواطن متعددة استقرت بها ، ثم تحولها الى الاسلام بمذاهبه المختلفة ، فقد تعددت المذاهب التي اعتنقتها زناتة على امتداد القرون الأولى ، إلا أن غالبية بطونها كانت على مذهبي الخوارج والمعتزلة .

الفصل الثانى ، بعنوان : دور زناتة السياسى قبل قيام الخلافة الفاطمية ، ويتناول موقف زناتة من فتح العرب للمغرب ، ومساندتها لهم في اتمام هذا الفتح ، ودورها في فتح الأندلس ، ثم موقفها من

من الولاة الأمويين والعباسيين بالمغرب ، وثورتها عليهم حينما أساءوا معاملتها ، ثم دور زناتة في مساندة الدول المستقلة الخارجية والعلوية بالمغرب ، مما مهد لسيطرة زناتة على المغرب الأوسط .

الفصل الثالث ، بعنوان : زناتة وقيام الخلافة الفاطمية ، ويتناول انتشار المذهب الشيعي الاسماعيلي في المغرب ، وقيام الخلافة الفاطمية ، وموقف زناتة الذي اتسم بالعداء ، والاغارات التي شنّها فرسان زناتة على الجيوش الفاطمية ، ووقوف زناتة عقبة أمام محاولات الفاطميين لاختضاع جميع بلاد المغرب ، ومحاولة عبيد الله المهدي حصار مضارب زناتة بالمغرب الأوسط .

الفصل الرابع ، بعنوان : ثورة زناتة الكبرى على الفاطميين ، ويتناول ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتى التى زلزلت أركان الخلافة الفاطمية بالمغرب وأوقفت نشاطهم الخارجى ، التى استمرت فى عهدى الخليفين القائم بأمر الله (٩٣٤/٣٢٢ - ٩٤٥ / ٣٣٤) والمنصور بالله (٩٤٥/ ٣٣٤ - ٩٥٢ / ٣٤١) ، فقد كانت فتنة كبرى لم يحدث لها مثيل من قبل فى تاريخ الفاطميين منذ قيام دولتهم ، اذ استطاع أبو يزيد أن يجمع حوله الكثير من بطون زناتة ، وان اتخذت هذه الفتنة من مذهب الخوارج ستارا ، فانهسا فى حقيقتها إحدى حلقات الصراع بين البتر تنزعهم زناتة ، وبين البرانس من صنهاجة وغيرها ، واستيلاء زناتة على المغربين الاوسط والاقصى من أيدي الفاطميين .

الفصل الخامس ، بعنوان : الصراع بين زناتة وصنهاجة ، ويتناول مراحل الصراع بين هاتين القبيلتين فى أثناء حكم الفاطميين فى المغرب ، حيث اتخذ هذا الصراع مظهر التأييد للفاطميين من قبيلة صنهاجة ، وموقف العداء لها من قبل زناتة ، وكيف أن الخليفة الفاطمى استغل هذا الصراع فى القضاء على مقاومة زناتة أقوى القوى المناوئة للفاطميين بين قبائل البربر ، ونجاح الفاطميين بمساعدة صنهاجة من طرد بطون زناتة من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى ثم تشريدها من المغرب الأقصى الى الصحارى .

الخاتمة : وتتناول ما توصلت اليه من نتائج في هذا البحث من تفرق كلمة زناتة وعدم اجتماعها حول زعامة واحدة وأسباب الموقف العدائي الذي اتخذته بطونها تجاه الخلافة الفاطمية ، ونتيجة هذا الموقف على كل من الفاطميين وزناتة ، اذ كان هذا العداء سببا في عدم سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب ، كما كان سببا في تشريد قبائل زناتة من المغربين الأوسط والأقصى .

ولقد اعتمدت في بحث هذا الموضوع على كل ما أمكن الحصول عليه من المصادر والمراجع المختلفة ، قسمتها حسب خطة تقوم أساسا على تقسيمها الى مصادر عامة واقليمية ، رتبت العامة منها على حسب أقدميتها ، أما الاقليمية فرتبت حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث ، وان كان أغلب مصادر البحث كتابية ، إلا أنه قد توفرت له بعض مصادر لها أهمية خاصة .

فمن حسن الحظ توجد بعض الوثائق (١) التي تهتم بموضوع بحثنا ، متمثلة فيما ورد في كتاب سيرة جوذر ، والتي عاصرت فترة الحكم الفاطمي في شمالي أفريقيا ، اذ هي رسائل متبادلة بين الخليفين الفاطميين المنصور بالله ، والممزر لدين الله ، وبين الكاتب جوذر الذي كان يمثل الشخصية الثالثة في الدولة الفاطمية بمعد الخليفة وولي العهد (٢) ، وقد أورد جوذر هذه الوثائق بنصها ولفظها الدقيق على حسب قوله (٣) ، ولا غرو فقد كان جامع هذه الوثائق كاتباً لجوذر نفسه ، وكان جوذر يستحفظه على ما يجري بينه وبين الخلفاء الفاطميين من الأسرار « مما تضمنته التوقيعات وجرت به المشافهات والكتب الواردة عليه من كل الجهات » (٤) ، حسبما ذكر لنا ذلك .

(١) عن أهمية الوثائق في البحث التاريخي ، انظر ماجد مقومة ، ص ٢٠ .

(٢) انظر : شميرة ، ومحمد كامل حسين ، محققا ، سيرة جوذر ،

ص ٢ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) جوذر ، ص ٣٣ ، وقد أطلق على المراسلات في الدولة الاسلامية أسماء مختلفة منها : كتاب ، وثيقة ، سك ، سند ، سجل ، ظهير ، وكان الفاطميون يفضلون استخدام كلمة ظهير أثناء فترة حكمهم في المغرب ، وكلمة سجل بعدهم

وهذه الوثائق قد أمدتنا بوصف نادر للمعركة التي انتصر فيها المنصور بالله الخليفة الفاطمي الثالث على أبي يزيد أحد زعماء زناتة في فترة الحكم الفاطمي للمغرب ، بل حددت تاريخاً للمعركة غير ما أجمعت عليه المصادر الأخرى . كذلك توجد في كتاب جودر وثائق أخرى لها أهميتها ، تتناول حملة جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي على المغرب الأقصى لاسترداده من أيدي زناتة ، وأسباب الخلاف بين جعفر بن علي الأندلسي الذي كان من أهم الشخصيات في الدولة الفاطمية بالمغرب وبين الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، مما كان سبباً في خروجه على الخلافة الفاطمية وانضمامه إلى زناتة .

أما عن السكة فلا يوجد منها ما هو خاص بقبيلة زناتة ، لأنها لم تستطع إقامة دولة مستقلة . وإن كان لها أمارات ضعيفة السلطة قبيل قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ، إلا أن الخلافة الفاطمية كان لها عملاتها الخاصة بها ، وقد أمكننا الاستفادة منها في تأكيد بعض الحقائق الغامضة ، إذ أوضحت العملة التي ضربها الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧/٩١٠ (٥) أنه لم يتخذ

انتقالهم إلى مصر ، أما خطابات التولية أو التعيين فقد اتخذت أسماء أخرى منها :بيعة ، وعهد ، وتقليد ، وتقويض ، ومرسوم ، وتوقيع ، ومنشور ، ولم تكن هذه الأسماء متساوية الدرجة ، فالعهد للوظائف الهامة رفيعة الدرجة ، أما التوقيع فلتعيين صغار الموظفين ، والتوقيع يعنى امضاء الحاكم أسفل الوثيقة ، انظر . *Ency of Isl (Art Diplomatic 2ed. t2, PP.*

302-303 . وكانت الرسائل تعرف باسم الكتب أو المكاتبات ، لذا وجد ديوان عرف باسم ديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات . وقد عرف هذا الديوان في العصر الفاطمي أيضاً ، وعرف بديوان الانشاء ، وقد قسم هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، وأقسام أخرى صغيرة ومن الأخيرة ما عرف بقسم المكاتبات إلى أمراء الدولة وكبرائها ، انظر *Ency of Isl (Art Diplomatic 2ed t2, P. 328.* وحيث أن جامع الوثائق في كتاب سيرة جودر لم يذكر لنا اسم الديوان الذي خرجت منه هذه الوثائق ، فربما كانت قد خرجت من القسم الخاص بالمكاتبات إلى أمراء الدولة وكبرائها .

(٥) انظر . Lane-Poole, Catalogue of the collection of Arabic

Lane Poole, Catalogue of the collection of Arabic

فيها لقب أمير المؤمنين حين مبايعته ، في حين وجد هذا اللقب على عملة أخرى ضربت سنة ٩١٣/٣٠٠ (٦) ، كما أن هاتين العملتين خاليتين من عقيدة الشيعة مما يوضح لنا أنه ربما أراد أن يتدرج في تحويل رعاياه الى مذهب الشيعة ولا يعلنه صراحة منذ البداية . كما أكدت أول عملة ضربها المنصور بالله وذلك في عام ٩٤٧/٣٣٦ (٧) أنه أخفى موت والده القائم بأمر الله ، ولم يتخذ لقب الخلافة ولم يغير البنود أو العملة حتى قضى على ثورة أبي يزيد مخذ الزناتى ، اذ كان المفروض أن تكون أول عملة للمنصور مؤرخة بسنة ٩٤٥/٣٣٤ وهي السنة التي توفي فيها القائم وتولى المنصور السلطة . أما الدينار الذي ضرب في عهد المعز وليس عليه عقيدة الشيعة (٨) فيؤكد من جديد أن الفاطميين لم يريدوا فرض مذهبهم قسرا على رعاياهم ، ولا سيما أن آثار ثورة أبي يزيد لم تكن قد اختفت نهائيا .

وقد تناولت بعض المصادر العامة المغرب الاسلامى كولاية من ولايات العالم الاسلامى ولذلك لم تهتم هذه المصادر بتاريخ القبائل البربرية بما فيها قبيلة زناتة ، وانما تكلمت عن تاريخ المغرب الاسلامى عامة ، كما أن معظم مؤرخى هذه المصادر مشارقة ، فنظروا الى سكان المغرب نظرتهم الى المتمردين على السلطة الشرعية لكثرة ما قاموا به من فتن وثورات في وجه الخلافة المشرقية . الا أن ذلك لا يقلل من أهمية هذه المصادر ، اذ أمدتنا بمعلومات ذات قيمة ودلالة كبيرة بالنسبة لموضوع البحث ، كما أعانتنا على تفهم تاريخ العالم الاسلامى في تلك الفترة حيث أن المغرب جزء منه ، بالاضافة الى أن مؤلفى أغلبها اعتمدوا على كتابات المغاربة التي فقدت ، كما أن بعضها يصل في أهميته الى مرتبة المصادر الاقليمية وربما فاقها بما أمدنا به من معلومات عن تاريخ قبيلة زناتة وما احتواه

(٦) أنظر . Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum, Vol. 4, P. 2.

Ibid, P. 5.

(٧)

(٨) أنظر . ماجد ، ظهور الخلافة ، الطبعة الثانية .

(م ٢ - زناتة والخلافة الفاطمية)

من تفاصيل لم تذكرها المصادر الاقليمية • والمصادر العامة بعضها يتناول الأحداث التاريخية والأخرى الجغرافية ، وقد رتبنا أهم المصادر تاريخية ثم جغرافية حسب قدمها •

كتاب جمهرة أنساب العرب (٩) لابن حزم (ت ٤٥٦ / ١٠٦٣) ،
وهو أهم كتب الأنساب وأوثقها ، والمصدر الذي اعتمد عليه ابن خلدون وغيره من المؤرخين والجغرافيين في تحقيق أنساب القبائل البربرية ، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن أصول زناتة وتشعب بطونها ، وبعض مضاربها ، كما أمدنا بمعلومات أخرى عن المذاهب الدينية التي اعتنقتها بطون زناتة •

ثم نذكر كتاب الكامل في التاريخ (١٠) لابن الأثير (ت شعبان سنة ٦٣٠ / سنة ١٢٣٣) (١١) الذي أمدنا بمعلومات عن مقاومة الكاهنة الزناتية للفتح الاسلامي في بلاد المغرب ، ومعلومات عن دور زناتة في فتن البربر ضد الخلافة الأموية والعباسية ، ورتب أحداث هذه الفتن ترتيبا دقيقا وفي اختصار • وقد انفرد ابن الأثير بذكر أسماء وتواريخ ومعلومات عن ثورة أبي يزيد مخلص الزناتى لم ترد في أى مصدر آخر من المصادر التاريخية السابقة أو اللاحقة ، كما أمدنا بمعلومات ذات أهمية خاصة عن الصراع بين زناتة وصنهاجة ،

(٩) تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ١٩٦٢ ، وابن حزم شغل عدة مناصب سياسية في الأندلس مما أتاح له فرصة الاطلاع على مآكنته سابقوه من المغاربة من أمثال محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، (ابن حزم جمهرة ، ص ٤٩٥) وقد اعتبر كتاب ابن حزم أهم مصدر للأنساب ، خاصة وأن العلماء العارفين بأنساب زناتة وأخبارها وأثارها كانوا قد هلكوا ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣) . . .

(١٠) طبعة سنة ١٨٧٣ م •

(١١) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٣٤٨ ، ويعتبر ابن الأثير أحد المؤرخين المشارقة القليلين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بنفصيل ، وذلك لأنه اعتمد في كتاباته على تأليف الثقات من المؤرخين المغاربة كما ذكر ذلك بنفسه مرارا ، ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، ٤ ص ٢٢٨ ، انظر •

Sauvaget, Introduction to the History of the Muslim East, P. 217.

وخلاصة القول ان الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ من كتاب الكامل تعتبر من أهم مصادر البحث .

ونذكر كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٢) لابن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) الذى أمدنا بمعلومات عن ثورة أبى يزيد الزناتى ، وأخرى عن الصراع بين جعفر بن على الأندلسى الذى كان شخصية هامة بالنسبة للفاطميين ، وبين زعيم صنهاجة الذى ناصر الفاطميين فى صراعهم مع زناتة ، ما كان سببا فى خروج جعفر هذا على الخلافة الفاطمية وانضمامه الى زناتة ، بالإضافة الى ما ذكره عن سنن توليه ووفاته الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، كما حفظ لنا وصية المعز لدين الله الفاطمى الى بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة ونائب المعز فى حكم المغرب ، والتى أوصاه فيها بالفيل من زناتة .

وكتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب (١٣) للنويرى (ت سنة ٧٣٢ / ١٣٣٢) (١٤) أمدنا بمعلومات هامة لا سيما الجزئين الثمانى والعشرين ، والسادس والعشرين ، وكلاهما لا يزال مخطوطا ، عن فتن زناتة ضد الولاة العباسيين ، وأخرى عن انتشار الدعوة الاسماعيلية الفاطمية بالمغرب حتى قيام الخلافة الفاطمية ، أما أهمية كتابات النويرى فترجع الى ما أمدنا به من معلومات فريدة عن بداية ظهور صنهاجة كقوة لها وزنها فى المغرب ، والمعلومات الوافية عن أصول الصراع بين زناتة وصنهاجة ، ومدى تقدير الخليفة الفاطمى المعز لذين الله لدور زعيم صنهاجة بعد هزيمته لزناتة وقتل الكثير من فرسانها

(١٢) بدون تاريخ

(١٣) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(١٤) انظر ، أحمد عبد الرازق ، دراسات فى المصادر الملوكية المبكرة ص ٣٢ ، ومما يزيد من أهمية كتابات النويرى أنه اعتمد فى الجزء الخاص بتاريخ المغرب من كتابه على ماكتبه الثقات من المؤرخين المغاربة مثل الرقيق مؤرخ افريقية الأول ، ومحمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، وقد فقت كتاباتهما ، انظر ، المنحى الكمى ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٩ .

الا أن النويري لم يهتم بأحداث ثورة أبي يزيد الزناتى • ولأهمية كتابات
النويري عن المغرب فقد ترجم المستشرق De Slane الجزء الخاص
بتاريخ المغرب تحت عنوان : Histoire de Berberes

وكتاب كنز الدرر وجامع الغرر (١٥) لابن أبيك الدوادارى (ت بعد
سنة ٧٣٦/١٣٧٦) (١٦) ولا سيما الجزء السادس منه أمدنا بالروايات
المختلفة حول نسب الفاطميين ، كما أمدنا بتاريخ تولية الخلفاء
الفاطميين بالمغرب وسنى وفاتهم ، بالإضافة الى بعض المعلومات عن
تاريخ الفاطميين بالمغرب متواترة عند غيره من المؤرخين •

ثم كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (١٧)
للمقرئى (ت ٨٤٥ / ١٤٤١) الذى أمدنا بمعلومات عن انتشار
المذهب الاسماعيلى الفاطمى بأرض المغرب وقيام الخلافة
الفاطمية بعد قضائها على الدول المستقلة هناك ، كما أمدنا بمعلومات
هامة عن ثورة أبي يزيد الزناتى على الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن
الصراع بين زناتة ومنهاجة أثناء حكم الفاطميين فى شمالى افريقيا •

ونذكر كتابه الآخر البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب (١٨)
الذى أمدنا فيه ببعض المعلومات عن أصل زناتة ، وأسماء بعض
بطونها ، أما أهمية الكتاب فترجع الى أن مؤلفه ذكر جميع أسماء
القبائل البربرية التى صاحبت الجيش الفاطمى لفتح مصر ، والننى جاءت
الى مصر بعد الفتح ، ولم يذكر ضمن هؤلاء قبيلة زناتة أو أحد
بطونها ، مما يؤكد عدم خضوع زناتة للفاطميين أو انضوائها تحت
رايتهم •

(١٥) الجزء السادس ، تحقيق صلاح المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ م •
(١٦) لا يعرف متى ولد ابن أبيك أو سنة وفاته ، وكل ما عرف عنه انه بدء
فى كتابة تاريخه سنة ٧٠٩/١٣٠٩ وانتهى منه سنة ٧٣٦/١٣٣٦ ، انظر ،
أحمد عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ •
(١٧) تحقيق جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨ •
(١٨) تحقيق عبد المجيد عابدين ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ •

وكما توجد كتب تاريخية عامة توجد كتب جغرافية عامة أيضا لها أهميتها بالنسبة لموضوع البحث ، اذ قام الجغرافيون المسلمون برحلات متعددة جابوا فيها أقطار العالم الاسلامي ، ولم يقصر الجغرافيون المشاركة رحلاتهم على بلاد المشرق ، وانما جالوا في أرض المغرب أيضا ، وان اقتصر بعضهم في كتاباته عن شمالي افريقيا على ذكر البلدان وذكر المسافات بينها ، فان آخرين منهم أمدونا بمعلومات هامة عن طبيعة بلاد المغرب وأحوالها وعادات قبائل زناتة وتقاليدها ومضاربها ، « وذكر الأحوال العامة للأمصاير أسس تنبنى عليها كتابة التاريخ » (١٩) . كما أن هذه المصادر الجغرافية لم تخل من بعض المعلومات التاريخية الهامة والفريدة في بعض الأحيان ، بالاضافة الى أن بعضهم قد تعرض للحياة القبلية للقبائل البربرية . وان اقتصر بعض الجغرافيين المشاركة على ذكر بلدان المغرب والمسافات بينها فان آخرين من المغاربة لم يكتبوا عن مواطنهم ، وانصب كل اهتمامهم على بلاد المشرق الاسلامي التي خرجوا اليها للحج أو الرحلة ومن هؤلاء المغاربة ابن بطوطة وان جبير . وقصارى القول ، ان دراسة جغرافية المغرب ضرورية ولازمة لمن يهتم بدراسة تاريخ القبائل البربرية ، لما للبيئة الجغرافية من أثر على حياة القبائل ، ولأن الحياة القبلية كانت عصب تاريخ المغرب في العصور الوسطى . ومن المصادر الجغرافية العامة نذكر

كتاب البلدان (٢٠) لليعقوبي (ت ٢٨٤ / ٨٩٧) (٢١) أفادنا في تحقيق أنساب بعض البطون الزناتية ، وأعاننا على تحديد مضارب

(١٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٠ .

(٢٠) الطبعة الثالثة ، النجف ، ١٩٥٧ م .

(٢١) انظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٤ ص ٢٣٦ ، ومن الجدير بالذكر أن أهمية كتابات اليعقوبي ترجع الى أن وصفه لبلاد المغرب كان اعتمادا على مشاهداته الخاصة ، اذ اقام ببلاد المغرب ، ولأن اقامته ببلاد المغرب كانت قبيل قيام الخلافة الفاطمية هناك ، انظر ، متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ٣ - ٤ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٤ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

هذه البطون ، وهو تحديد لم يسبقه اليه أحد غيره من المؤرخين مشاركة أو مغاربة ، وقد أمدنا بمعلومات عن مذاهب بعض بطون زناتة . انفرد اليعقوبي بمعلومات غاية في الأهمية عن أسارات زناتية قامت بأرض المغرب الأوسط ، وظلت على حالها حتى قضت الدولة الفاطمية بعد قيامها على استقلالها .

ثم نذكر كتاب صورة الأرض (٢٢) لابن حوقل (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) الذي عاصر مؤلفه الفترة التي يهتم بها البحث ، ووصف بلاد المغرب وصف شاهد عيان ، فأمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة مع تحديد مضاربها تحديدا بالغ الدقة ، كما أجمل ابن حوقل أسماء الكثير من بطون زناتة . وقد أمدنا ابن حوقل ببعض المعلومات التي ساعدتنا في تصحيح بعض الأخطاء التاريخية التي أوردتها الكثير من المؤرخين عن أنتقال اسماعيل المنصور بالله الخليفة الفاطمي الثالث الى عاصمته الجديدة المنصورية ، كما أمدنا ابن حوقل بمعلومات عن ثورة أبي يزيد مخلد الزناتي ، الا أنها يجب أن تؤخذ بحذر لأن ابن حوقل شيعي المذهب (٢٣)

وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٢٤) للمقدسي (ت ٣٧٨ / ٩٨٨) (٢٥) أمدنا بمعلومات عن مضارب بعض بطون زناتة بالمغرب الأقصى ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهي عن المكابيل التي استخدمت في المغرب في الفترة التي قامت فيها الخلافة الفاطمية بحكم المغرب ، الا أن بالكتاب بعض الأخطاء التاريخية اذ ينسب بناء عدوة الأندلسيين بمدينة فاس الى خلفاء بني أمية بقرطبة ،

(٢٢) طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

(٢٣) ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٤ ، ٧٣ ، (انظر ، محمد الطالبي ، تاريخ قفصة ، ص ٩٠) ، ويعتبر البعض أن كتاب ابن حوقل هو الذروة فيما بلغه المغرب في وصف البلدان ، وأن ابن حوقل كان باحثا يتحرى الدقة والتحصيل فيما ينهل ، (انظر ، متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ٨٤) .
(٢٤) الطبعة الثالثة ، لندن ، ١٩٠٩ .

(٢٥) يعتبر البعض أن المقدسي من الجغرافيين الثقات لا يروى الا ما رأى أو سمع عن الثقات ، (انظر ، الطالبي ، تاريخ قفصة ، ص ٩١) .

وحقيقة الأمر أن الأدارسة هم الذين أنشئوا مدينة لاس بعدوتيتها قبل أن يتخذ حكام قرطبة الأمويين لقب الخلافة بما يقرب من قرن من الزمان .

وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (٢٦) لمؤلف مجهول (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) (٢٧) أمدنا بمعلومات وأفية عن مدن وقرى كل قسم من أقسام المغرب الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، مما ساعدنا على دراسة ثورة أبي يزيد الزناتى على الفاطميين ، بالإضافة الى ما ذكره من معلومات عن هذه الثورة . كما أمدنا بمعلومات عن مدينة افكان التى أنشأتها زناتة وخربها الفاطميون . ثم قيام زناتة بتجديدها مرة أخرى بمساعدة أموى الأندلس .

وكتاب معجم البلدان (٢٨) لياقوت الحموى (ت ١٢٢٩/٦٢٦) (٢٩) أمدنا بمعلومات عن صفات البربر عامة ، وأخرى عن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب ، كما أمدنا بتفاصيل هامة عن معاملة أبي يزيد الزناتى لأهل المدن بعد أن استولى عليها من الفاطميين . أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهي عن بناء مدينة أشير التى أقيمت لتكون مركزا لتجمع قبيلة صنهاجة ، ولتكون حاجزا أمام هجمات زناتة على ممتلكات الخلافة الفاطمية بالمغرب . وقد أمدنا أيضا بمعلومات عن مضارب بعض بطون زناتة بالمغرب وأسماء مدن بالأندلس حملت اسم زناتة ونسبت إليها ، مما يؤكد مشاركة زناتة في فتح الأندلس ، وهجرة بطون زناتية اليها مع الفاتحين وبعد الفتح أيضا .

(٢٦) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨م .
(٢٧) لم يعرف مؤلف الكتاب أو سنة وفاته ، الا ان المعلومات الواردة بالكتاب تدل على أن كاتبه مغربى الاصل ، وأنه كان يعمل في ديوان أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك لما في الكتاب من تفصيلات عن مدن المغرب (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١١٣) .
(٢٨) تصحيح محمد أمين الخانجي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،

ثم نذكر كتاب **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (٣٠) لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٨ / ١٣٤٧) (٣١) الذي أمدنا بمعلومات عن أسماء بعض بطون زناتة ومضاربها ، وأخرى عن حياتهم الاجتماعية وقيامهم بالانغارة ، بالإضافة الى معلومات توضح مدى فروسية رجال زناتة وشجاعة فرسانها •

والمصادر الاقليمية متنوعة في مادتها ، فمنها التاريخية والجغرافية والطبقات والتراجم ، وهذه المصادر تعتبر أهم مصادر البحث على الاطلاق ، فقد كتب معظمها مؤرخون عاشوا في بلاد المغرب ، فعرفوا طبائع سكانه وحياتهم ، ولذا أمدونا بالكثير من التفاصيل عن الحياة الاجتماعية والسياسية للقبائل البربرية ، كما أمدونا بالمعلومات التي ساعدتنا على معرفة دور زناتة في تاريخ المغرب وموقفها من الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن بطون زناتة ومذاهبها وأعلامها ، ولأن زناتة كانت أكبر القبائل البربرية عددا وأوفرها بطونا ، وأكثرها مشاركة في أحداث المغرب ، فقد نالت أكبر قسط من اهتمام المؤرخين والجغرافيين المغاربة • وخلاصة القول ان مؤلفي هذه المصادر كرسوا كل جهدهم لكتابة تاريخ المغرب الاسلامي وحده ، ولم يشتموا جهدهم في كتابة تاريخ كل ولايات العالم الاسلامي ، فخرجت كتاباتهم عن قبائل المغرب أكثر دقة وتفصيلا ، ولأن هذه المصادر تمثل العمود الفقري للبحث ، ولأنها تتفاوت في القيمة رتبنا تاريخية ثم طبقات ثم جغرافية كل حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث وليس حسب قدمها ، ومنها نذكر :

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (٣٢) لابن خلدون (ت ٨٠٨ /

(٣٠) مخطوط بدار الكتب المصرية ، الجزء الخامس ، رقم ٤٣٧٦ ج •
(٣١) كان العمري في معرفته « بالمسالك والممالك وخطوط الاقاليم والبلدان وخواصها امام وقته » (ابن شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ، ١ ص ٧ ، طبعة القاهرة ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م) •
(٣٢) طبعة بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات •

١٤٠٦ (٣٣) الذي يعتبر العمود الفقري لموضوع البحث ، وذلك لأن ابن خلدون من أول من اهتم بتاريخ القبائل البربرية ، فقد أفرد الجزئين السادس والسابع من كتابه العبر لتاريخ قبائل المغرب ، بالإضافة الى مذكره من تاريخها في اجزاء أخرى من كتابه حينما تناول تاريخ الدول التي قامت بالمغرب ، ويعتبر الجزآن اللذان أفردهما ابن خلدون لتاريخ قبائل المغرب أنفس اجزاء كتابه العبر ، وأقواها عرضاً وتحقيقاً (٣٤) . ومن هذين الجزئين خصص ابن خلدون جزءاً كاملاً وهو السابع لتاريخ قبيلة زناتة ، تكلم فيه عن أصلها وبطونها ومضاربها ومذاهبها وتاريخها ، فانفرد ابن خلدون بالكثير من المعلومات الهامة عن زناتة ، وان كان يؤخذ عليه ما في كتاباته من أخطاء تاريخية كثيرة ، وكذلك التضارب في ذكر الحادثة التاريخية الواحدة وتاريخ حدوثها ، اذ يذكرها في أكثر من موضع بأكثر من تاريخ ومع اختلاف في الأحداث (٣٥) الا أن ذلك لا يقلل من قيمة وأهمية كتابات ابن خلدون بالنسبة لموضوع البحث . وقصارى القول ، ان ما أمدنا به ابن خلدون من معلومات ساعدتنا في كل فصل من فصول البحث بل كانت صاحبة النصيب الأوفى في كل الفصول ، مما لا يمكننا أن نعرض لما استفدناه من الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ من كتاب العبر في سطور أو حتى في صفحات .

ثم نذكر المقدمة (٣٦) لكتاب العبر التي أمدنا فيها ابن خلدون

(٣٣) نشأ ابن خلدون في بيئة علمية ، واشتغل بالسياسة ، وتقلب في خدمة الدول التي قامت على أرض المغرب ، فكان مركزه الاجتماعي والمناصب العليا التي شغلها ، مما الوسيلة التي اتاحت له الاطلاع على أمهات تاريخ المغرب ، وكان علمه وملكه المؤرخ العبقري الموهوب مما ساعده في الاستفادة من هذه المصادر ، (انظر ، على عبد الواحد ، ابن خلدون ، ص ٤٠ وما بعدها ، عنان ، ابن خلدون ، ص ٦١ وما بعدها ، الجابري ، المصيبة والدولة ، ص ١٩٠) .

(٣٤) انظر ، عنان ، ابن خلدون ، ص ١٣٢ .

(٣٥) وضع ابن خلدون منهاجاً لكتابة التاريخ في مقدمته ، الا انه لم يطبق هذا المنهج فيما كتبه من تاريخ في كتابه العبر ، (انظر ، الجابري ، المصيبة والدولة ، ص ١٩٠) .

(٣٦) طبع بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٥ .

بمعلومات عن نسب الفاطميين وأخرى عن بطون زناتة وصراعاها بعضها مع بعض ، مما فتت من وحدتها وضعف من قوتها ، إلا أن أهم ما أمدنا به هو دراسته للعصبية القبلية التي ساعدتنا في دراسة ثورة البربر الكبرى التي قادتها زناتة ، وثورة أبي يزيد الزماتى على الخلافة الفاطمية ، وفي دراسة الصراع بين زناتة وصفهاجة . فان كانت دراسة ابن خلدون للعصبية القبلية ليست بقانون عام يصدق على كل زمان ومكان إلا أنها أصدق ما تكون على قبائل البربر ، لأن ما استنبطه ابن خلدون من نظريات في مقدمته كان نتيجة دراسته لتاريخ المغرب (٣٧) ، ولأنه كان يدرك روح مواطنيه من البربر ادراكا صادقا ، فجاءت احكامه عن القبائل البربرية صادقة كل الصدق (٣٨) ، ومما يزيد من أهمية كتابات ابن خلدون عن العصبية بالنسبة لموضوع البحث ، أنه لا يفتأ يذكر زناتة كلما أراد الاستدلال على شيء أو تأكيده ، وكأنه استقى نظرياته عن العصبية من دراسته لتاريخ بطون زناتة .

ثم كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (٣٩) لابن عذارى (ت بعد سنة ٧٢١/١٣٢١) (٤٠) الذي أمدنا بالكثير من المعلومات التي يصعب عدها ، اذ يعتبر ماكتبه ابن عذارى من أهم مصادر البحث (٤١) ، بعد كتابات ابن خلدون ، ومما أمدنا به من معلومات ما ذكره

(٣٧) انظر ، سعد زغلول ، المغرب ، ص ١٧ م .

(٣٨) انظر ، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ١٠ .

(٣٩) الجزء الأول نشر بروفنسال وكولان ، ليدن ١٩٤٨ م ، الجزء

الثاني ، نشر دوزي ، ليدن ١٨٤٩ م ، الجزء الثالث ، نشر بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ م .

(٤٠) لم تعرف سنة وفاة ابن عذارى على وجه التحديد ، ولكن المؤكد انه الف كتابه سنة ٧٢١/١٣٢١ ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٩) .

(٤١) يجمع الدارسون لتاريخ المغرب على أن كتاب ابن عذارى أهم مصادر تاريخ المغرب رغم تأخره النسبي ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٠٠ ، سعد زغلول ، المغرب ، ص ١٢ م ، الكسبي ، محقق تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٧ ،

عن الأعداد التي شاركت في إحدى فتن البربر مبيّنا أن أكثر من ثلثي البربر الذين شاركوا في هذه الفتنة كانوا من قبيلة زناتة . وينفرد ابن عذاري بمعلومات هامة ودقيقة عن الصراع بين زناتة والخلافة الفاطمية بعيد قيامها بالمغرب ، مما يبين أن زناتة أعلنت عداؤها للفاطميين منذ بداية وجودهم بالمغرب ، كما انفرد أيضا بتفاصيل هامة عن ثورة أبي يزيد الزناتى على الخلافة الفاطمية ، إلا أنه أغفل بعض الأحداث الهامة للثورة ، كما اضطربت روايته لها ، وانفرد أيضا بذكر أسماء أمراء وقواد زناتة الذين شاركوا في الصراع ضد الفاطميين وصنهاجة . هذا إلى جانب متابعتة لهجرة البطون الزناتية من المغرب إلى الأندلس ، مما كان سببا في نقص جموع زناتة بالمغرب وبالتالي ضعف قوتها . وخلاصة القول أن ماكتبه ابن عذاري يعتبر أقرب مصادر تاريخ المغرب إلى التّكامل ، ولأهميته قام المستشرق E. Fagnan بترجمة الجزء الأول منه تحت عنوان *Histoire de l'Afrique du Nord et del'Espagne* (1901 - 1904).

وكتاب **مفاخر البربر** (٤٢) وهو مجهول المؤلف (ت بعد سنة ١٣١٢/٧١٢) (٤٣) أمدنا بمعلومات عامة عن بعض بطون زناتة ومضاربها أما أهمية الكتاب فتجىء من ترتيبيه لأحداث الصراع بين زناتة وصنهاجة ترتييا يختلف عن غيره من المؤرخين ، كما أضاف أسبابا أخرى لخروج جعفر بن علي الأندلسي على الفاطميين وانضمامه إلى زناتة ، وقد انفرد مؤلف الكتاب بذكر بعض التفاصيل عن غزوة بلكين بن زيري زعيم صنهاجة الأخيرة للمغربين الأوسط والأقصى ، والتي شئت فيها شمل قبيلة زناتة ، وأخرجت من مواطنها إلى صحارى المغرب . وفيما عدا ذلك فإن ما ذكره من أحداث تاريخية متواتر عند الكثير من المؤرخين .

(٤٢) نشر ونصحیح بروفیسال تحت عنوان : نبذ تاريخية في اخبار البربر في العصور الوسطى ، الرباط ١٩٣٤ م .

(٤٣) لم تعرف سنة وفاة المؤلف الا انه ذكر انه الف كتابه سنة ٣١٢/٧١٢ ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤٤) وقد اعتمد ابن خلدون على هذا المصدر اذ ينقل منه نقلا حرفيا في بعض الأحيان .

وكتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (٤٤) لابن أبي زرع (ت النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) (٤٥) أمدنا بمعلومات هامة عن دور زناتة في مساندة الأدارسة منذ قيام دولتهم ، وتحول بعض بطون زناتة عن مذهب الخوارج الى مذهب أهل السنة في فترة حكم الأدارسة ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهي ما ذكره عن الاضافات التي أنشأها أحد أمراء زناتة في جامع القرويين بفاس ، كما أمدنا ببعض المعلومات عن علاقة زناتة بأموي الأندلس ، وإن كانت بعض معلوماته يشوبها الخطأ ، فإن ذلك لا يقلل من قيمة كتاباته .

وكتاب المقتبس (٤٦) لابن حيان (ت ربيع الأول سنة ٤٦٩ / أكتوبر سنة ١٠٧٦) (٤٧) أمدنا بمعلومات وافية عن أصل جعفر بن علي الأندلسي ونسبه ، وانضمام أسرته الى الدعوة الاسماعيلية منذ بدء انتشارها في المغرب ، وقد انفرد ابن حيان بذكر بعض أسباب الصراع بين جعفر بن علي وبين زعيم صنهاجة ، ومعلومات أخرى أوضحت العلاقة بين جعفر بن علي وبين زناتة قبل خروج جعفر على

(٤٤) الجزء الأول ، تحرير وتعليق محمد الهاشمي الفيلاي ، الرباط ١٩٣٦ م .

(٤٥) لقد عمل ابن أبي زرع كاتباً للسلطان أبي سعيد عثمان المريني (٧١٩ / ١٣١٩ - ٧٣١ / ١٣٣١) خامس ملوك دولة بني مرين ، مما اتاح له فرصة الاطلاع على الكثير من توالييف المغاربة ، بالاضافة الى ان عصره كان مليئاً بالمؤلفات عن تاريخ المغرب التي فقدت بعد ذلك ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١١٤) .

(٤٦) وجد من الكتاب عدة أجزاء ، أما الجزء الذي يهم موضوع البحث فهو الذي نشره وحققه عبد الرحمن الحجى تحت عنوان : المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٤٧) انظر ، جنثالث بالنتيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٠٨ - ٢١١ ، وقد عمل ابن حيان كاتباً للمنصور بن أبي عامر مما اتاح له فرصة الاطلاع على ماكتبه سابقوه ، وكان ابن حيان صاحب لواء التاريخ في الأندلس ، وأفصح الناس فيه وأحسنهم نظماً له ، (ابن بشكوال ، الصلة ، ١ ص ١٥١ ، انظر ، وبالنتيا ، المرجع السابق ، نفس الصفحات) .

الفاطميين ، كما انفرد أيضا بوصف غاية في الدقة عن استقبال الحكم المستنصر خليفة قرطبة الأموي لأمرأة زناتة بعد أن هزموا صنهاجة وقتلوا زعيمها زيري بن مناد وأتوه برأسه • وقد أمدنا أيضا بمعلومات هامة عن محاولات الخليفة الأموي الحكم المستنصر خليفة الأندلس (٣٥٠ / ٩٦١ — ٣٦٦ / ٩٧٦) لاستعادة نفوذ الأمويين على أرض العدو بالمغرب بمساعدة قبائل زناتة ، وأخرى عن الصراع بين زناتة وصنهاجة • وخلاصة القول ان كتابات ابن حيان شيخ الأدباء والمؤرخين بالأندلس تعتبر من أهم المصادر في دراسة الصراع بين زناتة وصنهاجة بالمغرب ، وعلاقة زناتة بأموي الأندلس ، ولا غرو فابن حيان « قيد شوارد عصره ، واستوعب أخبار افقه وقطره » (٤٨) •

وكتاب تاريخ افريقية والمغرب (٤٩) للرقيق القيرواني (ت أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) (٥٠) الذي نقل عنه معظم من كتب عن تاريخ المغرب من أمثال ابن الأثير وابن عذاري والنويري وابن خلدون وغيرهم ، والذي فقد معظمه ، فان ما عثر عليه من الكتاب أمدنا بتفصيلات هامة اسم يأتي بمثلها أحد ممن نقلوا عن

(٤٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤ •

(٤٩) وهو جزء من تاريخ الرقيق يشمل أحداث القرن الأول الهجري ، والنصف الأول من القرن الثاني ، وقد حقق هذا الجزء وقسم له المنجي الكمبي ، ونشره تحت عنوان تاريخ افريقية والمغرب ، تونس ١٩٦٨ م •

(٥٠) والرقيق عمل في دولة بني زيري كاتباً خاصاً لأمرائها حتى عرف بكاتب الحضرة ، (انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٨٦) • كما عمل في ديوان الرسائل ثم تولى رئاسة هذا الديوان مدة نيف وعشرين سنة ، (انظر ، الكمبي ، محقق تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢٢) ومن ثم فقد اتيح له فرصة الاطلاع على الكثير من الوثائق والمؤلفات التي كتبت عن تاريخ المغرب والتي قلما توفرت لغيره ، وقد كتب الرقيق تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامي للمغرب حتى أوائل القرن الخامس الهجري في عدة مجلدات فقدت كلها عدا الجزء الخاص بالفتح الاسلامي للمغرب وعصر الولاة ، ولذا اعتبر الرقيق مؤرخ افريقية والحوال التي كانت بالقيروان ، (انظر ، الكمبي ، المصدر السابق ص ٢٧) ، الا انه لوحظ على الرقيق عدم ذكره لاسم زناتة ، وربما كان ذلك بسبب عمله في بلاط صنهاجة العدو التقليدية لزنانة •

الرقيق نفسه ، فقد انفرد بذكر اسمى ولدى الكاهنة الزناتية ، كما انفرد ببعض التفاصيل الهامة والكثيرة عن فتن البربر التى قادت زناتة احداها وشاركت فى الأخريات ، مثل ذكر أسماء القادة وطريقة تقسيم الجيش العربى ، ودور نساء القيوان فى تحريض العرب على قتال لبربر ، كما انفرد بتحديد اليوم الذى حدثت فيه المعركة ، الا أن أهم ما انفرد به الرقيق من معلومات فهى ما أورده عن فتنة أبى قرة اليفرنى الزناتى من تفاصيل .

وكتاب **الحلة السراء** (٥١) لابن الآبار (ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) (٥٢) أمدا ببعض المعلومات عن فتنة أبى قرة اليفرنى الزناتى ، وأخرى عن نسب الفاطميين ، كما أمدا بمعلومات على جانب من الأهمية عن ثورة أبى يزيد الزناتى ، بالاضافة الى ما انفرد به من معلومات عن هذه الثورة وقد أمدا أيضا بمعلومات عن معاملة الحكم المستنصر خليفة قرطبة لجعفر بن على وأخيه يحيى بعد انضمامهما الى زناتة وارتحالهما الى الأندلس . وقد أمدا الكتاب بمعلومات ذات قيمة عن هجرة بغض بطون زناتة الى الأندلس وعملهم فى خدمة دولة بنى أمية .

وكتاب **فتوح مصر والمغرب** (٥٣) لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ / ٨٧١) (٥٤) الذى يعتبر أقدم مصادر تاريخ المغرب ، أمدا بمعلومات

(٥١) تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ .

(٥٢) عاش ابن الآبار فى تونس وعمل كاتباً لأحد سلاطين بنى حفص مما اتاح له فرصة الاطلاع على كتابات المغاربة المؤرخين ، كما انه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، اذ كان من أفضل مؤرخى المسلمين فى القرن السابع الهجرى ، (انظر ، مؤنس محقق الحلة ، ١ ص ٨ ، ٤٧ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٥٨) .

(٥٣) تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ م .

(٥٤) لقد استطاع ابن عبد الحكم الاطلاع على ديوان الفسطاط قبل احتراقه ، وترجع أهمية ديوان الفسطاط بالنسبة لدراسة تاريخ المغرب أن مصر كانت قاعدة فتح المغرب وعاصمته بعد الفتح ، (انظر ، سعد زغلول ، فتح المغرب بين الحقيقة والأسطورة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة =

عن سبق البتر الى الدخول في الاسلام قبل البرانس ، واخرى عن
اتخاذ ولاة بنى أمية حرسهم الخاص من البتر السابقين الى التحول
الى الاسلام وهم من زناتة ، كما أمدنا بمعلومات عن مقاومة الكاهنة
الزناتية للفاطحين العرب . ومعلومات أخرى عن الفتنة البربرية الكبرى
التي قادتها زناتة في وجه ولاة بنى أمية . وقد أمدنا ابن عبد الحكم
ببعض المعلومات عن دور زناتة بإفريقية أثناء ثورة البربر الكبرى
التي اشتملت في المغربين الأوسط والأقصى .

وكتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس (٥٥) لمؤلف مجهول (ت
نهاية القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي) (٥٦) يعتبر مصدرا
أساسيا لثورة البربر الكبرى التي قادتها زناتة في المغرب والأندلس ،
لما أمدنا به من تفاصيل غاية في الدقة عن أحداثها . وإن كان يؤخذ على
المؤلف تعصبه للعرب ، وما وقسح فيه من بعض الأخطاء التاريخية .

وكتاب المغرب في حلى المغرب (٥٧) لابن سعيد المغربي (ت
٦٨٥ / ١٢٨٦) أمدنا بمعلومات عن أسباب اتخاذ عبد الرحمن الناصر
خليفة قرطبة لقب الخلافة بدلا من لقب أمير وتاريخ اتخاذه هذا
اللقب ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهي عن الأسباب التي شغلت

= الاسكندرية ، المجلد السادس عشر ١٩٦٢) . كما درس على ابن عبد الحكم
عبد كبير من المغاربة والأندلسيين الذين وفدوا الى مصر لدراسة مذهب مالك
فاستفاد ابن عبد الحكم منهم بما أمدوه به من معلومات عن تاريخ المغرب ،
(انظر ، بركلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٣ ص ٧٥ ، العبادي ، في تاريخ
المغرب والأندلس ، ص ٤٣٦) .

(٥٥) طبعة محريط ، ١٨٦٧ م .

(٥٦) ينتهي الكتاب بوفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ٩٦١/٣٥٠
مما يرجح أن وفاة المؤلف في نهاية القرن الرابع الهجري ، والمؤلف
متعصب للعرب كما يبدو من كتاباته ، كما أنه يدافع عن سياسة الخلفاء
الأمويين التي اتبعوها ولاتهم في المغرب والأندلس والتي كانت سببا في ثورة
البربر ، (انظر ، العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
الطباع ، محقق ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٤ م) .
(٥٧) تحقيق وتعليق ، شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .

خلفاء قرطبة الأمويين عن مساعدة زناتة على الوقوف في وجهه
صنهاجة والفاطميين ، مما كان سببا في هزيمة زناتة وفرار قبائلها الى
الصحارى أمام هجمات صنهاجة .

وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥٨) للمقرئ (ت ١٠٤١ / ١٦٣١) أمدنا بمعلومات عن علاقة زناتة بالأمويين منذ الفتح
الإسلامي للمغرب ، ومساعدة زناتة لمجد الرحمن بن معاوية حينما
فرأى المغرب بعد قيام الخلافة العباسية وحتى استقر بالأندلس ،
وقد أمدنا المقرئ ببعض المعلومات عن مساندة زناتة للمنصور ابن
أبي عامر حتى تغلب بهم على الأندلس بعد اضطراب أمر الخلافة
الأموية بها ، كما أمدنا ببعض المعلومات عن لهجة زناتة التي ميزتها
عن بقية قبائل البربر ، وأخرى عن أنفة رجالها .

وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس (٥٩) لابن القوطية (ت ٣٦٧ / ٩٢٧)
(٦٠) أمدنا بمعلومات عن فتنة البربر الكبرى التي قادتها زناتة
بالمغرب والأندلس ، وإن كان فيما ذكره بعض الاضطراب والخلط ،
أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهي التي تؤكد أن مذهب الخوارج
لم يظهر بالأندلس إلا في فترة حكم الحكم بن هشام ، مما يؤكد أن
ثورة بربر الأندلس التي قادتها زناتة لم تكن خارجية ، وإنما قام

(٥٨) تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م ، وكتاب المقرئ عبارة عن
موسوعة كبرى عن تاريخ المغرب والأندلس ، إلا أنه غير منظم في سرد معلوماته ،
مما يضنى الباحث بين صفحاته ، وقد أمدنا من الأجزاء ١ ، ٣ ، ٥ من الكتاب .
(٥٩) تحقيق وتعليق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧
(٦٠) نأتى أهمية كتاب ابن القوطية من أن مؤلفه كان حافضا لأخبار
المغرب والأندلس وسير أمرائهما ، (ابن الفرضي ، تاريخ علماء ، ٢ ص
٢٧٦ ، ابن بشكوال ، الصلة ، ٢ ص ٣٧٦) بالإضافة الى أن ابن القوطية كان
إسباني الأصل فتأثر بالنزعة الوطنية الأسبانية ، وكان متعصبا ضد الجنس
العربي والسيادة العربية فقدم لنا وجهة النظر الأخرى التي تقابل
وجهة نظر المؤرخين المسلمين الذين كتبوا من وجهة نظر الخلافة العربية ،
(انظر ، الطباع ، محقق تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٦ م) .

بها بربر الأندلس لمؤازرة اخوانهم بالمغرب ، خاصة وأن قيادة ثورة البربر في المغرب كانت لقبيلة زناتة .

وكتاب أعمال الاعلام (٦١) لابن الخطيب (ت ٧٧٦ / ١٣٧٤) أمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة ومضاربها ومذاهبها ، واخرى عن دور زناتة في مساندة دول الخوارج التي قامت في شمالي أفريقيا . وبعض المعلومات عن ثورة ابي يزيد مغلد الزناتى ، وغزوة جوهري الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي لاسترداد المغرب الأقصى من أيدي زناتة ، الا أن ابن الخطيب يجمع الأحداث في اختصار شديد ، وتؤخذ عليه أخطاءؤه في أسماء الاعلام وتواريخ الأحداث ، كما يخطئ في نسبة دولة بني مدرار التي قامت في سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة ٧٥٧ / ١٤٠ الى قبيلة زناتة على اعتبار أن قبيلة مكناسة أحد بطسون زناتة ، وهو خطأ وقع فيه الكثير من المؤرخين قدامى ومحدثين .

وكتاب أخبار بني عبيد وسيرتهم لابن حماد (ت ٦٢٨ / ١٢٣١) ، يهتم موضوع البحث الا أن هذا الكتاب فقد الكثير من قيمته بعد نشر سيرة جعفر الحاجب (٦٢) التي نشرت في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٣٦ م وكذلك في كتاب Ivanov وقد أمكن الاطلاع عليهما والاستفادة منهما .

ثم تأتي كتب الطبقات والتراجم التي تتميز عن المصادر التاريخية بأنها تتبع من تترجم لهم في حياتهم الخاصة الى جانب مشايركتهم في الأحداث السياسية لذا فانها تحوى معلومات متنوعة ، الا أن بعض هذه الكتب ، وبخاصة تراجم الاباضية ، نظرا لعنايتها بسير

(٦١) وما يهمنا من الكتاب هو الجزء الثالث ، تحقيق ونشر أحمد مختار العبادي ، ومحمد ابراهيم الكتاني تحت عنوان : المغرب العربي في العصر الوسيط ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م .

Sauvaget, op. cit., P. 217.

(٦٢)

(م ٣ - زناتة والخلافة الفاطمية)

العباد والصالحين وأصحاب الكرامات ، فإنها تذخر بمعلومات ذات طابع أسطوري خرافي . وقد تخصصت بعض كتب الطبقات في ذكر أئمة وعلماء المذاهب الإسلامية في بلاد المغرب مثل كتب طبقات الإباضية ، وكتبت أخرى عن علماء وأدباء وحكام وأمراء المغرب والأندلس . ولذا أمدتنا هذه المصادر بمعلومات متنوعة وفي بعض الأحيان فريدة ، ومن هذه المصادر نذكر :

كتاب السيرة وأخبار الأئمة (٦٣) لأبي زكريا (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي)
أمدنا بمعلومات هامة عن دور معتزلة زناتة في مناوئة الدولة الرستمية ، أما معلوماته عن ثورة أبي يزيد فتوضح مدى تعصب الإباضية الوهبية لمذهبهم وتحاملهم على من انشقوا عليهم وتحولوا الى الإباضية الفكرية وأهم ما أمدنا به الكتاب من معلومات فهي عن ثورة أبي خزر الزناتى على الخلافة الفاطمية التى أطلق عليها المؤرخ اسم المسودة وقد تناول أبو زكريا حياة أبي خزر الزناتى بالتفصيل ، كما تناول أحداث ثورته أيضا ، ويزيد من أهمية هذه المعلومات أن أبا زكريا كان معاصرا لهذه الثورة ، بالإضافة الى صمت المصادر السننية عن ذكر أحداث الثورة أو شيء عن زعيمها ، وقد أمدنا أيضا بمعلومات عن الصراع بين بطون زناتة وحروبها القبلية مع بعضها البعض والتي كانت سببا في تفتيت وحدة زناتة وتضعف قوتها ، وعدم اجتماعها على رئاسة واحدة .

وكتاب السيرة (٦٤) للشماخي (ت ٩٢٨ / ١٥٢٢) (٦٥) أمدنا ببعض المعلومات عن فتن البربر التى شاركت فيها زناتة وضربت فيها بسهم وافر ، وأخرى عن دور زناتة في مساندة الدولة الرسمية بتاهرت

(٦٣) مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٣٠ ح .

(٦٤) بحون تحقيق وبدون تاريخ وأقرب ما يكون الى المخطوطة .

(٦٥) والشماخي أكثر مؤرخي الإباضية حيادا وموضوعية ، (انظر ،

محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩) .

حين قيامها ، وتدخل أمراء زناتة في اختيار أئمة الدولة ، ثم محاولة زناتة الاستيلاء على الإمامة لأحد زعمائها . كما أمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة توضح مضاربهم ومذاهبهم وأخرى عن دور زناتة في العمل بالتجارة ، وقيام فرسانها بالآغارة وعملهم كجند مرتقة . وقد انفرد الشماخي بذكر سبب تحول أبي يزيد مخلص الزناتى من الاباضية الوهبية الى مذهب الفكارية .

وكتاب معالم الايمان في معرفة أهل القيروان (٦٦) للدباغ (ت ٦٩٦/١٢٩٧) أمدنا بمعلومات عن دور الكاهنة الزناتية في مقاومة العرب أثناء فتح المغرب ، وأخرى عن الحياة الاجتماعية لقبيلة جراوة الزناتية قبل تحولها الى الاسلام ، كما أمدنا بمعلومات عن أحد علماء زناتة اعلمته كتب التراجم والطبقات . وقد أمدنا منه أيضا في دراسة ثورة أبي يزيد الزناتى بما أمدنا به من معلومات تبين دور علماء أهل السنة بالقيروان في تحريض أهل القيروان للانضمام الى أبي يزيد ومحاربة الفاطميين . وقد انفرد بمعلومات عن معاملته أبي يزيد لأهل السنة . وأخرى عن نتائج ثورته وما أحدثته من تغير في سياسة الفاطميين الاقتصادية والمذهبية .

وكتاب طبقات الاباضية (٦٧) لدرجيني (ت منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) أمدنا بمعلومات هامة عن قيام الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن ثورة أبي يزيد الزناتى ، مبينا موقف الخوارج الوهبية من قبيلة نفوسة من هذه الثورة ، وقد انفرد بذكر المعارك الأولى لهذه الثورة ، وان كانت أقرب الى الاسطورة من الواقع ، والى الخيال من الحقيقة ، الا أنها توضح لنا مدى تحامل الاباضية الوهبية على أبي يزيد الزناتى والنفارية ، أما ما أورده الدرجيني عن ثورة أبي خزر الزناتى على الفاطميين فهو ترديد لما ذكره أبو زكريا في كتابه السيرة الذى سبقنا الإشارة اليه .

(٦٦) الجزء الأول ، تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ ، الطبعة الثانية ، تونس ١٩٦٨ م . والجزئين الثانى والثالث ، طبعة تونس ، ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م .

(٦٧) مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٢٥٦١ ح .

وكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماؤهم ومحدثيهم وفقهاءهم وأدباؤهم (٦٨) لابن بشكوال (ت ٥٧٨ / ١١٨٢) (٦٩) أمدنا بمعلومات عن أحد بطون زناتة التي عاشت بالأندلس ، ولم تذكرها الكثير من المصادر التي تكلمت عن الأنساب أو عن بطون زناتة ، كما لم يذكر لها فرع بالمغرب في كتب المؤرخين ، وقد أمدنا أيضا بتواريخ تولية ووفاء خلفاء قرطبة وبعض قوادهم الذين لعبوا دورا هاما في تاريخ زناتة بالمغرب .

وان كانت بعض كتب الطبقات والتراجم قد أمدتنا بمعلومات أفادتنا في موضوع البحث فان البعض الآخر منها أفادتنا أيضا في دراسة تاريخ زناتة وموقفها من الخلافة الفاطمية دون أن تقدم لنا معلومات عن زناتة . فقد ترجمت كتب الطبقات والتراجم لمشاهير ممن اشتغلوا بالعلم ، والأدب ، والقضاء ، ومن شغلوا المناصب العليا ، وقد اهتمت هذه الكتب بأنساب من ترجمت لهم (٧٠) فنبهوا كل من ترجموا لهم إلى قبائلهم ، فذكروا لنا البرغواطى (٧١) ، والكتامى (٧٢) ، والمصمودى (٧٣) ، والبصنهاجى (٧٤) ، واللواتى (٧٥) والهورى (٧٦) ، والمغلى (٧٧) ، والصدىنى (٧٨) ، ولم تذكر بين من ترجمت لهم من

(٦٨) تصحيح ونشر السيد عزت العطار الحسينى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٥٥ م .

(٦٩) وهو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال ، (ابن الأبار) التكملة ، ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٧٠) محقق تاريخ علماء الأندلس ، ١ ص ٢ .

(٧١) ابن بشكوال ، الصلة ، ١ ص ١٨٠ .

(٧٢) نفسه ، ص ٢٨٧ ، ٣٧١ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء ، ١ ص

١٢٠ .

(٧٣) نفسه ، ص ٢٥ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء ، ١ ص ١٩٥ ،

٢٩٧ ، ٣٣٤ ، ٢ ص ١٧٩ .

(٧٤) ابن بشكوال ، ١ ص ٢٢٧ ، ٢٤٥ ، ٣٢٨ ، ٢ ص ٥٧٩ .

(٧٥) نفس المصدر ، ٢ ص ٦٠١ ، ٦٣٣ .

(٧٦) ابن الفرضى ، تاريخ علماء ، ١ ص ٢٥٧ ، ٢٨٧ .

(٧٧) ابن الفرضى ، تاريخ علماء ، ٢ ص ٨٧ ، ١٩٠ .

(٧٨) نفسه ، ص ١٥٠ .

نسب الى قبيلة زناتة في الفترة التي يهتم بها البحث ، وان أشارت الى علماء من زناتة مع بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (٧٩) ، مما يدعوننا الى التساؤل عن السبب في عدم ذكر علماء من زناتة بين هذه التراجم ، فهل كان ذلك لأن غالبية بطون زناتة لسم تكن على مذهب أهل السنة ، أم لان زناتة لم تضرب بسهم وأفر في مجال العلم ؟ ويرجح الاحتمال الأخير أن كتب الطبقات التي صنف في ذكر علماء وأئمة الخوارج بالمغرب لسم تذكر سوى واحد من علماء زناتة ، وأن زناتة ظلت على البداوة حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وكانت دائماً تهفو الى سكنى الصحراء والجبال ، وتعيش في أخصاص وبيوت من شجر ، وتحترف العسكرية ، وتعيش على الاغارة ، ولذا كانت تأنف من احتراف صناعة العلم مثلها في ذلك مثل كل القبائل عريقة البداوة ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته .

ثم تأتي المصادر الجغرافية الاقليمية التي تقف على قدم المساواة مع المصادر التاريخية الاقليمية في الأهمية بالنسبة لموضوع البحث ومنها نذكر :

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (٨٠) للبكري (ت ٤٨٧/١١١٣) (٨١) الذي يعتبر أهم الكتب الجغرافية بالنسبة لموضوع البحث ، أمدنا بمعلومات غاية في الدقة عن مواقع مدن المغرب والمسالك اليها ، ومضارب الكثير من بطون زناتة ، كما أمدنا

(٧٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ١ ص ٥٧٣ ، ٥٨٦ .

(٨٠) تحقيق دي سنان ، الجزائر ١٨٥٧ م .

(٨١) عاش البكري في الأندلس ولم يغادرها طوال حياته ، ولذا اعتمد في كتاباته عن بلاد المغرب على تواليف المغاربة خاصة محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، (ابن حيان ، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس ص ٣٣ ، ابن الأبار ، التكملة ، ١ ص ٣٦٦) ، وقد عرف الوراق بالتاريخي وتوفي سنة (٣٦٣ / ٩٧٣ - ٩٧٤) ، مما يزيد من أهمية كتابات البكري بالنسبة لموضوع البحث اذ اعتمد في كتاباته على مصادر مغربية كانت معاصرة لفترة البحث وما زالت محفوظة ، (انظر مثل الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ١٠ هامش) .

بمذاهب بعض البطون الزناتية ، بالإضافة لما أمدنا به من معلومات تاريخية هامة ، وفي بعض الأحيان فريدة مثل تحديد مكان المعركة التي قتل فيها ميسور الفتى أكبر قواد القائم بأمر الله الفاطمي أثناء ثورة أبي يزيد الزناتي ، إلا أن البكري يؤخذ عليه الإفراط في ذكر الروايات الأسطورية التي يتعلق بعضها ببطون زناتة ، مما حدا بابن خلدون أن يتهمه « بعدم نباهة العلم ، وعدم استنارة البصيرة ، لأنه ينقل الروايات كما سمعها » (٨٢) .

وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (٨٣) للادريسي (ت ٥٥٨ / ١١٦٣) لا سيما الجزئين الثالث والخامس منه ، أمدنا بمعلومات عن أصول قبيلة زناتة ، ومعلومات أخرى عن بعض بطون زناتة ، وقد ذكر الادريسي أسماء بطون زناتية لم يذكرها غيره ، فأخذنا أسماء البطون الزناتية التي ذكرها غيره من المؤرخين والجغرافيين الذين عاصروا فترة البحث خشية أن تكون الأسماء التي انفرد الادريسي بذكرها كانت لبطون زناتية تفرعت عن زناتة بعد الفترة التي يهتم بها البحث ، وبخاصة أن الادريسي كان في فترة متأخرة نسبيا ، بالإضافة الى أنه استقى الكثير من معلوماته من مشاهداته في أسفاره التي جال فيها أرض المغرب ، وقد أمدنا الادريسي بمعلومات فريدة عن حياة بعض بطون زناتة ، وصفات أفرادها وطبيعة حياتهم .

وكتاب رحلة (٨٤) للتجاني (ت أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) (٨٥) أمدنا بمعلومات ذات أهمية خاصة عن بعض بطون زناتة ومضاربها والمذاهب الإسلامية التي اعتنقتها وحياتها

.. (٨٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٢٧ .

(٨٣) الجزء الثالث ، طبعة نابولي ، ١٩٧٢ ، الجزء الخامس ، طبعة نابولي ١٩٧٥ م .

(٨٤) تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ م .

(٨٥) تأتي أهمية كتاب التجاني من أن مؤلفه سجل فيه كثير من اقوال المؤرخين الذين لم تصلنا كتبهم مثل الرقيق ، (التجاني ، رحلة ص ٢٤١) ، الى جانب عدم كفاية المصادر عن تاريخ المغرب خاصة بالنسبة للقرون الأولى من الهجرة ، (انظر ، Sauvaget, op. cit., P. 217.

الاجتماعية • وقد انفرد التجاني ببعض المعلومات عن ثورة أبي يزيد مغلد الزناتى ، الى جانب ما ذكره من أخبار عن هذه الثورة متواترة عند غيره من المؤرخين حتى أنه يمكننا القول ، ان ما كتبه التجاني يعتبر واحدا من أهم المصادر التى تكلمت عن ثورة أبي يزيد الزناتى • كما أمدنا التجاني كغيره من الجغرافيين بمعلومات عن مدن المغرب والمسافات بينهما ، وان كان يؤخذ على التجاني وقوعه فى بعض الأخطاء التاريخية مثل نسبة الكاهنة الزناتية الى قبيلة لوانة البترية •

وكتاب زهرة الأس فى بناء مدينة فاس (٨٦) للجزنائى (٨٧) أمدنا بمعلومات عن دور زناتة فى مساندة دولة الأدارسة بعيد قيامها بالمغرب الأقصى • كما أمدنا بمعلومات أخرى عن دور زناتة مع الأدارسة فى نشر الاسلام فى أقاصى المغرب الأقصى ، وأمدنا بتفاصيل عن الزيادات التى أضافها أحد أمراء زناتة الى جامع القرويين بفاس حين كانت المدينة خاضعة لقبيلة زناتة ، وأخرى عن الدور الذى لعبه خلفاء قرطبة فى استمالة قبائل زناتة وأمرائها ليكونوا عوناً لهم فى نشر دعوتهم وفرض طاعتهم بأرض المغرب ، ولم يخل الكتاب من معلومات عن مضارب بعض بطون زناتة •

وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (٨٨) لابن الدلائى (ت ١٠٩٤/٤٧٨) أمدنا بمعلومات عن مواطن استقرار بطون زناتة فى الأندلس ، وأن هذه المناطق أخذت اسم زناتة مما يؤكد هجرة زناتة وخروجها مع الجيش الاسلامى الذى فتح الأندلس ، كما أمدنا بمعلومات عن هجرة البطون الزناتية الى الأندلس أيام حكم الفاطميين بالمغرب وتحت ضغط هجمات صنهاجة ، موضحاً أن هجرة البطون الزناتية الى الأندلس كانت من

• (٨٦) طبعة الجزائر ١٩٢٢ م

(٨٧) لم تحدد سنة وفاة المؤلف ، ولم تعرف سنة تأليف الكتاب •

(٨٨) تحقيق عبد العزيز الأهوانى الذى نشر جره من الكتاب تحت عنوان :

نصوص عن الأندلس ، مدريد ١٩٦٥ م •

الكثرة في تلك الفترة لدرجة أن زناتة استقلت بعدة امارات بالاندلس بعد اضطراب أمور الخلافة الأموية بها .

وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (٨٩) للحميري (ت ٧٢٣ / ١٣٢٣ أو ٧٢٧/١٣٢٧) (٩٠) أمدنا بمعلومات عن مدن الأندلس التي أخذت اسم زناتة أو اسم أحد بطونها مؤكدا دور زناتة في فتح الأندلس ، واستقرارها بها بعد الفتح ، أما أهم ما أمدنا به الحميري فهو نسب طارق بن زياد الذي قاد الجيوش الإسلامية لفتح الأندلس الى قبيلة زناتة .

وكتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين (٩١) للمراكشي (ت القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) أمدنا بمعلومات عن مدينة المهدية العاصمة الأولى التي بناها الفاطميون بأرض المغرب بعد قيام خلافتهم بها موضحا مدى حصانة المدينة لتكون حصنا للفاطميين أمام ثورات البربر الذين عادوا الخلافة ومنهم زناتة ، كما أمدنا بمعلومات هامة عن جغرافية بلاد المغرب وثورات البلاد ، والمسافات بين البلدان مما ساعدنا على تفهم أحداث ثورة أبي يزيد الزناتى على الخلافة الفاطمية . وقد انفرد المراكشي بذكر أحد البطون التي نسبها الى زناتة وحدد مشاربها .

(٨٩) تحقيق ونشر بروفنسال تحت عنوان : صفة جزيرة الأندلس
١٩٣٧ .

(٩٠) لم تحدد سنة وفاة الحميري وبهذين التاريخين أخذ أحد الباحثين الذى أمدنا ببعض المعلومات عن المؤلف والكتاب ، فذكر أن الحميري استعان في الحصول على معلوماته التاريخية والجغرافية بالكثير من المصادر التاريخية والجغرافية عن المغرب والأندلس والتي انتشرت في العصر الذى عاش فيه فجاء كتابه معجم جغرافى تاريخى ، (انظر ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد الثامن عشر ، الجزء الاول ، مايو ١٩٥٦ م) .

(٩١) تحقيق وتعليق محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٩ م .

وفي الواقع أنه لا يوجد بين المؤرخين الحديثين من كرس تأليفا
لزناتة ، وإن عالجت بعضها تاريخ زناتة من خلال دراسة عامة ، إلا
أنها ساعدتنا على التعرف على الكثير من التحليل الخاص بالنواحي
السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعالم الاسلامي عامة ، والمغرب
الاسلامي بصفة خاصة ، وهذه العوامل أثرت بدورها على قبيلة
زناتة التي شكلت جزءا من العالم الاسلامي والمجتمع المغربي تتفاعل
معها وتتأثر بهما ، فاطلعت على كتب المستشرقين الذين اهتموا
بتاريخ العالم الاسلامي وتاريخ المغرب خاصة والتي أهمها بالنسبة
لموضوع البحث كتابات كل من :
Gautier, Fournel

Terrasse, Julien, Marçais ، كما اطلعت على كتب من أرخ للمغرب
والأندلس والدولة الفاطمية من المؤرخين المصريين والمغاربة ومنهم
حسين مؤنس ، وحسن محمود ، وجمال سرور ، وحسن ابراهيم ،
وعبد المنعم ماجد ، وعطيه مصطفى مشرفة ، والسيد عبد العزيز
سالم ، وسعد زغلول عبد الحميد ، ومحمود اسماعيل ، والجيلالي ،
والميلي والجابري وغيرهم .

ولم نغفل الدوريات فأمدتنا بمادة علمية لا بأس بها ، فأمدتنا
دوريات جامعة تونس ومحمد الخامس بالمغرب بمعلومات عن دور زناتة
في ثورات البربر على الخلافتين الأموية والعباسية ، ودور زناتة في مساندة
الروستميين في قيام دولتهم في تاهرت ، كما أمدتنا بمعلومات عن النظام
العسكري لبعض بطون زناتة وطريقتهم في الحروب ، وعن اللهجة
الزناتية التي ميزت قبيلة زناتة عن بقية قبائل البربر . وأمدتنا دوريات
كلية الآداب بجامعة القاهرة والاسكندرية بمعلومات عن مضارب بعض
بطون زناتة ، وأخرى عن قيام الخلافة الفاطمية بأرض المغرب ،
كما أمدتنا بمقالات ساعدتنا على فهم طبيعة الصراع بين
الفاطميين والأمويين والذي شاركت فيه قبيلة زناتة مشاركة فعلية
وفعالة ، ولا غرو فقد كانت زناتة رأس حربة للأمويين في مناوئة
الفاطميين .

أما صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية ومجلة الأندلس
فأمدتنا بمعلومات عن ثورة أبي يزيد الزناتى ودور خليفة قرطبة

عبد الرحمن الناصر في مساندة هذه الثورة ، وأخرى عن الصراع بين الفاطميين والأمويين ودور زناتة في هذا الصراع . وأمدتنا دائرة المعارف الإسلامية بطبعتيها الأولى والثانية بمادة علمية وفيرة ساعدتنا على تفهم أحداث ثورة البربر التي قادتها زناتة ، وثورة أبي يزيد الزناتى على الفاطميين وكذلك ثورة أبي خزر الزناتى على الفاطميين أيضا .

ولم تغفل الاطلاع على المجلات العلمية الأوربية التي أفادتنا في دراسة ثورة أبي يزيد الزناتى وقيام الخلافة الفاطمية بالمغرب والصراع بين البتر والبرانس ومن هذه المجلات :

Journal Asiatique, Annales de l'institut d'études Orientales, Moslem World, Awraq.

الفصل الأول

زنانة : بطونها ومضاربها ومذاهبها

جغرافية بلاد المغرب — أصل البربر وطبائعهم وتقسيمهم
الى بتروبرانس — أصل زنانة وأساس تسميتها وحياتها
الاجتماعية — بطون زنانة ومضاربها في افريقية والمغربين
الأوسط والأقصى والأندلس ومذاهبها — بطون زنانية لم
يعرف نسبها الى الفروع الكبيرة من زنانة ومواطنهم —
في أقسام المغرب الثلاثة والأندلس — بطون بربرية
نسبها بعض المؤرخين خطأ الى زنانة .

زناتة اسم لقبيلة بربرية استقرت في شمالي أفريقيا ، وهي البلاد التي عرفها المسلمون باسم بلاد المغرب (١) ، بعد أن قاموا بحركة فتوحاتهم ، وتقع بلاد المغرب الى الغرب من مصر ، ولما كانت الاسكندرية آخر المدن الكبيرة في مصر الى جهة الغرب ، فقد أطلق عليها بعض المؤرخين باب المغرب (٢) . وبلاد المغرب بلاد واسعة تتكون من جبال وصحاري كثيرة المفاوز صعبة المسالك (٣) ، وفي هذه البلاد انتشرت بطون قبيلة زناتة من أقصاها الى أقصاها (٤) بسبب طبيعتها البدوية وظلعنها وراء الانتجاعات (٥) .

ولم يختلف الجغرافيون على الحدود الشمالية والغربية والجنوبية لشمالي أفريقيا ، اذ يحدها من الشمال البحر الرومي الذي يتفرع عن البحر المحيط والذي عرف بالبحر الرومي الصغير (٦) ، ومن الغرب البحر المحيط الذي يمتد مع طول البلاد (٧) ، ومن الجنوب الصحاري

(١) ابن عذاري ، البيان ، ١٦ ص ٥ - ٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣ ، أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ٢ ص ٤٩ هامش ٤ ، Ency of Islam. (Art Maghreb) led, t 3, pp. 108 — 109 .

(٢) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٥ ، أنظر ، شعراوي ، الأمويون ، ص ٧ .

(٣) المقدمي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، أنظر ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخي ، خرنطة ١٢ .

(٥) أنظر ، Ency of Islam (Art Zenata), led, t 4, p. 1223 .

(٦) السنلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ٦٣ .

(٧) الاضطخري ، المسالك ، ص ٣٣ .

الممتدة من وراء سجلماسة الى زويلة (٨) ، وحتى بلاد السودان (٩) ، أما الشرقي فقد اختلفت الآراء وتباينت فقد اعتبر البعض أن الحد الشرقي لبلاد المغرب جبال برقة (١٠) أى أن برقة ضمن بلاد المغرب (١١) وقال آخرون أن طرابلس هي هذه الشرقي فتكون بذلك برقة خارجة عن بلاد شمالى افريقيا (١٢) ، كما قيل ان بلاد برقة وطرابلس ليستا من بلاد المغرب (١٣) .

وتنقسم بلاد المغرب حسبما اتفق الجغرافيون والمؤرخون الى ثلاثة أقسام (١٤) : المغرب الأدنى أو افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى . فافريقية أو المغرب الأدنى يمتد من طرابلس شرقا الى مقاطعة بجاية غربا (١٥) ، والمغرب الأوسط يلى افريقية غربا حتى مدينة وهران التى تقع على الساحل شرقى تلمسان وعلى مسيرة

(٨) نفس المصدر والصفحة .

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، البكرى ، المغرب ، ص ٢١ .

(١٠) الجزائى ، زهرة الآس ، ص ٤ .

(١١) البكرى ، المغرب ، ص ٢١ ، الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ .

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، السلاوى ، الاستقصاء ،

١ ص ٦٣ .

(١٣) أنظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٢٨ .

(١٤) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٨٦ وما بعدها ، ابن الفقيه ،

البلدان ، ص ٨٩ وما بعدها ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٢ ، ابن

خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ ، وقد أخذت أقسام المغرب الثلاثة أسمائها

من قربها أو بعدها عن مصر التى كانت مركزا للفتوح الاسلامية لبلاد

المغرب حتى أتم المسلمون فتحها ، (انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ،

٣ ص ٢٤٢) وبهذا التقسيم أخذ غالبية المؤرخين والجغرافيين العرب ،

(انظر Ency of Islam (Art Maghreb), t 3, p. 109. وان كان البعض يرى

أن أقسام المغرب الثلاثة يمتد أولها من برقة الى جبل نفوسة ، والثانى من

تاهرت الى جبل سبنة ويدور مع المحيط الأطلسى حتى جبال درن ، أما القسم

الثالث فهو السوس الأقصى الذى يمتد من ماسة الى صحراء المرابطين ،

(مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٣ ظهر ، الجزائى ، زهرة الآس ، ص

٤) ، وعن الاختلاف فى تقسيم بلاد المغرب فى العصور الوسطى ، (أنظروا

١٠٠٦٤٠

ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٤ هامش ٣) .

(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، الا أن ابن غالب يذكر أن

افريقية من برقة الى مدينة مليانة ، (فرحة الأنفس ، ص ٣٠٧) .

يوم منها (١٦) ، والمغرب الأقصى هو ما بعد تلمسان غربا وحتى سبتة شمالا ، وسجلماسة وما في سمتها جنوبا (١٧) ، إلا أن المغرب الأقصى امتداد للمغرب الأوسط اذ ليست بينهما فواصل مانعة ، ويتصلان ببعضهما عن طريق مضيق تازا الذي يعتبر مفتاح المغرب الأقصى (١٨) .

ونخص بالذكر المغربين الأوسط والأقصى لأنهما كانا موطننا لغالبية بطون زناتة ، وبخاصة المغرب الأوسط الذي كان به أقوى بطون هذه القبيلة البربرية ، فكانوا هم الغالبين عليه ، وأصحاب السيادة فيه من قبل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب حتى عرف باسم هذه القبيلة البربرية فأطلق عليه مغرب زناتة (١٩) دلالة على الكثرة والغلبة والسيادة . كما كانت منطقة الصحارى المجاورة للمغرب الأوسط والممتدة في المغرب الأقصى مناطق سيادتهم أيضا (٢٠) .

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحقيق نسب سكان شمالى أفريقيا عموما ، وفي تحديد الى أى أصل من أصول الخليفة ينتمون ، فأوردوا روايات مختلفة في نسبهم هي الى الاسطورة أقرب منها الى الحقيقة التاريخية (٢١) ، مما حدا بالبعض أن يعتبر كل ما قاله

(١٦) أبو الفدا ، تقويم ص ١٢٢ .

(١٧) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٣ ، انظر العبادى ، في تاريخ

المغرب والأندلس ، ص ١٢ .

(١٨) أنظر ، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤ .

Gautier, le Passé de l'Afrique du Nord, p. 222.

(١٩) ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٠٢ ، ٧ ص ٢ .

Ency of Islam, (Art Zenata), t 4, p. 1223.

(٢٠) انظر

(٢١) نسب البعض البربر الى حام بن نوح ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص

٤٩٥ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ١٩٩ ظهر ، ابن خلدون ، المقعنة ، ص ٢٧ ،

المقريزى ، البيان والاعراب ، ص ٥٠ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٤)

ويذكر فريق آخر أن أصلهم من فلسطين وانتقلوا الى المغرب واستقروا به

(ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ ، السعوى ، مروج ، ٢ ص ١١٩ ، ابن

الاثير ، الكامل ، ٣ ص ١٠ ، مجهول ، نبذ ، ص ١ ، الادريسي ، نزعة ، ٣ ص

٢٢٢ ، الجزائى ، زهرة الآس ، ص ٦ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة

٥٤ ، القزوينى ، آثار ، ص ١٦٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ ، ابن

غلبون ، التذكار ، ص ١٠ - ١٢ الانصارى ، المنهل ، ص ٢٧ - ٢٨) .

المؤرخون والنسابة وعلماء السلالات عن أصل سكان شمالي أفريقيا لا يعدو الحدس والتخمين (٢٢) . فربما كان هؤلاء السكان أخلاطا من سلالات وجنسيات مختلفة ، منهم من كان بالبلاد منذ وقت بعيد ، وآخرون وردوا عليهم من أفريقيا وآسيا وأوربا ثم استقروا معهم ، اذ ثبت أن هجرات فينيقية خرجت اليهم واستقرت معهم (٢٣) .

وقد أطلق بعامة على سكان شمالي أفريقيا لفظة « بربر » ، وعرفهم العرب بهذا الاسم مع الفتح الاسلامي لبلادهم ، والغالب على الظن أن العرب لم يعرفوا سكان المغرب بهذا الاسم قبل خروجهم لنشر الدين الاسلامي ، لانه من المعروف أنه لم تكن هناك صلة بين جزيرة العرب وشمالي أفريقيا ، اذ أن علاقات العرب قبل الاسلام لم تتعد حدود مصر غربا (٢٤) . اذن ليس العرب الفاتحون هم الذين أطلقوا عليهم اسم البربر . وقد اختلف المؤرخون حول أصل تسمية هؤلاء القوم وللصاق اسم البربر بهم (٢٥) . وأيما ما كان أصل هذه التسمية فانه من المؤكد أن العرب الفاتحين

(٢٢) انظر ، عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٥٦ ،
Ency of Isl (Art Berbers), 2ed, t. 1, p. 1173.

(٢٣) انظر ، مسعد زغلول ، المغرب العربي ، ص ٢٦ ،
Gautier, op. cit, p. 216.

(٢٤) انظر ، نفسه ، ص ٢١ ،
(٢٥) يعتقد البعض أنهم أخذوا اسم البربر نسبة الى أبيهم ،
(السلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٤) أو بسبب رطانتهم بلغة غير مفهومة ،
(ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ٨٩ ، الانصاري ، المنهل ، ص ٣٠) الا أن
ابن خلدون ينفي صحة تسميتهم بربرا بسبب رطانتهم ، (المقدمة ، ص
١٧ - ١٨) ، أو أن الاسم اشتق من الكلمة اللاتينية Barbarus التي
أطلقها الرومان على الوندال ، والتي تعني الشعوب الهمجية المتخلفة ،
فالصقت هذه الكلمة برعايا الوندال من سكان شمالي أفريقيا ؛ (انظر
عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٢٦٢ ، اقبال ، دور قبيلة
كتامة ، ص ٤٠) الا أن هذا افتراض لا يجد ما يؤيده ، ولا يرقى الى مصاف
الحقيقة لصمت النصوص المعاصرة ، (انظر ، Gautier, op. cit, p. 210.
كما ذكرت اسباب أخرى لتسميتهم بهذا الاسم ، (انظر ، ماجد ،
التاريخ السياسي ، ٢ ص ٤٩ ، هامش ٧) .

عرفوهم بهذا الاسم ، الذي ربما أطلقه عليهم من غلبهم من الأمم من الرومان أو الروم (البيزنطيين) ، أما التسمية القديمة لسكان شمال أفريقيا فهي أمازيغ وهي كلمة تعني بلغتهم الرجل الحر الخشن (٢٦) .

والبربر كما وصفوا جنس خشن غصوب ، وفارسا محاربون لهم القسى والخيل العرب (٢٧) ، يصبرون على المكاره ، ويثبتون في الشدائد (٢٨) ، كما أنهم شديداو الغيرة على حريتهم مما حدا بالبعض أن يصفهم بالطيش والاسراع الى الفتنة (٢٩) ، والبربر في رأى الفاتح العربى موسى بن نصير أشبه بالعرب ، وعلى حسب قوله « لقساء ونجدة وصبرا وفروسية » (٣٠) ، وهذا الشبه وليد البيئة والحياة الاجتماعية ، فطبيعة بلاد المغرب الصحراوية نشبه جغرافية بلاد العرب التى تكسب الشجاعة (٣١) ، كما أن كلام البربر والعرب عرف التنظيم القبلى وحياة التنقل والبدواة (٣٢) ، وأن العصبية القبلية مثلما هى عند العرب أساس نظامهم الاجتماعى ، لذا كان البربر قدا للمغرب ، فقاوموا الفتح الاسلامى مقاومة عنيدة حتى اتسم فتح بلاد المغرب بالصعوبة واستمر أكثر من خمسين عاما .

(٢٦) انظر ، العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥ ، عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٢٦٤ .
(٢٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٨٤ ، ويذكر ابن حوقل أن بلاد المغرب لم يكن بها العبدان والطنابير والفيان والمختين ، والفسق والفواحش ، (صورة ، ص ٩٥) ، وإن كان في ذلك مبالغة واضحة إلا أن ذلك يوضح لنا مدى بدواة البربر وخشونتهم .

(٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٤ ، انظر ، Cambridge Medieval History. Vol. 2, p. 376.

(٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ ، القزوينى ، آثار ، ص

١٦٣ .

(٣٠) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٨٣ ، الضياف ، اتحاف ص ٨٦ ، انظر ، حسن محمود الشريف ، المعاليم الاسلامى في العصر العباسى ، ص ٤٠٩ .

(٣١) المستنوردى ، مروج ، ٢ ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٦ وما بعدها ، انظر ، ماجد ، التاريخ النفسى ، ٢ ص ٥٥١ .
(م ٤ - زناتة والخلافة الفاطمية) .

ولقد اتفق علماء الأنساب والمؤرخون على أن قبائل البربر تنقسم إلى جذمين عظيمين (٣٣) ، صنف يقال لم البتر ، وصنف يقال لهم البرانس (٣٤) ، وهما من أصل واحد (٣٥) . ولا نعرف معرفة يقين أصل هذا التقسيم ، إذ لم يعطنا أحد من المؤرخين القدامى تفسيراً لأصل هذا التقسيم أو سبب هذه التسمية ، إلا أن المحدثين منهم حاولوا إيجاد تعليل لهذا التقسيم فاختلّفوا في الأسباب فمنهم من أدلى بدلوهم وقال برأيه ، ومنهم من عرض لمختلف الآراء وأحجم عن إبداء الرأي .

فقد اعتقد البعض أن كل من قسمي البربر يمثل موجة بشرية مختلفة ، أحدهما أهل البلاد الأصليين ، والأخرى الذين وفدوا على البلاد ، واغتصبوا من أهل البلاد بعض أوطانهم (٣٦) ، ويرى آخر أن تقسيم البربر إلى بتروبرانس هو تقليد لتقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية ، وأن التفسير اللغوي أساس هذه التسمية ، وأن الفوارق بين الجذمين ليست عنصرية أو جنسية فهما من جنس واحد (٣٧) ، ويعرض ثالث لآراء المستشرقين (٣٨) ، ويناقش هذه الآراء ويخرج

(٣٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٨٩ ، المقرئ ، البيان ، ص ٥١ .
(٣٤) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ ، انظر مؤنس ، فتح المغرب للمغرب ، ص ٦ .

(٣٥) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٨٩ .
(٣٦) انظر ، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣١ .
(٣٧) انظر ، العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥ - ١٧ .
(٣٨) يرى جوتييه أن تقسيم البربر إلى بتروبرانس له أساس اجتماعي أي بدو البتر وحضارة البرانس ، فمعظم قبائل البتر تضرب في الصحارى والقفار ، ويظعنون وراء الانتجاعات ، ويشتغلون بالرعى ، أما غالبية قبائل البرانس يعيشون عيشة استقرار في السهول والجبال الخصبة ، ويعملون بالزراعة . أما مرسية فيرى أن أساس هذا التقسيم هو نوع الثياب التي يرتديها كل منهما ، البعض يلبس البرنس ومنه أخذوا اسمهم ، والآخرون عراة الرأس فعرفوا بالبتر (انظر ، سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربي ، ص ١٣٥ - ١٣٦) .

من ذلك بأن تقسيم البربر الى بتر وبرانس أمر غامض (٣٩) ، وربما كان هذا سببا في أن بعض المؤرخين وقف صامتا لا يقدم تفسيراً لهذه التسمية عندما تعرض لها (٤٠) ، وإن كان أحد المؤرخين يرفض فكرة تقسيم البربر الى بتر وبرانس على أساس اجتماعي (٤١) فإنه أقرب التفسيرات الى الصحة ، لأن غالبية قبائل البتر كانت تعيش حياة أقرب الى البداوة ، على عكس معظم قبائل البرانس التي نالت نصيباً من الحضارة ، وعاشت حياة استقرار ، لذا كانت الفوارق بين البتر والبرانس اجتماعية واقتصادية (٤٢) .

وإن لم نجد رأياً قاطعاً نصل به الى أصل هذا التقسيم ، فإن الحقيقة الثابتة في ذلك أن المؤرخين تعارفوا على هذا التقسيم ونسبت بعض القبائل الى البتر ، وأخرى الى البرانس ، وتفرعت قبائل كل قسم من هذين الجذمين البربريين الى قبائل عدة ، وخرجت من كل قبيلة بطون عديدة حتى تداخلت في بعضها البعض ، واختلفت انساب بعض القبائل فنسبت مرة الى البتر وأخرى الى البرانس

ويهمنا من البربر قبيلة زناتة التي يزعم بعض المؤرخين أن ابن خلدون اعتبرها بالذات فرعاً قائماً بذاته عن سائر البربر (٤٣) ، وأن المجموعات الأساسية التي تنقسم اليها مجموعة البتر هم لواتة ، ونفوسة ، ونفزاوة ، وبنو فاتن ومكناسة (٤٤) ، رغم أن ابن خلدون أخذ بما

(٣٩) انظر . سعد زغلول ، المغرب العربي ، ص ١٢٦ .

(٤٠) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٥ -

١٣٦ .

(٤١) السلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٧ - ٥٨ ، انظر ، ديوز ،

تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٤٢) انظر . مؤنس ، فتح ، ٦ ص ، العبادي ، في تاريخ المغرب

والانحلس ، ص ١٧ .

(٤٣) انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٦ ،

Gautier, op. cit, p. 217.

١٣٨ ،

Ency of Isl. (Art Al Butr), 2ed, V. 1, p. 1349.

(٤٤) انظر .

قال به النسابة ابن حزم بأن زناتة احدى قبائل البتر (٤٥) ، وقد أكد ابن خلدون نسب زناتة الى البتر بقوله « ان البتر الذين هم بنوا مادغيس الأبتري ومنهم زناتة اخوة البربر (٤٦) ، مما يؤكد أن زناتة واحدة من قبائل البتر كما ذكر ابن حزم وابن خلدون والمفريزي وغيرهم (٤٧) ، وأن بدء وجود زناتة بفريقية والمغرب مساو لبدء وجود قبائل البربر الأخرى ، ومنذ أحقاب متطاولة ، « وأنهم جيل قديم العهد بهذه البلاد » كما قال ابن خلدون وغيره (٤٨) .

وقد ذكر البعض أيضا أن زناتة في أصلهم عرب صراح ، وإنما تبربروا بالمجسورة ، والمخالفة للبربر المصاميد (٤٩) ، نسبة الى قبيلة مصمودة البربرية — وادعت بعض البطون الزناتية أنهم من العرب (٥٠) ، كما ادعى بعض أمراء زناتة النسبة الى انعرب

(٤٥) العبر ، ٦ ص ٩٠ - ٩١ .

Ency of Isl. (Art al Kahina), 2ed, V. 4. p. 22.

(٤٦) العبر ، ٧ ص ٣ ، وقد أذكر بعض الباحثين القول بأن زناتة فرعا من البربر مستقلا بداته ، (أنظر ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٩) .

(٤٧) فقد ذكر هؤلاء أن ولد مادغيس الذي لقب بالأبتري واليه نسبت قبائل البتر يجمعهم أربعة جذام هم ، اداس ، ونفوس ، وضري ، ولوى الكبير ، وولد ضري يحيى ، وتمزيت ، فولد يحيى بن ضري جانا أو زانا وهو أبو زناتة ، واخرته سمكان ، ورسطف ، فمن ولد سمكان زواغة ، ومن ولد ورسطف مكناسة ، ومن ولد لوى الكبير نفزاو ، ومن ولد نمزاو يطوفت ، ومن ولد يطوفت الهاصة الذى أمجب ترغاس ، ومن ولد ترغاس ورفجوم الذى نسبت اليه قبيلة ورفجوم ، فكانت مكناسة وزواغة ، وورفجوم من قبائل البتر ولكنهم لا يدخلون في نسب زناتة ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ابن خلدون العبر ، ٦ ص ٩٠ - ٩١ ، المفريزي ، البيان ، ص ٥٠ - ٥١) وبنسب ابن عذارى زناتة الى مادغيس الأبتري ، أى أنها واحدة من قبائل البتر ، (البيان ، ٩ ص ٦٥ ، وكذلك السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ ، أنظر Ency. of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223. لا ان الاصطخرى نسب زناتة خطأ

الى الجرافض ، (المسالك ، ص ٣٦) .

(٤٨) العبر ، ٧ ص ٧ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ .

(٤٩) الادريسي ، خزمة ، ٣ ص ٢٥٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص

٢٠٠ ، التجاني ، رحلة ، ص ١٤٣ .

(٥٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٦ .

أيضا (٥١) ، ولكنه ادعاء أنكره أحد ملوك زناتة من بني زيان عندما قيل له (٥٢) ، وذكرت آراء أخرى في نسب زناتة ولكنها لا ترقى الى مصاف الحقيقة التاريخية (٥٣) ، ولذلك لا تجدر مناقشتها •

أما عن نسب زناتة الى أصل عربي ، فاننا نلاحظ أن نسبة زناتة لم ينسبوا أنفسهم الى العرب الا في فترة متأخرة ، كما لم يذكر أن زناتة ترجع في أصلها الى العرب سوى المؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا عن المغرب بعد الغزوة الهلالية ، فأغلب الظن أن نسبة زناتة أعجبوا بالدخول في النسب العربي وترفعوا عن النسب البربري لأن النسب البربري أصبح يعنى الاذعان والخضوع ، ويعنى الالتزام بدفع ضرائب ثقيلة مصداقا لهذا الخضوع ، فنسبت زناتة نفسها للعرب أنفة وكبرياء من الانتساب الى البربر ، ويعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله « أن اسم البربر أصبح مختصا بأهل المغارم ، فأنفت زناتة منه فرارا من الهزيمة » (٥٤) • وقد كانت قبيلة صنهاجة التي نافست زناتة في الملك والعصبية نسبت أصلها الى حمير (٥٥) ، فصاهت زناتة نفسها ببني أمية من العدنانيين ، كما صاهت صنهاجة نفسها بجمير من اليمانيين (٥٦) ، هذا بالإضافة الى رغبة المفلوب في تقليد الغالب ، لأن الناس تبع للسلطان (٥٧) كما أن تفوق بعض العصبيات مدعاة لانجذاب آخرين اليهم فينتحلون نسبهم •

(٥١) نفسه ، ص ٢٣٥ •

(٥٢) نفسه ، ص ٢٣٧ •

(٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٧ ، ٧ ص ٣ - ٥ : الانصاري ، المنهل ، ص ٢٨ •

(٥٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٠ •

(٥٥) ابن دحية ، المطرب ، ص ٦٦ - ٦٧ •

(٥٦) أنظر ، شعيرة ، المرابطون ، ص ٦٠ •

(٥٧) ابن خلدون ، المفحمة ، ص ٦٨٣ •

فإذا كانت زناتة عملت على انكار ذاتها البربرية للانصباع بالصبغة العربية ، فذلك لأنهم كانوا يخلطون من ذكر أصلهم ككل البربر (٥٨) ، إلا أن الحق في نسب زناتة هو ما ذكره ابن حزم ، من أنها احدى قبائل البتر من البربر وماعدا ذلك فليس شيء منه بصحيح (٥٩) ، بالاضافة الى أن نسبة العرب لم يختلفوا على أن كل شعوب البربر ذات أصل بربرى فيما عدا صنهاجة وكتامة (٦٠) كما أنكر أحد ملوك زناتة النسب العربى حين سمع من قال به من أهل بيته (٦١) ، كما كان لزنانة لهجتها الخاصة بها ، والتي ميزتها عن كل قبائل البربر فضلا عن العرب (٦٢) .

أما عن أصل تسمية زناتة نفسه ، فالاسم تحريف لاسم أبى الجيل وهو جانا ، اذ أن البربر من زناتة اذا أرادوا الجنس في التعميم أضافوا الى الاسم المفرد تاء فقالوا جانات ، واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصارت جانائن ، ونطقهم لحرف الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب ، ولكنهم ينطقونها بين الجيم والشين وأميل الى السين ، ويقرب الى السمع منها بعض الصغير ، فأبدلت الجيم زايا لاتصال مخرج حرف الزاي بحرف السين ، فصارت زانات لفظ مفردا دالا على الجنس ، ثم الحقوا به هاء السكت ، وحذفوا الألف التي بعد الزاي لكثرة دورانه على الألسنة ، فأصبح زناتة اسما للقبيلة (٦٣) .

واذا كان البربر أشبه العجم بالعرب (٦٤) فان زناتة أشبه البربر

Gautier, op. cit, p. 218.

(٥٨) انظر .

(٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣ .

(٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٧ .

(٦١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٧ .

(٦٢) نفس المصدر والصفحة ، انظر Ency of Isl. (Art Zenata), 1ed,

t. 4, p. 1223 وما زالت اللهجة البربرية في واحد ميزاب ووارجلان في غرب

الجزائر وشرقى المغرب الحالى يطلق عليها لهجة زناتية .

(٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧ .

(٦٤) ابن قتبية ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٨٣ ، الضياف ، اتحاف،

ص ٨٦ .

بالمغرب فقد أخذت زناتة بكل شعائر العرب من سكنى الخيام ، واتخاذ الابل ، وركوب الخيل ، وألفة الترحال والمظن ، والابساء عن الانقياد (٦٥) ، وقد ظلت زناتة على حالتها هذه من البداوة حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وبعد أن استطاعت بعض بطونها إقامة دول بأرض المغرب ، أما شعائر زناتة بين البربر فهو اللهجة الخاصة بها ، والتي اشتهرت بها عن سائر رطانة البربر (٦٦) . وقد اجترأت معظم بطون زناتة سكنى الجبال والبادية (٦٧) ، لأنها أشبه بأولى العز وأليق بذوى الأنفة (٦٨) ، كما كان الكثير من بطون زناتة أصحاب ابل وغنم وسكان بيوت من شعر وأدم (٦٩) ، فكانت حياتهم في الصحاري والقفار والجبال سببا في خشونة أجسامهم (٧٠)

وتعد زناتة من اكبر قبائل البربر بطونا وعددا . فقد تعددت بطونها ، واتسعت مواطنها حتى شملت كل بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة وكذلك الأندلس ، اذ ذكر ابن حوقل أكثر من مئة من البطون الزناتية ثم أضاف أنه لم يصل « الى علم كثير من قبائلهم ، والبلاد التي تجمعهم ، والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهر في شهور ، والعلماء بأنسابهم وأخبارهم قد هلكوا (٧١) » ولأن قبيلة زناتة متعددة البطون كثيرة الفروع (٧٢) ، فقد نسب بعض المؤرخين قدامى ومحدثين قبائل بربرية ترجع الى أصول غير زناتية الى قبيلة زناتة (٧٣) ، كما شاركت زناتة في كل الأحداث التي وقعت بالمغرب

(٦٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، السلاوي ، الاستقصاء ، ٣ ص

Ency. of Isl. (Art Zenata). 1ed, t. 4, p. 1223.

٣ ، انظر .

(٦٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٦ .

(٦٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ .

(٦٨) المسعودي ، مروج ، ٢ ص ١١٩ .

(٦٩) الجزنائي ، زهرة الأس ، ص ٦ .

(٧٠) المسعودي ، مروج ، ٢ ص ٦٣ .

(٧١) صورة ، ص ١٠٣ .

(٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧ .

(٧٣) بعده .

الاسلامى مشاركة فعالة حتى أنه لا يمكن كتابة تاريخ المغرب في أمة مرحلة من مراحل أو بقعة من بقاعه دون ذكر لبعض بطون زناتية .

وقد اتفق النسابة والمؤرخون على أن بطون زناتة ترجع في أصلها الى ثلاثة من ولد جانا أبى الجيل كله والذي نسبت اليه القبيلة وهم : ورسيك أو ورسيج والديريت أو الديديت وفرنى أو فرينى (٧٤) . وقد تفرعت هذه الفروع الثلاثة عن جانا الى عدد كبير من البطون الزناتية بعضها اتصلت أنسابه الى أبى الجيل كله ، والبعض الآخر لم يتتبع المؤرخون سلسلة نسبهم واكتفوا بالقول أنهم من زناتة مثل بنى الخروبي بلقنت (٧٥) من بلاد الأندلس ، وبنى عزون أمراء شسنت شنت بريية (٧٦) بالأندلس في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى (٧٧) ، كذلك لم يتابع المؤرخون والنسابة البطون التى تفرعت عن بعض ولد جانا ، ووقفوا بأنسابهم عند أجيال سابقة لفترة البحث بقرون مثل منجصة ونمالته (٧٨) ، فكان لمنقطاع أنساب بعض للبطون الزناتية الأولى تفسيراً لما وجد من بطون زناتية اكتفى المؤرخون بالإشارة الى أنهم من زناتة دون أن يذكروا سلسلة نسبهم الى جانا أبى الجيل كله . أما أكبر وأهم البطون الزناتية التى عاشت ببلاد المغرب

(٧٤) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ص ٥ ، ويتابع النسابة تفرع هذه الاصول الثلاثة فيذكرون أن من ولد ورسيج أو ورسيك ، بنى مسارت أو مسرة ، وبنى تاجرت أو تاجرة ، وبنى واسين ، ومن ولد الديريت أو الديديت : الغانا ولقب دمر الذى نسبت اليه بطون بنى دمر ، وزاكيا الذى تفرعت عنه قبائل مغراوة وبنى يفرن ، ومن ولد فرينى أو فرنى : برمزختا أو برمزيتا ، وورجله أو وركله ، ومنجصة أو منجيسة ونماله أو نمالته ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ - ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ وما بعدها ، المقريزى ، البيان ، ص ٥٠ وما بعدها) .

(٧٥) هي عبارة عن حصن من أعمال لاردة بالأندلس ، عنها ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣٣٦ .

(٧٦) مدينة بالأندلس شرقى قرطبة وتبعد عنها ثمانون فرسخا ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٥ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٧٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ .

(٧٨) نفسه ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

مع بداية الفتح الاسلامي ولعبت دورا في تاريخ المغرب فهي : مغراوة ،
وبنو يفرن ، وجراوة ، وبنو واسين ، وبنو دمسر ، وبنو يرنيان ،
وبنو ومانسوا ، وبنو يلومي وغيرهم (٧٩) ، ولكل من هذه البطون
الزناتية فروع انبثقت عنها .

ولقد انتشرت بطون زناتة في كل شمالي أفريقيا بأقسامه
الثلاثة ، كما عبرت بعض بطونها الى الأندلس واستقرت فيه ، فقد
استقرت بطون زناتية بجبال طرابلس وضواحيها ، وبحبل أوراس
ومنطقة الزاب (٨٠) ، أما المغرب الأوسط فقد استقرت به الكثير من
البطون الزناتية خاصة ما بين تلمسان (٨١) وتاهرت (٨٢) ، وكانت
لزناتة السيادة على المغرب الاوسط قبل الفتح الاسلامي للمغرب وبعد
الفتح ايضا ، ولا غرو فقد عرف المغرب الاوسط بهم ونسب
اليهم فسمى مغرب زناتة (٨٣) ، وفي المغرب الاقصى ضربت بعض بطونهم

(٧٩) ومن بطون زناتة ايضا وجد يجن وكان جمهورهم بالمغرب
الأوسط في منداس احدى مدن كورة تاهرت (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٠ ،
المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢١٨) ، وقبيلة أوغمرت التي كان لها
دورها في مساندة أبي يزيد مخلد الزناتي في حربه ضد الفاطميين ، (ابن
خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٠) وبنيو راشد ومواطنهم بين تلمسان وتاهرت
في الجبل الذي نسب اليهم ، وبهم نسبت الخيل الراشدية التي كانت
توجد بتلمسان ولها فضل على سائر الخيل (ابن عذاري ، البيان ،
١ ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥٢ ، ياقوت ، البلدان ، ٢ ص
Guatier, op cit, p. 222.
٤٠٨ ، أنظر .

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ .

(٨١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، أنظر .
Hill, Islamic Architecture, p. 110.

(٨٢) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ، أنظر ، السيد عبد العزيز ،
المغرب الكبير ، ٢ ص ٦١٦ ، عنها ، أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص
٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٨٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، أنظر ، دبوز ، تاريخ المغرب
الكبير ، ٣ ص ٣٣ .

حتى المحيط الأطلسى (٨٤) ، وفي الصحارى ما بين غدامس (٨٥) ، والسوس الأقصى ضربت الكثير من البطون الزناتية خاصة ببلاد الجريد ، اذ كانت معظم القرى الجريدية بالصحراء منهم (٨٦) * وقصارى القول ان بطون زناتة احتلوا الصحارى والهضاب التى تمتد من غدامس الى المغرب الأقصى ، وأن الجزء الغربى من المغرب الأوسط ، ومنطقة الصحارى المجاورة له كانت مناطق سيادتهم (٨٧) * .

وقد دانت بطون زناتة ببعض المذاهب الاسلامية المختلفة ، مما كان سببا في تفرق كلمتها وعدم اجتماعها على رئاسة واحدة ، فقد تحولت زناتة الى الاسلام في سهولة ويسر مع أول الفتح الاسلامى لبلاد المغرب (٨٨) * ثم تحولت بعض بطونها الى مذهب الخوارج : الصفرية والاباضية — وهما مذهبان اسلاميان — ، وضربوا فيهما بسهم ، وقتلوا عليهما دفاعا عنهما (٨٩) ، وتحولت الكثير من البطون الزناتية الى مذهب المعتزلة (٩٠) المعروف ، أم مغراوة أقوى البطون الزناتية وصاحبة الزعامة فيهم فظلت على مذهب أهل السنة ، الا أن بعض بطون زناتة لسم تثبت على مذهب بعينه ، فقد تحولوا من مذهب الى آخر مثلما كان من بنى يفرن الزناتيين الذين اعتنقوا مذهب الخوارج وحاربوا دفاعا عنه ثم تحولت معظم بطونهم الى مذهب أهل السنة قبل انتهاء القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، مما حدا بابن حزم أن يعتقد « أن كل بطون زناتة معتزلة ، حاشا بنى

(٨٤) السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٢٣٨ .

(٨٥) وهي تقع جنوب المغرب الى القرب من بلاد السودان ، يلقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢٦٨ .

(٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ .

(٨٧) انظر ، Ency of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223 .

(٨٨) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ ، انظر ،

Ency of Isl. (Art Maghrawa) 1ed, t. 3, p. 106 .

(٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، عن مذهب الخوارج الصفرية والاباضية ، انظر ، بعده .

(٩٠) أبو زكريا ، كتاب السيرة ، وركات ١٩ — ٢١ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، الدرجينى طبقات ، ١ وركات ٢٦ — ٢٨ .

برزال وبنى واسين فهم اباضية ، أما جمهور مغراوة وبنى يفرن
ففسنية » (٩١) .

وإذا كان رسم خريطة دقيقة لتوزيع بطون قبيلة من قبائل البربر
على أرض المغرب في القرون الأربعة الأولى للهجرة من الصعوبة بمكان ،
فمما لا شك فيه أن رسم هذه الخريطة لقبيلة : نائمة يعمل من يحاول
التأريخ لها لا يملك أن يصدر أحكاما نهائية ، لكثرة البطون الزناتية ،
ولترحالهم من مكان الى آخر ، إذ كانت غالبية بطون زناتة بدوا
يظنون وراء الانتجاعات ، كما أن أقدم الروايات التاريخية أو
الوصف الجغرافي عن المغرب يرجع الى النصف الثاني من القرن الثالث
الهجري ، الى جانب أن هؤلاء الكتاب الأوائل لم يهتموا بالمعلومات
التفصيلية عن القبائل البربرية ، وعن توزيع مواطنها ، وإنما تكلموا
عنها بشكل عام . وأول ما وصل إلينا من كتابات تفصيلية عن
قبائل البربر هو ما كتبه ابن خلدون ، ورغم ذلك فإن كتابات ابن خلدون
لا تخلو من الكثير من الغموض والاضطراب ، وعذر ابن خلدون هو
عذر كل من يحاول التأريخ لتحركات القبائل عامة .

وعن بطون زناتة بالتفصيل وكل على حدة ، تكون لقبيلة
مغراوة الصدارة ، إذ أنها أقوى بطون زناتة ، وأهل البأس
والغلب منهم (٩٢) ، وكانت لهم الرئاسة على المغرب الأوسط مع
بنى يفرن الزناتيين ، وقد ظلت مغراوة على رئاسة زناتة من قبل
الفتح الاسلامي للمغرب حتى شردت القبائل الزناتية في الصحاري
على يد قبيلة صنهاجة وأنصارها بعيد خروج الفاطميين الى مصر ،
ولا غرو فقد كان من مغراوة أمراء زناتة وأشهر قوادها حتى أسماهم
ابن حوقل ملوك زناتة (٩٣) . وقبيلة مغراوة اخوة بني يفرن ويرجعون

(٩١) ابن خزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ .

(٩٢) السلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ١٨٩ .

(٩٣) صورة ، ص ١٠٢ .

الى أب واحد (٩٤) ، وقد تفرعت من مغراوة بطون كثيرة منهم :
بنو سنجاس ، وبنو زنداك أو زنداج ، وبنو روا ، وريغة ، والأغواط ،
وبنو ورسيغان ، وبنو خزر أو خزرون الذين كانوا أقوى بطون
مغراوة ، وكانت لهم الرئاسة على مغراوة بكل بطونها كما كان منهم
القواد والزعماء (٩٥) .

وكان لمغراوة ملك كبير بالمغرب قبل قدوم العرب الماتحين
اليه ، وظل لهم الملك بعد الفتح الاسلامي للمغرب ، وذلك لتحولهم
الى الاسلام مع أول الفتح ، اذ ذهب أمير مغراوة صولات بن وزمار
في أول الفتح العربي للمغرب الى الخليفة عثمان بن عفان بالمدينة
وأسلم على يديه ، فعقد له الخليفة على قومه ووطنه ، فانصرف أمير
مغراوة الى المغرب مواليا لعثمان وبنى أمية ، وظلت مغراوة على ولائها
للأمويين حتى بعد أن أصبحوا أمراء الأندلس ، وقيل أن أمير مغراوة
هذا قبض عليه أسيرا أول الفتح الاسلامي للمغرب في إحدى الحروب
التي وقعت بين العرب والبربر ، فأرسل الى عثمان بن عفان لمكانه من
قومه ، فأسلم صولات على يد عثمان الذي اعتقه ورده الى بلاده بعد
أن عقد له على قومه وعمله ، وحسن اسلام صولات وتبعه قومه من
مغراوة ، فظلت مغراوة تدين بالولاء لعثمان وأهل بيته من بنى أمية ،
واختصوهم بهذا الولاء دون غيرهم من سائر قريش ، فكان هذا
الولاء سببا في مظاهرة مغراوة للدعوة الاموية بالأندلس (٩٦) . وكان

(٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٤ .

(٩٥) يقول المؤرخون بأن قبيلة سحراته اخوة مغراوة لأهمهم ، لذا دخل
نسبهم في مغراوة ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٧ ، ابن عذاري ، البيان ، ١
ص ٦٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩١ ، المقريري ، البيان ، ص ٥٢) .
(٩٦) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٤
ويذكر ابن الخطيب أن أمير مغراوة حينذاك هو حرب بن حفص بن صولات
وليس صولات بن وزمار وأنه أخذ أسيرا ولم يذهب مهاجرا (أعمال الأعلام ،
٣ ص ١٢٣) ، ويردد السلوي نفس القصة ، (الاستقصاء ، ١ ص ٢٦٢) ،
ويذكر الجيلالي أن صولات بن وزمار ذهب الى الخليفة عثمان بن عفان في
صحبة ابن أبي سرح ، (أنظر ، تاريخ الجزائر ، ٦ ص ١٩٢) ، أما الزاوي
فيذكر أن صولات أسر في موقعة سبيطة (أنظر ، تاريخ المتح العربي ، =

اسلام مغراوة مع بداية الفتح الاسلامي للمغرب سببا في انضمامهم للمسلمين ومساعدتهم في اتمام فتح المغرب (٩٧) .

وأغلب الظن أن صولات بن وزمار أمير مغراوة ذهب بمحض اختياره إلى المدينة ، وأسلم على يدى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، أما قصة أسره في إحدى المعارك فيعثر بها الشك ، ولا تصمد كثيرا للنقد ، إذ لم يشر أحد المؤرخين المشاركة إلى أسر صولات ، وهم الذين عدوا كل عاردة وثاردة مرت على المدينة ، ولم يكن صولات هذا شخصا عاديا غفلا من الذكر ، إذ كان أميراً لواحدة من أقوى القبائل البربرية بالمغرب ، وقد أفاض المؤرخون حول قصة أسر ابنة الملك جرجير التي أسرت في موقعة سبيطة (٩٩) ، ولم يكن صولات بأقل منزلة في قومه منها في دولة أبيها ، ومما يدفعنا إلى الشك في قصة الأسر طبيعة أمراء زناتة عامة ، وأنفة أمراء مغراوة خاصة ، فدائما كانوا يفضلون الموت بأيديهم أو بيد أعدائهم في المعركة إذا كان الأسر هو البديل ، إذ نرى أن الكاهنة الزناتية أميرة جراوة ترفض أن تمسلم نفسها أسيرة لحسان بن النعمان بعد أن عرض عليها ذلك ، وفضلت أن تقتل في ساحة الحرب حتى لا تقلد قومها عارا (٩٩) ، وكذلك فعل يعلى بن محمد أمير بني يفرن الزناتيين في خربة مع جوهر قائد الشيعة (١٠٠) ، أما أمير مغراوة محمد بن الخيزر حفيد صولات بن وزمار فقد ذبح نفسه بيده عندما حاصرت قوات صنهاجة ولم يجد بدا من

= ص ٥٨) ، إلا أن الجيلالي والرازي لم يذكر المصادرات التي اعتمدا عليها في ذلك ، كما لم يقدم تفسيراً يبين لما أخذ به من رأى وتحديد الفترة التي هاجر فيها صولات أو الموقعة التي أسر فيها ، أما المصادر التي أمكنني الاطلاع عليها وكثير من المراجع تقدم قصة الهجرة مع قصة الأسر .

(٩٧) ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٠٨ .

(٩٨) عنها ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣ .

(٩٩) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ٦٢ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص

٣٨ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٣٣ .

(١٠٠) بعده .

التسليم (١٠١) ، وآخر من أمراء مغراوة بالاندلس وهو محمد بن خزرون الذى قتل امرأته وأخته حين أيقن أن الأسر مصيره ومصيرهما ، ثم قاتل حتى قتل (١٠٢) ، فكيف نصدق استسلام أمير مغراوة للأسر فى وقت كانت فيه مغراوة فى قمة قوتها وعظمتها كما كان لها ملك كبير بالمغرب ، وبالرأى القائل بأن زعيم مغراوة ذهب بمحض اختيـاره وليس أسيرا أخذ بعض المؤرخين (١٠٣) ، وإن لم يقدم الدليل •

أما عن مواطن بطون مغراوة فقد كانت منتشرة فى أصقاع شمالى أفريقيا : افريقية ، والمغربين الأوسط والأقصى ، ففى افريقية كانت بعض بطون مغراوة تعيش فى جبل طرابلس ، وأخرى تضرب على ثلاثة مراحل من مدينة طرابلس (١٠٤) ، وفى نواحي قسنطينة كانت تعيش بطون بنى سنجاس وبنى ورا (١٠٥) ، وفى منطقة الزاب كانت بطون أخرى من بنى سنجاس ومعهم بطون بنى ريغة ، وهم الذين عرفت قصور الزاب باسمهم فيما بعد (١٠٦) ، ولم تكن افريقية خلوا من بعض بطون بنى خزر أقوى بطون مغراوة وأصحاب الرئاسة على المغرب الأوسط ، فكان منهم من يضرب حول بسكرة وقرب طبنة فى وادى مطماطة (١٠٧) ، وأخرى فى وارجلان بالزاب (١٠٨) ، أما بين مقرة التى تبعد مرحلة عن طبنة إلى جهة المسيلة فكانت تضرب بطون بنى زنداك أو زنداج (١٠٩) وهم احدى بطون مغراوة (١١٠) •

-
- (١٠١) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٩ •
 (١٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ص ٢٧٣ •
 (١٠٣) انظر ، Ency. of Isl. (Art Maghrawa) led., t3, P. 106.
 (١٠٤) ابن خلدون ، المعبر ، ص ١٤٣ •
 (١٠٥) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٤٧ - ٤٨ •
 (١٠٦) نفسه ، ص ٤٧ •
 (١٠٧) البكرى ، المغرب ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ص ١٩١ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٦٥ •
 (١٠٨) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٠ •
 (١٠٩) اليعقوبى ، ، البدان ، ص ١٠٣ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ •
 (١١٠) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٧ ، ص ١٣ ، ١٥ •

والمغرب الأوسط الذي هو ديار زناتة ، فكان لمغراوة السيادة عليه ، وبخاصة بنو خزر منهم (١١١) ، فكان بنو خزر ملوك مغراوة يعيشون في تلمسان وتضرب بطونهم في أعمالها (١١٢) ، كما انتشرت بطونهم بين تلمسان وتاهرت أيضا (١١٣) ، وفي كورة تاهرت كانت مغراوة تضرب ما بين مليانة ومازونة وحول تاهرت ، مما حدا ببعض المؤرخين أن يعتبر بنو خزر ملوكا لمدينة تاهرت (١١٤) ، وحقيقة القول ان بنو خزر كان لهم السلطة في تاهرت في فترات متقطعة أيام وجسود الفاطميين بالمغرب ، وكان الصراع عنيفا بين مغراوة والفاطميين للاستيلاء على هذه المدينة ، ونجحت مغراوة حينما في الاستيلاء على تاهرت ، إلا أن الفاطميين نجحوا دائما في استردادها منهم (١١٥) . أما بطون بنو سنجاس فكانوا يضربون بجبل راشد وجبل كريكرة ونواحي شلف ، وكانوا أكثر القبائل عددا بهذه المنطقة (١١٦) ، وكان يعيش بينهم بنو ورسيفان المغراويين الذين كانوا على جهالة واعتقاد في الخرافات (١١٧) ، وبين منطقة الزاب وجبل راشد كانت تظن بطون الأغواط المغراوية (١١٨) ، وعلى أربعة مراحل شرقي وهران حيث المفاوز والارض الرملية كانت تعيش بعض بطون مغراوة (١١٩) ،

(١١١) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٤ ، ٦ ص ١٠٢ .

(١١٢) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ٢٢ ، انظر Hill, Op. Cit., P. 110.

(١١٣) الادريسي ، بزمة ، ٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

(١١٤) ابن الحطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٥٣ ، انظر ، بونار ، المغرب العربي ، ص ٨٢ .

(١١٥) بعده .

(١١٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٤٧ ، وعن شلف ، انظر ، محمد بن

تأوييت ، محقق ، التعريف ، ص ٢٩ هامش .

(١١٧) البكري ، المغرب ، ص ١٨٩ ، انظر ، الجيلالي ، تاريخ الجزائر ،

١ ص ٣٧١ .

(١١٨) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٤٨ .

(١١٩) البكري ، المغرب ، ص ٧٢ .

وكانت مدينة مستغانم التي يصب في شريقها نهر شلف غرضة لمغراوة (١٢٠) . وخلاصة القول ان العديد من بطون مغراوة كانت تعيش بالمغرب الأوسط ، وأن مضاربها به كانت في المنطقة التي تمتد من الشلف وحتى تلمسان وجبسال مديونة التي هي في شرقي المغرب الحالي وأن قلب بلاد مغراوة كان في سهول الشلف العليا وحتى الصحراء (١٢١) .

وفي المغرب الأقصى كانت تعيش بعض بطون مغراوة الى الشرق من مدينة جراوة (١٢٢) ، كما كانت بطون مغراوية أخرى تضرب في وهاد جبال درن مجاورين لقبائل مصمودة به (١٢٣) ، وكانت غالبية بطون بني ورا المغراويين يعيشون في المنطقة التي بنيت فيها مدينة مراكش — فيما بعد — من بلاد السوس ، وقد ظلوا بمواطنهم هذه حتى نقلهم أحد سلاطين بني مرين الزناتيين في أول المائة الثامنة للهجرة / الرابع عشر للميلاد (١٢٤) ، كما أن بعض بطون بني سنجاس المغراويين كانت تظن في ربوع المغرب الأقصى (١٢٥) ، ولم يحدد أحد من المؤرخين أو الجغرافيين مواطن استقرار لها فيه .

ولم تكن بلاد الأندلس خلوا من مغراوة ، فقد استقرت بعض بطونها في الجوف من بلاد الأندلس (١٢٦) ، ولم يذكر المؤرخون أو

(١٢٠) أبو القدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٦ .

(١٢١) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٨٦ ، انظر . Gautier, Op. Cit., P. 383; Ency of Isl. (Art Maghrawa), Ied., t.3, 106. ومدينة شلف مدينة .

قديمة اليها نسب النهر الذي عرف بنهر شلف ، مجهول (الاستبصار ، ص (١٧١) .

(١٢٢) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٠٤ ، النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ ، عنها ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٢٣) الإدريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٧ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٠٨ .

(١٢٤) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٤٨ .

(١٢٥) نفسه ، ص ٤٦ .

(١٢٦) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ١١٣ .

الجغرافيون مواطن أخرى لمغراوة بالأندلس ، رغم كثرة من جاز منهم الى الأندلس وبخاصة أثناء حكم الناصر الاموى ، وإبان حكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر ، فيبدو أن من هاجر منهم الى الأندلس كر راجعا الى شمالى أفريقيا بعد أن أقامت بطون مغراوية امارات مستقلة فى فاس وسجلماسة قبل وقوع الفتنة بالأندلس . وذلك لأن بطون مغراوة كانت تربط قوة العصية فيما بينهم ، وكأنهم كانوا يعيشون تحت خيمة واحدة (١٢٧) ، وربما كانت قوة العصية بينهم بسبب بقائهم على حياة البداوة ، فقد ظلت سمة البداوة هى الغالبة على بطون مغراوة ، وظلت بيئة الصحراء تجذبهم ، ومولثيهم وخيولهم خير ما يملكون ، وحتى بعد أن أقاموا امارات مستقلة بالمغرب « لم ينتحلوا من الألقاب إلا اسم السلطان جريا على مذهب البداوة » (١٢٨) .

وقد ظل جمهور مغراوة على مذهب أهل السنة (١٢٩) . كما ظلت عاصمتهم تلمسان دار العلماء والمحدثين وحملتة الرأي والعلم على مذهب مالك (١٣٠) ، منذ أن استولت عليها مغراوة من أيدي بنى يفرن قبيل قيام دولة الادارسة (١٣١) . إلا أن بعض بطون مغراوة تحولت الى مذهب الخوارج ، فأخذت به بعض بطون بنى سنجاس (١٣٢) أما بنو زنداك أو زنداج فقد تحولوا الى مذهب الخوارج النكارية على يد أبى يزيد مخلص بن كيداد الزناتى إبان حكم الفاطميين بالمغرب (١٣٣) ،

(١٢٧) أنظر . Gautier, Op. Cit., P. 388.

(١٢٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤١١ .

(١٢٩) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ .

(١٣٠) البكرى ، للمغرب ، ص ٧٧ ، ومدينة تلمسان هى قاعدة المغرب

الأوسط ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص

١٩) ، وتلمسان فى لغة زناتة مركبة من كلمتين تلم ، سان ومعناها تجمع

اثنين البحر والبحر ، (ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٧٦) .

(١٣١) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٢٥ .

(١٣٢) نفسه ، ص ٤٧ .

(١٣٣) نفسه ، ص ٢٤ ، ١٥ .

(م . ٥ - زناتة والخلافة الفاطمية)

كما دانت بطون مغراوة المضاربة في الصحارى شرقى وهران بمذهب المعتزلة مذهب أصحاب واصل بن عطاء (١٣٤)، أما بنو خزر الذين كانوا حول بسكرة فظلوا على المذهب المالكي (١٣٥) .

كذلك كان بنو يفرن من أكبر البطون الزناتية وأقواها (١٣٦) ، ويقال لهم ايفرن أو أفرن (١٣٧) ، وقد تضاربت الآراء حول سلسلة نسبهم الى جانا أبو زناتة (١٣٨) ، ولكنهم لم يختلفوا حول نسبهم الى قبيلة زناتة ، وأنها واحدة من أكبر بطون زناتة وأوسعها انتشارا بأرض المغرب ، وأشدهم شوكة وأكثرهم بأسا منذ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب (١٣٩) . وقد انتشرت بطون بنو يفرن في المغرب بأقسامه الثلاثة ، كما انتقلت بعض بطونهم الى الأندلس واستقرت بها بعد الفتح الاسلامي لها .

ففى افريقية كانت مضارب بنو يفرن بجبل طرابلس (١٤٠) ، واليهم نسبت مدينة يفرن التى تقع في الجهة الشرقية من وادى الرومية بجبل طرابلس ، والتى كانت تعرف بالببيضاء قبل الفتح الاسلامي للمغرب (١٤١) ، وفي جبال أوراس عاشت بطون أخرى من بنو يفرن

(١٣٤) البكرى ، المغرب ، ص ٧٢ ، عن مذهب المعتزلة ، انظر ، بعده ، وان اعتبر البكرى ، الواصلية فرقة من فرق الخوارج ، (البكرى ، نفس المصدر والصفحة) .

(١٣٥) نفسه ، ص ٥٢ .

(١٣٦) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٦٢ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٩ ، ابن الخطيب ، اصال الاعلام ، ٣ ص ١٦٤ .

(١٣٧) السمعاني ، الانساب ، لوحة ٦٠٢ .

(١٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١١ ، ٢٢٢ .

(١٣٩) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٤٣ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ١٨٩ ، انظر . Gautier, Op. Cit., P. 388.

(١٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ١٦٩ ، ٦ ص ١٠٣ .

(١٤١) انظر على يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، القسم الثانى ، ص ٢١٩ ، لم يذكر ياقوت عن مدينة الببيضاء سوى أنها كسورة بالمغرب ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٣٥ ، أما مدينة يفرن فلم يشر اليها .

مع غيرها من البطون الزناتية (١٤٢) ، كما كانت بطون من بنى يفرن تسكن بلاد قسطينية وتوزر (١٤٣) وأخرى في منطقة الزاب وبلاد الجريد (١٤٤) إذ أن أفريقية كلها الى طرابلس كانت ديارا لبنى يفرن مع غيرهم من القبائل (١٤٥) ، وقد ساندت بطون بنى يفرن أبا يزيد مخلد الزناتى في ثورته على الفاطميين بما كان لهم معه من العصبية (١٤٦) ، فلما هزم أبو يزيد عمل الفاطميون وصنهاجة على تصفية بطون بنى يفرن بأفريقية بالقهر ، وانزال العقوبات بالأنفس والأموال ، فتركت غالبية هذه البطون مضاربها بأفريقية ، وارتحلت ناجية بنفسها ، وبقيت منهم قلة نزلوا ما بين القيروان وتونس يظعنون في نواحيها (١٤٧) .

وفي المغرب الأوسط كانت غالبية بطون بنى يفرن فهو ديار زناتة التي عرفت بهم واتخذت اسمهم ، وقد تناوبت بنو يفرن مع مغراوة السيادة على المغرب الاوسط ومدينة تلمسان التي كانت قاعدة المغرب الاوسط وأم ديار زناتة ، ولا غرو فان بنى يفرن هم الذين أنشأوا مدينة تلمسان في قلب موطنهم (١٤٨) ، فتهكموا في المغرب الاوسط كله لأن تلمسان كانت باب أفريقية وقفل باب المغرب ولا بد للداخل اليه والخارج منه من الاجتياز بها (١٤٩) ، كما أن مدينة أرشقول كانت فرضة تلمسان وتقع على بعد عشرين ميلا

(١٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ .

(١٤٣) نفسه ، ص ١٣ ، الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، عنهما

انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٨٨ ، ٢ ص ٤٢٨ .

(١٤٤) نفسه ، ص ٤٧ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، انظر ،

بونار ، المغرب العربي ، ص ١٨٢ .

(١٤٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٣ .

(١٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٣ .

(١٤٧) نفسه ، ص ١٧ ، عن القيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص

١٩٣ - ١٩٥ .

(١٤٨) نفسه ، ص ٧٦ ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 388

(١٤٩) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٠ ، انظر ، بروفنسال ، نخب ،

ص ١٨ .

منها (١٥٠) ، وقد ظلت تلمسان في أيدي بني يفرن الذين أقاموا إمارة بها (١٥١) ، ثم استولت عليها مغراوة قبيل قيام دولة الإدارة بالمغرب الأقصى (١٥٢) ، فظلت بطون من بني يفرن تضرب حول تلمستان إلى الجنوب والجنوب الغربي منها ، وفيما بين تلمسان وتاهرت (١٥٣) ، حتى أقام أحد أمراءهم مدينة أفكان سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، واتخذها معسكرا لرؤاسته وعاصمة لبني يفرن (١٥٤) ، وكان موقع هذه المدينة في الجبل الذي عرف بجبل راشد (١٥٥) ، وعلى بعد مرحلتين من تلمسان (١٥٦) . وقد ظلت مدينة أفكان عاصمة لبني يفرن حتى كانت غزوة جوهر الصقلي للمغربيين الأوسط والاقصى فخرت المدينة وأحرقها بعد أن قتل زعيم بني يفرن وهزم جيوشه (١٥٧) .

وفي المغرب الأوسط أيضا كانت بعض بطون بني يفرن تسكن إلى الغرب من قنداس إحدى مدن كورة تاهرت (١٥٨) ، كما كان يسكن

(١٥٠) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٢ .

(١٥١) ابن خلدون ، المغرب ، ص ١٢٢ .

(١٥٢) نفسه ، ص ٢٥ ، انظر .

Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t3, P. 107..

(١٥٣) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٧ ، ابن أبي زرع ، الأنيس ، ص ٢٣ ، انظر ، ابن متصور ، قبائل المغرب ، ص ٢٤٠ ، محمود اسماعيل الخوارج ، ص ١٤٦ .

(١٥٤) البكري ، المغرب ، ص ٧٩ ، انظر . Ency. of Isl. (Art Zénata), led., t4, P. 1223: إلا أن البعض ينسب بناء مدينة أفكان إلى

يعلى بن عبد الله بن بكار ، (انظر بوقار ، المغرب العربي ، ص ٢٢١) ، أما الذي استسها فهو يعلى بن محمد التيفرنى زعيم بني يفرن وأميرها . (البكري ، المغرب ، ص ٧٩ ، انظر . الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ص ٢٩٧) وعن أفكان ، يافوت ، معجم البلدان ، ص ٣٠٦ .

(١٥٥) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٧٩ ، انظر .

(١٥٦) المقنسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧ ، البكري ، المغرب

ص ٧٩ .

(١٥٧) الأزدي ، أخبار الدول المنتظمة ، ورقة ٤٧ .

(١٥٨) المقنسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٨ .

المديد من يطون اليغرنية حول مدينة تاهرت (١٥٩) ، التي كانت قاعدة ليلاذ زناتة وعاصمة رئيسية لها على قدم المساواة مع تلمسان (١٦٠) ؛ وقد كانت تاهرت مركزا لتجمع بطون بني يفرن الزناتية على وجه الخصوص ، وكانوا قوة لها وزنها في هذه المدينة حتى أنهم تدخلوا في اختيار أئمة بني رستم (١٦١) ، ونافسوا أئمة الدولة الرستمية على كرسى الحكيم في تاهرت (١٦٢) ، وقد ظلت بطون بني يفرن تضرب في المغرب الأوسط حتى أقصاهاهم يليكن بن زيري زعيم صنهاجة الذي الصيجاري قبيل انتقال البعز لدين الله الفاطمي الى مصر .

وفي المغرب الأقصى كانت يطون من بني يفرن تعيش الى الشرق من مدينة جراوة (١٦٣) ، التي تقع بين تلمسان ووادي ملوية ، أي الى الغرب من تلمسان وعلى بعد مرحلتين منها (١٦٤) ، وإلى الشرق من وادي ملوية وعلى بعد مرحلة واحدة منه (١٦٥) ، كما كانت بطون أخرى تضرب في الجبل الذي يقع على بعد أربعة أميال من مدينة جراوة (١٦٦) . ولم تكن الاراضي المحيطة بطنجة خلوا من بطون بني

(١٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٢ ، انظر ، محقق الأنيس ، ١ ص ١٧ مامش .

(١٦٠) السلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ١٧٤ ، انظر .
Gautier, Op. Cit., P. 222

(١٦١) الشماخي ، السير ، ص ١٤٥ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩٨ .

(١٦٢) نفسه ، ص ١٥١ - ١٥٢ .
(١٦٣) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٦ ، البكري ، المغرب ، ص ١٤١ ، ومدينة جراوة أسسها أبو العيش عيسى بن أدريس سنة ٢٥٧ هـ ، (ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٦) ، أو سنة ٢٥٩ هـ (البكري ، المغرب ، ص ١٤١) ، عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٦٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٤٧ .
(١٦٥) البكري ، المغرب ، ص ٩٩ .

(١٦٦) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

يفرن (١٦٧) ، وحول مدينة سلا كانت تعيش بطون من بنى يفرن ثم اتخذوها دار ملك لهم بعد أن ارتحلت بطون أخرى من بنى يفرن اليها نتيجة للصراع مع قبيلة مغراوة الزفانية (١٦٨) ، وكذلك كانت تادلا أو تادلة الواقعة بين جبال منهاجة وجبال درن مضارب لهم ثم دار أمارة (١٦٩) .

وفي الأندلس أيضا استقرت بطون من بنى يفرن ، جازت بعضها الى الأندلس مع الفاتحين العرب ، ثم توالى الهجرة بعد ذلك الى الأندلس ، الا أن هجرة بطون بنى يفرن الى الأندلس ازدادت بعد قيام الخلافة الفاطمية في المغرب واضطهادها لبطون زناتة ، وقتل الفاطميين لزعيم بنى يفرن وحرقتهم مدينة افكان عاصمتهم (١٧٠) ، ثم كان النزاع بين بطون بنى يفرن على الرئاسة بعد مقتل زعيمهم سببا في ارتحال كثير منهم الى الأندلس ، والانضمام الى المنصور بن أبى عامر (١٧١) ، ثم كانت الفتنة بالأندلس واستقلال البربر وغيرهم من العرب بحكم ولاياتها ، فاستقل بنو يفرن ببلاد رندة حاضرة تاركنا (١٧٢) ، وخطب لهم لى مغابر مالقة ، وسائر بلاد رية (١٧٣) ، كما استولوا على السلطة في جيان وما حولها (١٧٤) ، وكانت لهم سرقسطة (١٧٥) ،

-
- (١٦٧) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣١ ، انظر ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخي ، خريطة ١٢ .
- (١٦٨) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٦٥ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٩٤ ، ومدينة سلا هي التي كانت تعرف بمدينة شلة قبل الفتح الاسلامي للمغرب ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٠) .
- (١٦٩) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٥ ، انظر ، العبادى ، الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، ص ٦٦ .
- (١٧٠) مجهول ، نبذ ، ص ٤٥ .
- (١٧١) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ .
- (١٧٢) المراكشى ، المعجب ، ص ٦٨ ، ابن الدلائى ، نصوص ، ص ١٠٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ .
- (١٧٣) مجهول ، ذيل على كتاب البيان ، ٣ ص ٣١٣ .
- (١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١١٣ ، وجيان تبعد عن قرطبة خمسون ميلا ، ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٨٤ .
- (١٧٥) المقرئ ، نفح ، ٣ ص ٥٦١ .

كما كان أحد امراءهم حاكما على قرطبة لمدة عامين (١٧٦) • وهذا يوضح لنا كثرة من هاجر من بنى يفرن الى الأندلس واستقر بها •

ولم تتحول بطون بنى يفرن الى الاسلام مع أول الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، كما فعلت مغراوة الزناتية ، بل قاوموا العرب الفاتحين مع قبيلة جراوة الزناتية وزعيمتها الكاهنة (١٧٧) ، وبعد هزيمة الكاهنة الزناتية ومقتلتها تحولت بطون بنى يفرن الى الاسلام وحسن اسلامهم حتى فشلت دعوة الخوارج في البربر ، فأخذ بنو يفرن بمذهب الخوارج (١٧٨) ، وتحولت معظم بطونهم اليه ، وحاربوا في سبيل نشره والدفاع عنه (١٧٩) ، فانضموا الى ميسرة المطغرى في ثورته على ولاية بنى أمية بالمغرب (١٨٠) ، ثم كان لبنى يفرن زعامة الثورة بعد ذلك (١٨١) ، كما كان لبنى يفرن دور كبير في مساندة الدولة الرستمية الخارجية (١٨٢) ، وعندما قامت الخلافة الفاطمية بالمغرب خرجوا ثائرين عليها يقودهم واحد منهم هو أبو يزيد مخلد الخارجي (١٨٣) ، وحقيقة القول ، ان ثوار بنى يفرن على السلطة الشرعية أكثر من أن يعدوا (١٨٤) •

(١٧٦) السمعاني ، الانساب ، لوحة ٦٠٢ ، المراكشي ، المعجب ، ص ٥٢ ، وكان الامير اليفرنى الذى حكم قرطبة لمدة عامين هو عبد الرحمن ابن عطاف اليفرنى ، اذ استخلفه يحيى بن على العلوى الحسنى الملقب بالمعتلى سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م على قرطبة بعد أن غلب عليها وتسمى بالخلافة ، نفس المصادر والصفحات •

(١٧٧) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، بعده •

(١٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ص ٣ ، ١٦٩ •

(١٧٩) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ١١ •

(١٨٠) انظر ، دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ص ٣ ، ٤٦٠ •

(١٨١) مجهول ، نبذ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، المغربى ، الحمان ، ورقة

• ٢٠٣

(١٨٢) الشماخى ، السير ، ص ١٤٥ ، انظر ، محمد بن تاويت ،

دولة الرستميين ، ص ١١٣ •

(١٨٣) بعده •

(١٨٤) مجهول ، نبذ ، ص ٦١ •

ولكن بنى يفرن لم يظلوا على مذهب الخوارج بمسد أن دانوا به نتيجة للحروب والقهر والارغام ، فقد حاربهم الأدارسة وأجبروا بعض بطونهم على التحول عن مذهب الخوارج ، كما استمالوا بطون يفرنية أخرى فتحولوا عن مذاهب الخوارج صوفرية وإباضية (١٨٥) ، ثم ثارت بقية بطون بنى يفرن التي ظلت على مذاهب الخوارج على الخلافة الفاطمية ، فقمع الفاطميون الثورة بالعنف وأنزلوا العقوبات بالانفس والأموال ، مما اضطر الكثير من بنى يفرن إلى التحول عن مذهب الخوارج ، وما أن جاء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتى تحولت معظم بطون بنى يفرن إلى مذهب أهل السنة (١٨٦) ، مما حدا بابن حزم أن يقول « أن جمهور بنى يفرن كانوا سنية » (١٨٧) •

ومن بطون زناتة ، قبيلة جراوة التي اشتهرت بأن مضاربها في جبل أوراس (١٨٨) ، اختلف المؤرخون على نسبها بين بطون زناتة ، فقد اعتقد البعض أن جراوة فرع قائم بذاته من فروع زناتة يرجع بنسبه إلى كراو أو جراو أحد حفدة أو أبناء جانا أبو زناتة كلها (١٨٩) ، بينما يرى ابن عذاري أن قبيلة جراوة واحدة من بطون بنى يفرن (١٩٠) ، ولم يقل بهذا النسب سواء •

وكانت قبيلة جراوة تقطن جبل أوراس الشرقية على منحدراتها (١٩١) كما كانت بعض بطونها تستقر في السهول العليا بين قسنطينة وقلعة بنى حماد ، إذ يوجد واد يحمل اسم جراوة بهذه

(١٨٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٣ - ١٤ ، أنظر •
Mercier, Histoire de l'Afrique, vol, 1, P. 89.

(١٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ •

(١٨٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ •

(١٨٨) أنظر ، Ency. of Isl. (Art al-Kahina), 2ed., v4, P. 422

(١٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦٥ ، أنظر ،

ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٧٧ •

(١٩٠) البيان ، ١ ص ٢١٦ •

(١٩١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ ، أنظر •

Terrasse, Histoire du Maroc vol. 1, P. 87.

المنطقة (١٩٢) • وحين جاء العرب لفتح المغرب كانت قبيلة جراوة مستقلة بمضاربها في جبل أوراس تحت حكم ملكتهم دهيابنت مائبة بن تيفان ، والتي عرفت بالكاهنة ، لما كان لها من الكهانة ، وادعائها المعرفة بالغيب (١٩٣) • وقاومت الكاهنة وقومها جراوة العرب الفاتحين ، ثم هزمهم العرب وقتلوا ملكتهم فافتقرت بطون جراوة أوزاعا بين قبائل البربر ، واستقر قوم منهم حول مليلة (١٩٤) • ويبدو أن مدينة جراوة التي تقع بالقرب من مليلة وعلى بعد ثلاث مراحل من تاهرت (١٩٥) قد نسبت إلى هؤلاء القوم من زغانة ، إذ أن الذي أسس المدينة قد هرب اليهم واحتوى بهم قبل الشروع في بنائها (١٩٦) ، كما استقر بعض من جراوة في تادلا أو قادلة الواقعة بجبال صنهاجة بين مراكش ومدينة فاس (١٩٧) •

ويقال ان قبيلة جـراوة دانت باليهودية قبل مجيء العرب الى المغرب (١٩٨) ، وقد عمد المؤرخون المحدثون الى البحث عن تفسير أو تحليل لاتخاذ جراوة اليهودية دينا ، فاعتقد البعض أن جراوة أخذت اليهودية عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام اليهم (١٩٩) وحاول آخر أن يربط بين لقب ملكة جراوة وهو الكاهنة وبين الديانة اليهودية ، فيرى أن كلمة كاهنة لقب ملكة جراوة عبارة عن اسم يهودي

(١٩٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ ، أنظر ،

Gautier, Op. Cit., P. 221

(١٩٣) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٩ ، أنظر ، يحيى بن عزيز ، موجز تاريخ الجزائر ، ١ ص ٨٤ •

(١٩٤) نفس المصدر والمصحح ، عنها ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٥٦ •

(١٩٥) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٤ ، ٢٠٠ •

(١٩٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٩ •

(١٩٧) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٥ •

(١٩٨) مجهول ، نبذ ، ص ٦٥ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص

١٠٧ •

(١٩٩) السلاوي ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٩ ، أنظر ، غنان ، دولة

الاسلام ، ١ ص ١٧ •

يطلقه اليهود على أبنائهم من الذكور وهو كوهين (٢٠٠) ، ويرى ثالث أن جراوة اعتنقت اليهودية لغرض سياسى ، وإن لم يوضح لنا هذا الغرض ، أو لأنهم أعجبوا بديانة اليهود لما تدعوا له من أخلاق حسنة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن الظلم والظلميان (٢٠١) ، إلا أن البعض يرى أن أميرة جراوة لم تعرف باسم الكاهنة قبل الفتح العربى للمغرب ، وأن العرب هم الذين أطلقوا عليها هذا اللقب (٢٠٢) .

وإذا كانت قبيلة جراوة قد دانت باليهودية حقا قبل الفتح الاسلامى للمغرب فلما أن فتساعل عن سبب حمل الكاهنة الزناتية صنما من خشب كانت تعبده عندما طاردها العرب بعد هزيمة قومها (٢٠٣) ، كما أن لقب الكاهنة الذى عرفت به ملكة جراوة أطلقه عليها العرب الفاتحون ولم تعرف به قبل ذلك ، وأطلق عليها « لما كان لها من الكهانة ، وادعائها المعرفة بالغيب » بتعبير ابن خلدون (٢٠٤) ، بالاضافة الى ذلك أن لقب الكاهنة لا يعنى أنها دانت باليهودية ، فقد عرف هذا اللقب عند العرب قبل الاسلام ويدل على الوثنية كما يدل على اليهودية ، فقد كان هناك كهنة الكعبة قبل الاسلام ، وكانوا على الوثنية ولم يعتنقوا اليهودية ، كما أن المسلمين الفاتحين لأرض المغرب لم يذكروا أنهم وجدوا بجبل أوراس آثار بيع للعبادة ، أو عيد من أعياد اليهود ، ومما يرجح أن جراوة لم تكن تدين باليهودية ، أن المؤرخ عبيد الله بن صالح الذى اعتمد على كتابات ابن خلدون عن الكاهنة لا يشير بحرف الى ما يقال من أنها كانت على اليهودية (٢٠٥) .

وأيا ما كانت الديانة التى اعتنقتها قبيلة جراوة قبل مجيء العرب الى المغرب فإن هذه القبيلة الزناتية تحولت الى الاسلام بعد

Gautier, Op. Cit., P. 225.

• أنظر (٢٠٠)

• أنظر ، دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ٧٧

Ency. of Isl. (Art al-Kahina , 2ed, V. 4, P. 422 ، أنظر (٢٠٢)

(٢٠٣) المالكي ، رياض النفوس ، ١ ص ٣٥ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص

• ٦٦

• (٢٠٤) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٩

• (٢٠٥) أنظر ، بروفنسال ، نص جديد ، ص ٢١١

مقتل ملكتها ، وارتضوا بالطاعة ، بل وخرجوا مجاهدين مع المسلمين يقاتلون من كفر من البربر (٢٠٦) ، فكان خروجهم مع المسلمين لاختراع بقية شمالي أفريقيا سببا في تفرقهم بين قبائل البربر ، فلم يعد يسمع كثيرا عن هذه القبيلة الزناتية بعد مقتل زعيمتها ، رغم ما كان لجراوة من الكثرة والسلطة قبل تحولها الى الاسلام . والجدير بالذكر أن قبيلة جراوة حكمت عليها امرأة ، وهو ما ليس غريبا على المجتمع البربري ، اذ كان للمرأة دور هام فيه ، فقد قامت زوجة يوسف بن تاشفين وأخت ابن تومرت بأدوار ذات أهمية ، الا أنه لم تصل امرأة في المجتمع البربري الى ما وصلت اليه الكاهنة الزناتية من مكانة (٢٠٧) .

ومن بطون زناتة قبائل بني واسين ، وهم اخوة مفراوة وبني يفرن (٢٠٨) ومن بني واسين : بنو عبد الواد ، وبنو مرين ، وبنو توجين ، الا أن هذه البطون لم يكن لها ذكر بأسمائها مع أول الفتح الاسلامي للمغرب ، وانما كانت تعرف كلها ببني واسين (٢٠٩) ، ثم عظمت هذه البطون وتشعبت مع مرور السنين فزادت قوتها وحفظ التاريخ ذكرها ، ودون المؤرخون أخبارها ، فكان لبني مرين بطون تفرعت عنها منهم : بنو عسكر ، وبنو وطاس وبنو أنكاس وغيرهم ، ومن بني توجين كان بنو عبد القوي (٢١٠) .

وقد انتشرت بطون بني واسين في شمالي افريقيا ، فكان منهم بافريقية في صحراء برقة بطون تضرب حول قصور غدامس التي أختطت منذ بداية الفتح العربي لشمالي افريقيا والتي تقع على عشرة مراحل

(٢٠٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ .

Julien, History of North Africa, P. 12

(٢٠٧) أنظر .

(٢٠٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ،

٥٧ .

(٢٠٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٨ .

(٢١٠) العمري ، مسالك الابصار ، ٥ ورقة ١١٧ .

جنوب سرت (٢١١) ، وفي جبل أوراس وطلت طائفة من بني عبد الواد منذ بداية الفتح الاسلامي للمغرب ، وكانوا معروفين بين ساكني جبل أوراسي (٢١٢) ، كما أن بطونا أخرى من بني وابسين كانت تضرب في ضواحي قسنطينة (٢١٣) ، وحول قسطنطينية وتوزر (٢١٤) ، وكذلك في مدينة الجامة التي تقع بالقرب من توزر (٢١٥) ، ومن هذه المدينة خرج بنو وابسين ثابرين علي المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م (٢١٦) .

وفي المغرب الأوسط كانت بعض بطون بني مرين وبني توجين تضرب ما بين تلمسان وتاهرت حيث تعيش معظم بطون زناتة (٢١٧) ، أما غالبية بطون بني واسين فكانت تعيش بالمغرب الأقصى ، فاستقر بعضهم حول مدينة جراوة (٢١٨) ، أما بنو مرين فكانوا يظعنون بين فجيج وسجلماسة وملوية لا يستقرون في مكان ولا يدخلون تحت حكم سلطان (٢١٩) ، إذ كانوا قليلي العدد (٢٢٩) ، أما جمهور بني واسين بالمغرب الأقصى فكانوا يقطنون بين مليوية وجبيل

(٢١١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٨ ، عن برقة ، وغدامس ، وسرت ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٣٦ - ١٣٤ ، ٦ ص ٢٦٨ ، ٥ ص ٦٣ .

(٢١٢) نفسه ، ص ٥٩ .

(٢١٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، انظر ، يزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٢٣٨ .

(٢١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ ، ٥٨ .

(٢١٥) العرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، عن الحامة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٣٤٤ .

(٢١٦) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ .

(٢١٧) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٦٦ ، ٢٠٠ .

(٢١٨) للبكري ، المغرب ، ص ١٤٢ .

(٢١٩) السبلاوي ، الاستقصا ، ٣ ص ٣ ، انظر ، عبده بدوي ، مع حركة الاسلام في افريقية ، ص ٦٧ ، وعن سجلماسة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٤١ ، ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ .

(٢٢٠) ابن خلدون ، المهجعة ، ص ٤٩١ .

راشست (٢٢١) ، ووبعتنا كان لبنى واسين مواطن أخرى لم يشر اليها المؤرخون والجغرافيون ، لأن بنى واسين لم يكن لهم ملك في القرون الهجرية الأولى مما يجعل المؤرخين على العناية بتدوين أخبارهم ، « كما أن بنى واسين أبعدوا في القفر وتوخشوا من الانقياد ، فبقوا غفلا ولم يصل إلينا إلا الشارد القليل من أخبارهم » (٢٢٢) .

وقد تحوّلت بطون بنى واسين إلى الإسلام ، ولكن معظم بطونهم اعتنقت مذهب الخوارج الإباضية (٢٢٣) ، وكان جمهورهم بافريقية الإباضية وهيبية (٢٢٤) ، أما بنو عبد الواد فلم يحدد أحد من المؤرخين المذهب الإسلامي الذي اعتنقوه في القرون الأربعة الهجرية الأولى ، ويبدو أنهم ظلوا على مذهب أهل السنة ، فقد تحولوا إلى الإسلام في أول الفتح الإسلامي للمغرب ، وساندوا المسلمين في فتح بقية المغرب (٢٢٥) ولم يذكر أحد من المؤرخين أنهم شاركوا في ثورات الخوارج من زناتة على الأمويين والعباسيين والفاطميين ، أما بنو مريـن وبنو تـوجـين فقد كانوا بدوا يظعنون قريبا لم يكونوا يهتمون بمآثر الدين بعدهم في الصحاري وعدم خضوعهم لسلطان ، ولأن اهتمامهم كله كان منصبا على ما يملكون من خيل وأنعام . وخلاصة القول ، أن المستقرين من بنى واسين تحولوا إلى المذهب الخارجي ، أما بقية بطونهم فلم تعرف الاستقرار ، وكانت حياتهم حياة ظعن وترحال ، وقد ظلت سمة البداوة واضحة عليهم حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وبعد أن تمكنت بعض بطونهم من تأسيس ملك وراثي حول عاصمة ميناغية ، ففي دولة بنى هرين لم يكن

(٢٢١) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٥٨ .

(٢٢٣) نفسه ، ص ٦٠ .

(٢٢٣) ابن خزم ، جفهره ، ص ٤٨ .

(٢٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٣ ، إلا أن ابن حوقل ينسب وهبية

المغرب إلى عبد الله بن وهب الراسبي والحقبة انتهم أخذى شرق الخوارج الإباضية والتي تنسب إلى عبد الوطاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي اتفست

الإباضية في عهد إلى وهبية ونكارية ، انفسه .

(٢٢٥) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٥٩ .

هناك وجود لاسم الحاجب ، وكانت قيادة المعارك ورئاسة العساكر للوزير ، أما رتبة القلم والرسائل فاختصت بها بعض البيوت من المصطنعين في دولتهم ، وكانت دولة بنى عبد الواد أكثر بداءة فلم يكن بها أثر لشيء من هذه الألقاب (٢٢٦) .

ومن البطون الزناتية بنو دمر التي انتق المؤرخون على سلسلة نسبها الى جانا أبو زناتة (٢٢٧) ، وقد تفرعت عن بنى دمر بطون كثيرة منهم : بنى ورنيد ، أو ورنيد ، وبنى ورتانين ، وبنى غزول ، وبنى ورغمة ، وبنى صغمار ، وبنى يطوفت ، وبنى برزال (٢٢٨) ، وهذه البطون لم تنسب الى أسماؤها هذه ولكن كان نسبها دائماً لبنى دمر دون ذكر لأسماء البطون والأفخاذ ، فبما عدا بنى برزال التي تذكر باسمها دون نسبها الى بنى دمر في معظم كتب المؤرخين ، مما كان سبباً في اختلاف البعض حول نسبها (٢٢٩) .

وكانت بطون بنى دمر تعيش في افريقية والمغرب الأوسط أما المغرب الأقصى فكان خالياً منهم . ففي افريقية كانت مضارب بنى ورغمة في نواحي طرابلس وجبالها (٢٣٠) ، كما كانت بطون كثيرة من بنى دمر تسكن الجبل المقابل لجزيرة جربة والمجاور لقابس حتى أنه عرف بهم ، اذ سمي جبل دمر (٢٣١) ، أما بنو برزال فكانوا قاطنين

(٢٢٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٣٣ .

(٢٢٧) ابن حزم ، جمهره ص ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ .

(٢٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢٢٩) يذكر البعض أن بنى برزال إحدى بطون بنى يفرن ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤٤ ، انظر ، مؤنس ، محقق الحلة السيرة ، ٢ ص ٥١ هامش ٢) وينسبهم آخر الى قبيلة صنهاجة البرنسية ، (المراكشي ، المعجب ، ص ٧٣) .

(٢٣٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ .

(٢٣١) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٩٥ ، التجاني ، رحلة ، ص ١٨٥ ، وعن جربة وقابس ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤ ، ٧ ص ٢ - ٤ .

الى الغرب من عمل الزاب حول سطيف وطبنة وميلة (٢٣٢) ، وكانت لهم أرض المسيلة قبل انشاء مدينة المسيلة أو المحمدية (٢٣٣) ، وظل بعضهم في أعمالها (٢٣٤) ، وانتقل آخرون منهم الى جبل سالات (٢٣٥) ، الذى عرف بهم فأسماء ابن الأثير وابن خلدون بجبل برزال (٢٣٨) ، وقد ظلت بطون بنى برزال بمواطنها تلك حتى عبروا الى الأندلس قبيـل انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر من جراء اضطهاد الفاطميين وقبيلة صنهاجة الموالية للفاطميين لهم (٢٣٧) .

وفي المغرب الأوسط كان بنو ورنيد يضربون في السهول التي تقع جنوب تلمسان حتى أزاحهم بنو راشد الزناتيون الى الجبل المطل على تلمسان (٢٣٨) ، وكانت بطون أخرى منهم تعيش فيما بين تلمسان وتاهرت (٢٣٩) ، وحول مدينة الخضراء التي تقع على مقربة من تنس (٢٤٠) ، وقد أقام بنو دمر امارة لهم في نواحي قصر البخارى واتخذوا من تيملاص عاصمة لها ، واتخذ رئيسهم مصادف بن جرتيل حصنا له يبعد مسيرة ثلاثة أيام عن بلاد متيجة (٢٤١) ، الا أن

(٢٣٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٧ ، ومدينة طبنة احدى مدن بلاد الزاب بافريقية ، (ابن الأثير ، اللباب ، ٢ ص ٨١) ، وعن سطيف وميلة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٨٢ ، ٨ ص ٢٢٦ .

(٢٣٣) البكرى ، المغرب ، ص ٥٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٠ .

(٢٣٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ .

(٢٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٢٣٦) الكامل ، ٨ ص ١٥٧ ، العبر ، ٧ ص ١٥٣ .

(٢٣٧) ابن خيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص

٢٦٨ .

(٢٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ .

(٢٣٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

(٢٤٠) البكرى ، المغرب ، ص ٧٥ ، عنها ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ،

٢ ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٢٤١) لليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ، انظر ، الحيلالى ، تاريخ الجزائر ،

١ ص ٢٠٧ ، عن متيجة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٢٨٢ .

هذه الامارة لم يكن لهما وجود بعد قيام الدولة الفاطمية ، وان بقيت بموضعها قرية تحمل اسم جرتيل ظلت بطون من بني دمر تعيش حولها (٢٤٢) ، وحول حصن تامغيت الذي يبعد عن جراوة مرحطين الى جهة تاهرت كانت تضرب بطون أخرى من بني دمر (٢٤٣) .

وقد عبرت بطون من بني دمر الى الأندلس واستقروا بها ، فقد عبر بنو برزال الى الأندلس في فترة حكم الخليفة الأموي الحكم المستنصر الذي ضمهم الى جيشه (٢٤٤) ، وفي نفس الفترة عبر من بني دمر أعيان ورجالات حرب ، استظهر بهم المنصور بن أبي عامر في حروبه (٢٤٥) وظل بنو دمر بالأندلس حتى قامت الفتنة بعد القضاء على الخلافة الأموية فاستولت بعض بطون بني دمر على مورور وشذونة وما حولهما من الحصون ، ثم أنشأوا لهم امارة بربرية في مورور في أول عصر الطوائف (٢٤٦) واستولوا على مدينة شريش (٢٤٧) ، كما كان لهم السيادة والسيادة على بعض أعمال جيان (٢٤٨) ، وأستولى بنو برزال على مالقة (٢٤٩) ، مما يوضح أن كثيرا من بطون بني دمر الزناتية تركت المغرب وجازت الى الأندلس .

(٢٤٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٦ .

(٢٤٣) البكري ، المغرب ، ص ١٤٣ ، الأديسي ، تزعة ، ص ٣ ، ٢٤٥ ،

ابن عذاري ، البيان ، ص ٢٠٠ .

(٢٤٤) مجهول ، نبذ ، ص ٤٤ ، أنظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ص ٢٠٠

٥٠ ، هامش .

(٢٤٥) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ٥٢ .

(٢٤٦) ابن عذاري ، البيان ، ص ٣ ، ١١٣ ، أنظر ، مؤنس ، محقق الحلة

ص ٢٠٠ ، ٣٧٠ ، هامش ، وعن مورور وشذونة ، أنظر ، ابن الشباط ، وصف

الأندلس ، ص ١٠٩ ، ١٠٧ .

(٢٤٧) ابن الدلائل ، نصوص ، ص ٢٠٧ ، عنها ، أنظر ياقوت ، معجم

البلدان ، ص ٢٦٠ .

(٢٤٨) ابن عذاري ، البيان ، ص ٣ ، ١١٣ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ،

ص ٢٨٤ .

(٢٤٩) المراكشي ، المعجب ، ص ٧٣ ، عنها ، أنظر ، ياقوت ، معجم

البلدان ، ص ٣٦٧ .

وكانت غالبية بطون بني دمر خوارج اباضية : وهبية وتكرارية ، فكانت بطونهم الضاربة في جبل دمر اباضية وهبية (٢٥٠) ، وان كان التجاني - القرن الثامن الهجري - يذكر أنهم كانوا من الخوارج النكار ، وانهم لم يكونوا يعرفون من الاسلام سوى الاسم ، ويؤكد أنه أقام بينهم فترة من الزمن فلم يسمع آذاناً (٢٥١) ، ورغم ذلك وصفهم بالأمانة ، وأن حياتهم يظلها الأمن الذي لم يسمع بمثله في بقعة من بقاع الأرض (٢٥٢) ، أما بنو بوزال فكانوا خوارج اباضية (٢٥٣) ، ثم تحولوا الى مذهب النكارية (٢٥٤) وكانت بطون بني دمر التي تعيش بالمغرب الأوسط يدينون بمذهب الخوارج أيضا (٢٥٥) .

وبنو يرنيان أحد بطون زناتة (٢٥٦) ، وهم اخوة مغراوة وبني يفرن (٢٥٧) وليسوا بطنفا من بطونهم (٢٥٨) ولم يكن لبني يرنيان

(٢٥٠) الشماخي ، السير ، ص ٣٤٥ .

(٢٥١) رحلة ، ص ١٨٧ .

(٢٥٢) نفسه ، ص ١٨٨ ، فيذكر التجاني أن من يترك متاعه لا تمتد الأيدي اليه ، لأن من كانت تظهر عليه سرقة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا في الضرورة ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم ، أما اذا كان من غيرهم قتلوه ، نفس المصدر والصفحة .

(٢٥٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٩٨ ، ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص

٢٩٥ .

(٢٥٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص

١٥٧ .

(٢٥٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص

١٥٧ .

(٢٥٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٠٤ .

(٢٥٦) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٢ .

(٢٥٧) ابن خلدون ، العبر ، ص ٦٩ ، ٦٤ .

(٢٥٨) بذكر بروفنسال أن بني يرنيان أحد بطون مغراوة الزناتية ،

(نخب ، ص ٤٧) ويذكر د . مؤنس أن بني يرنيان أحد بطون بني يفرن

الزناتيين ، ذكرا أنه نقل ذلك عن ابن عذاري ، انظر ، (الحلة ، ٢ ص ٥١

هامش) وان كان ابن عذاري لم ينص صراحة على أن بني يرنيان أحد

بطون بني يفرن ، وانما ضم اخبارهم الى اخبار بني يفرن ، وقد ضم

اخبار بني دمر انصبا الى اخبار بني يفرن وذلك لا يعني أن بني دمر أو بني

يرنيان أحد بطون بني يفرن ، ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٣) .

(م ٦ - زناتة والخلافة الفاطمية)

مواطن باهريقية ، أما بالمغرب الأوسط فكانت بطونهم منبثة بين البطون الزناتية الأخرى . فمنهم من كان يضرب في الجبل المطل على تلمسان (٢٥٩) ، أما غالبيتهم فكانوا يضربون في المنطقة التي حول مدينة هاز (٢٦٠) ، وظلوا بها حتى أجلاهم عنها زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة بعد أن أخذ بمبادئ دعوة الشيعة (٢٦١) ، وخربت المدينة وأصبحت مفازة (٢٦٢) .

أما جمهور بنى يرنيان فكان بالمغرب الأقصى ، حيث كانت تظعن بطونهم بـوادي ملوية ما بين سجلماسة وكرسيف (٢٦٣) ، واختلط بنو يرنيان قصورا لهم على حفافي وادي ملوية ونزلوا فيها فكانت مواطن استقرار لهم (٢٦٤) . وكانت بطون أخرى من بنى يرنيان تضرب فيما بين فجيج وسجلماسة (٢٦٥) ، وإلى بنى يرنيان نسب الجبل الواقع على الطريق بين وجدة وسجلماسة فعرف بجبل بنى يرنيان (٢٦٦) .

وقد جازت بعض بطون بنى يرنيان في فترة حكم الخليفة الأموي المستنصر ، ثم أجاز منهم المنصور بن أبي عامر قيمان أجاز من بطون زناتة الأخرى ، فكان بنو يرنيان من أفضل جند الأندلس وأشدهم شوكة (٢٦٧) ، وظل بنو يرنيان يعملون في خدمة حكام الأندلس حتى وقعت الفتنة بها ، فاستولى بنو يرنيان على حصن أركش (٢٦٨) .

(٢٥٩) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٦ .

(٢٦٠) البغدادي ، البلدان ، ص ١٠٤ ، انظر الجيالي ، تاريخ الجزائر ،

١ ص ٢٤٩ .

(٢٦١) البكري ، المغرب ، ص ١٤٣ .

(٢٦٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢٦٣) البكري ، المغرب ، ص ٩٠ .

(٢٦٤) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٥٢ .

(٢٦٥) نفس المصدر والصفحة .

(٢٦٦) البكري ، المغرب ، ص ٨٨ .

(٢٦٧) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٤٩ .

(٢٦٨) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٩٤ ، انظر مؤنس ، محقق ،

الطبعة ، ٢ ص ٥١ هامش .

وبنو ومانوا وبنو يلومي من بطون زناتة أيضا (٢٦٩) ، وكانت هاتان القبيلتان من أوفى بطون زناتة وأشدّهم شوكة ، وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط حول وادي میناس بالقرب من نهر شلف ، فكان بنو ومانوا يقطنون الى الشرق من الوادي ، أما بنو يلومي فكانوا في الجزء الغربى منه (٢٧٠) ، ولم تترك هاتان القبيلتان مواطنهما بالمغرب الأوسط حين هرت قبائل مغراوة وبنى يفرن من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى تحت ضغط الفاطميين وحليفهم صنهاجة (٢٧١) ، قبيل خروج الخليفة الممّر لدين الله الفاطمى الى مصر بعد أن ألهم الصراع بين زناتة وصنهاجة (٢٧٢) .

ومن بطون زناتة أيضا بنو عزون (٢٧٣) ، الذين كانوا يعيشون في جزيرة جربة الواقعة قبالة افريقية وبالقرب من مدينة قابس (٢٧٤) ، وكانت مواطنهم بالجزيرة في الجهة الشرقية والجنوبية منها (٢٧٥) ، وكان أهل الجزيرة على مذهب الخوارج بعضهم على مذهب الوهبيّة ، والبعض الآخر على مذهب النكار ، واعتنق بنو عزون الزناتيون مذهب الخوارج الفكرية (٢٧٦) . وقد عبرت بعض بطون بنى عزون الزناتيين الى الأندلس وكان منهم أمراء شنت برية (٢٧٧) .

-
- (٢٦٩) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٢ .
 (٢٧٠) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٧ ، ص ٥٤ .
 (٢٧١) نفسه ، ص ٥٥ .
 (٢٧٢) بمده .
 (٢٧٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ .
 (٢٧٤) اللتخانى ، رحلة ، ص ١٢١ - ١٢٢ ، عن جربة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٧٤ .
 (٢٧٥) نفسه ، ص ١٢٣ .
 (٢٧٦) البكرى ، المغرب ، ص ١٩ ، انظر ،
 Ency of Isl. (Art Djarba), 2ed, V.2, p. 459 .
 (٢٧٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ ، انظر ، مؤنس ، قجر الأندلس ، ص ٣٨٤ ، عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وقد ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين بطوننا زناتية معروفة بالأسم دون أن ينسبوها الى واحدة من القبائل الزناتية الكبيرة مثل مغراوة وبنى يفرن وغيرهما . فكان بافريقية قبيلة مكنانة الزناتية التي كانت تعيش حول مدينة نقاوس (٢٧٨) ، وبنو حمزة الزناتيون (٢٧٩) الذين كانت مواطنهم حول مدينة تيجس التي تقع بين القيروان وقسنطينة (٢٨٠) .

وفي المغرب الأوسط كانت تعيش قبيلة مسرة النواتية (٢٨١) التي كان لها امارة به قبيل قيام الخلافة الفاطمية في افريقية ، وكانت عاصمة امارتهم مدينة أوزكا الواقعة على ثلاثة مراحل من تاهرت بين الجنوب والغرب ، وكان رئيس هذه الامارة عبد الرحمن بن أودموت ابن سنان ، ثم توارثه بنوه من بعده في رئاسة الامارة ، وانتقل أحد بنيه ويدعى زيد الى موضع يقال له ثارينة فاستقر به (٢٨٢) ، وربما كان زيد هذا هو زيد بن سنان شيخ معتزلة زناتة ، السذي خرج الى الشرق حيث مركز دعوة المعتزلة بالبصرة سنة ٢٠١ هـ / (٨١٦ - ٨١٧) م (٢٨٣) .

وفي المغرب الأقصى كان من البطون الزناتية بنو يرغش أو يزغن (٢٨٤) أو يزغت (٢٨٥) وكانت تسكن في موضع مدينة فاس

(٢٧٨) البعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ .

(٢٧٩) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ .

(٢٨٠) البكرى ، المغرب ، ص ٦٣ .

(٢٨١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ .

(٢٨٢) البعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٩ ، انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ،

١ ص ٢٠٧ .

(٢٨٣) ابن عذارى ، البيان ، ص ٢٢٢٥ ، انظر ، محمود اسماعيل ،

مغربيات ، ص ١٢٨ .

(٢٨٤) الجزائى ، زهرة الآس ، ص ١٤ ، برفنسال ، الاسلام في المغرب

والأنحلس ، ص ٤١ ، Ency of Isl. (Art Idris II), 2ed, V. 3, p. 1032

(٢٨٥) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٨ ظهر ، ويجوز أن الاسم

الأخير هو الصحيح ، وذلك لوجود قبيلة بربرية بجنوب فاس حتى الآن تحمل

اسم بنى يزعة Yazghia (انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ،

قبل بنائها ، وعلى الجانب الأيمن من وادي فاس الذي أصبح فيما بعد عدوة الاندلسيين (٢٨٦) ، وقد اشترى ادريس بن ادريس بن عبد الله الأرض التي أنشئت عليها مدينة فاس (٢٨٧) ، وكانت غيضة ملتفة بالأشجار واقعة بين جبلين (٢٨٨) ، وكان بنو يزغت يسكنون في خيام من شعر (٢٨٩) ، وكان لهم بيت للنار (٢٩٠) مما يوضح أنهم دانوا بالمجوسية قبل تحولهم إلى الاسلام ، وكان القائم على بيت النار التي كانوا يعبدونها أحد أفراد قبيلتهم (٢٩١) . وقبيلة بني يجفش الزناتية كانت تضرب حول قرية أم ربيع بالمغرب الأقصى ، وكانوا قوما الغالب عليهم الفروسية (٢٩٢) وخيلهم من أعشق الخيول لقدرتها على الصبر والاحتمال (٢٩٣) ، وقد استطاع بنو يجفش الزناتيون تكوين امارة لهم في بلاد فازاز بالمغرب الأقصى مع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (٢٩٤) ، وهي افترة التي استطاعت فيها بطون زناتة الكبيرة تأسيس امارات لهم بالمغرب الأقصى ، فكان لبني يفرن امارة في سلا ، ولمغراوة امارتين احدهما في فاس والأخرى في سجلماسة .

==

ص ٤٣٢ هامش) وقد اخذ المؤرخ باسم يزغتن لأنه تارن بين يرغش ويزغتن فكانت يزغتن لقرب الاسمين للقبيلة البربرية الموجودة بجنوب فاس حتى الآن ، ولكن ما ذكره صاحب كتاب تاريخ مدينة فاس بأن اسم القبيلة ايسام الادارسة هو يزغتن ، فذلك يطابق اسم القبيلة البربرية الموجودة الآن بجنوب فاس ، وربما أن يزغتن هي يزغتن أيضا اذا أخذنا في الاعتبار أن حرف النون ينطق ولا يكتب .

- (٢٨٦) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقه ٥٨ ظهر ، انظر ، بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص ٤٢ .
- (٢٨٧) نفس المصدر والورقة .
- (٢٨٨) الجزنائي ، زهرة الأس ، ص ١٧ .
- (٢٨٩) نفس المصدر ، ص ١٤ .
- (٢٩٠) السلوي ، الاستقصاء ، ١ ص ١٥٠ .
- (٢٩١) انظر ، بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص ٤٤ .
- (٢٩٢) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- (٢٩٣) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٧ .
- (٢٩٤) مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ .

وقد ذكرت بطون زناتية دون ذكر نسبها الى أحد القبائل الزناتية الكبيرة ودون أن يذكروا لها موطناً مثل قبيلة أركنة (٢٩٥) أو أبكتة (٢٩٦)، وقبيلة غفجوم الزناتية التي قدم أحد أفرادها الى الأندلس طلباً للعلم ثم رحل الى المشرق سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م لنفس الغرض (٢٩٧) .

وأشار المؤرخون والجغرافيون الى مواطن لبطون زناتية ، فقالوا عنهم أنهم من زناتة دون أن يعطوهم لقباً أو ينسبواهم الى واحدة من القبائل الزناتية الكبيرة مثل مغراوة وبغى يفرن وبغى دمر وغيرهم . وربما كان وجود هذه البطون التي نسبت الى زناتة مباشرة ، بسبب أن بعض الفروع الزناتية التي خرجت عن جانا أبو زناتة أو أحد أحفاده قد انقطعت أنسابهم ولم ينتسبهم أحد من المؤرخين أو علماء الأنساب ، لأن معظم العالمين بأنساب زناتة وقبائلها كانوا قد هلكوا قبل انتهاء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٢٩٨) ، فكان لزاماً علينا أن نذكر هذه المضارب التي عاشت فيها البطون الزناتية حتى نكمل رسم خريطة توزيع البطون الزناتية في أرض المغرب بأقسامه الثلاثة والأندلس .

ففي افريقية كانت بعض بطون زناتة تضرب حول سبرت (٢٩٩) ، وبطون أخرى حول مدينة طرابلس (٣٠٠) وكانوا خوارج اباضية (٣٠١)

(٩٥) المسعودي ، مروج ، ٢ ص ١١٩ .

(٢٩٦) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٩١ .

(٢٩٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ٢ ص ٥٧٧ ، انظر ، العبادي ، الصفحات

الأولى من تاريخ المرابطين ، ص ٥١ .

(٢٩٨) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ .

(٢٩٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، وكذلك أسمها سبرة ، ياقوت ،

معجم البلدان ، ٥ ص ٢٨ - ٢٩ ، وهي مدينة مجاورة لطرابلس على مسيرة

يوم واحد الى الغرب منها ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ٧١) .

(٣٠٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص

Gautier, op. cit, p. 220

١٢٧ ، انظر ،

(٣٠١) الانصاري ، المنهل ، ص ٦٥ ، انظر ،

Ency of Isl (Art Ibadiyya), 2ed, V. 3, p. 654.

فقد كانت البطون الزناتية منتشرة في المنطقة الواقعة بين طرابلس وقابس (٣٠٢) ، ومن قبل الفتح الاسلامي للمغرب (٣٠٣) كما كانت بطون من زناتة تقيم في جبل نفوسة ، وكانوا يدينون بمذهب المعتزلة (٣٠٤) وكان هؤلاء في صراع مع قبائل نفوسة الذي عرف الجبل بهم فملئوا قلوب قبائل نفوسة رعبا (٣٠٥) وكانوا يغيرون على مدنها وقصورهم في النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٣٠٦) . وكانت بطون زناتية أخرى تضرب حول قرية تامست (٣٠٧) ، الواقعة على الطريق بين تاهرت والمسيلة وبالقرب من الأخيرة (٣٠٨) ، وكانت هذه البطون الزناتية تغير على المناطق المجاورة لهم والخاضعة للدولة الفاطمية في بداية قيامها ، مما كان سببا في تشجيع الفاطميين لزعيم صنهاجة ومساعدته في بناء مدينة أشير لتكون حاجزا بين هذه النواحي وهجمات زناتة (٣٠٩) .

وفي المغرب الأوسط كانت بطون زناتية تضرب الى الجنوب من تاهرت (٣١٠) في بلاد واسعة تمتد غربا الى بلاد مسوغة (٣١١) ، وربما كان هؤلاء هم معتزلة ايزرج التي يذكر الجغرافيون أنها كانت تلى تاهرت (٣١٢) ، ويضيف المؤرخون أن مجمع الواسلية كان

-
- (٣٠٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٩٩
 - (٣٠٣) الأنصاري ، المنهل ، ص ٢٨
 - (٣٠٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤
 - (٣٠٥) الشماخي ، السير ، ص ٢٧٥
 - (٣٠٦) نفسه ، ص ٢٨٨ ، انظر ، علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، القسم الاول ، ص ١٧١
 - (٣٠٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٤
 - (٣٠٨) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٥
 - (٣٠٩) النويري ، نهاية ، ٢٢ ، ورقة ٤٧ ، عن اشير ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤
 - (٣١٠) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ ، البكري ، المغرب ، ص ٦٧ ، ابن عذاري ، البيان ، ١٠ ص ٢٥ ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٦
 - (٣١١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٩ ، انظر ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخي ، خريطة ١٢
 - (٣١٢) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٨٨ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٨٠

قريبا من تاهرت وعددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها (٣١٣) ، وأنهم قوم من البربر أكثرهم من زناتة (٣١٤) ، وفي مدينة العلويين التي كانت على ثلاثة مراحل من جراوة (٣١٥) ، كانت تعيش بعض البطون الزناتية ، إذ كان أمير المدينة أحد أبناء عظماء زناتة ويدعى على بن حامد بن مرحوم الزناتي (٣١٦) .

وفي المغرب الأقصى كانت بطون زناتية تضرب حول مدينتي نكور (٣٢٧) ، وانتشرت بطون زناتية في المنطقة الواقعة بين تاهرت وسجلماسة فعرفت بأرض زناتة (٣١٨) ، وفي وادي سجلماسة هاشت بطون من زناتة (٣١٩) ، وبهم سمي أحد أبواب سجلماسة فأطلق عليه بلب زناتة (٣٢٠) ، وفي المنطقة الواقعة بين فاس وسجلماسة وعلى بعد عشرة أميال أو مرحلة من سجلماسة استقرت بعض بطون زناتة فحرف المكان بوادي زناتة (٣٢١) ، وكانت بطون زناتة هذه

(٣١٢) البكري ، المغرب ، ص ٦٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٦ .

(٣١٤) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٢٦ ، انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ١٢٧ .

(٣١٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، وتوجد قرية كبيرة تعرف بالعلويين أيضا على بعد مرحلتين من الأولى جهة افكان وعلى بعد ثلاثة مراحل منها ، نفس المصدر والصفحة .

(٣١٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٠٧ .

(٣١٧) البكري ، المغرب ، ص ٩٠ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٧٨ ، ومدينة نكور أنشأها سعيد ابن إدريس بن صالح المعروف بالمعد الصالح ، والذي دخل أرض المغرب زمن الوليد بن عبد الملك ، (ابن عذاري ، البيان ، ص ١٧٦) .

(٣١٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٠٩ .

(٣١٩) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ص ١٣٩ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٦ .

(٣٢٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٣٢١) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، البكري ، المغرب ، ص ١٤٧ ، الإدريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٤٧ .

تدين بمذهب الاعتزال (٣٢٢) ، وفي جبال المغرب الأقصى كلت تعيش بعض البطون الزناتية (٣٢٣) ، وقد أيدت هذه البطون دولة الأدرسة ، فوقفوا حائلا أمام تقدم قبائل الملمثمين صوب الشمال (٣٢٤) . وقد ذكر ابن قتيبة أن موسى بن نصير غزا زناتة وسبى منها (٣٢٥) ، فأعتقد البعض أن بطون زناتة التي غزاها موسى بن نصير هي بطونهم بالمغرب الأقصى (٣٢٦) ، مما يدل على أن بطون زناتة انتشرت في المغرب الأقصى قبل الفتح الإسلامي وأن مضاربها كانت منتشرة بين تلمسان وملوية وسجلماسة (٣٢٧) .

أما في الأندلس فكانت بعض البطون الزناتية التي لم نعرف لها نمسا سوى أنها من زناتة ، فكان بنو الخروبي الزناتيون في لقنت (٣٢٨) ، وفي إقليم سرقسطة ناهية عرفت باسم زانت نسبة إلى قبيلة زناتة (٤٢٩) كما نسب حصن توبة الذي يقع في أعمال وثقة إلى زناتة أيضا (٣٣٠) وأطلق اسم زناتة على أحد أقاليم بلنسية (٣٣١) ، كما كان بالأندلس أمراء وقواد نسبوا إلى قبيلة زناتة ، وآخرون نسبوا إلى أحد بطونها الكبيرة مثل بنى خزر وبنى يفرن وبنى برزال (٣٣٢) .

(٣٢٢) نفسه ، ص ٩٩ .

(٣٢٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٩٩ ، الأدريسى ، نزهة ، ص ٣ ، ص ٢٤٣ ،

انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .

(٣٢٤) انظر ، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٢ .

(٣٢٥) الإمامة والسياسة ، ٢ ص ٥٤ .

(٣٢٦) انظر ، ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٠ .

(٣٢٧) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٦٥ ، السلوى ، الاستقصا ،

١ ص ١٩٧ .

(٣٢٨) ابن حزم ، جبهة ، ص ٤٩٩ ، عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم

البلدان ، ٧ ص ٣٣٦ .

(٣٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤٠٦ ، السيوطي ، اللباب ،

ص ١٢٧ .

(٣٣٠) ابن الدلائى ، نصوص ، ص ٥٥ ، ١٦١ .

(٣٣١) نفسه ، ص ٢٠ ، وبلنسية تقع شرقي قرطبة ، ابن غالب ،

فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .

(٣٣٢) المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٢ .

ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين القدامى قد نسبوا بعض البطون البربرية الى قبيلة زناتة ، رغم أنهم ليسوا من بطونها ، وتبع القدامى بعض المحدثين من مؤرخى الشرق ليس فقط في نسب نفس البطون الى زناتة ، بل زادوا في البطون التى نسبت الى قبيلة زناتة ، ولم يشر هؤلاء الى المصادر التى اعتمدوا عليها وأخذوا عنها ، كما لم يذكروا السبب الذى من اجله نسبوا هذه البطون الى زناتة .

فقد نسب البعض قبيلة كومية التى كان منها عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين الى قبيلة زناتة (٣٣٣) ، كما نسب البكرى بنى يلول أحد بطون كومية الى بنى دمر الزناتيين (٣٣٤) ، وذكر البعض مواطن كومية في المغرب دون أن يذكروا لها نسبا (٣٣٥) ، أما ابن خلدون وهو اعليم بأنساب قبائل البربر لسم يذكرها ضمن بطون زناتة ، وانما نسبها الى قبيلة بترية أخرى عرفت بصطفورة أو صفورة (٣٣٦) ، بالاضافة الى ذلك فان ابن حوقل الذى ذكر أكثر من مئة بطن من بطون زناتة لم يذكر كومية - التى لم تكن غافلة الذكر - ضمن هذه البطون (٣٣٧) .

أما قبيلة مكناسة فيقف المؤرخون قدامى ومحدثين فريقين في تحديد نسبها ، اذ يرى فريق من مؤرخى العصور الوسطى أن مكناسة أحد بطون زناتة (٣٣٨) ، وعلى الدرب سار من اعتمد عليهم من المؤرخين

(٣٣٣) ابن أبى حنبل ، المؤنس ، ص ١١٤ ، ١١٨ ، انظر ، حسن حسنى عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٢١ .
(٣٣٤) المغرب ، ص ٨٠ .

(٣٣٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥١ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٣ ، ابن الدلائى ، نصوص ، ص ١٥٦ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٣٤ ، ٣٩ ، Julien, op. cit. p. 15.

(٣٣٦) العبر ، ٦ ص ١٢٦ ، انظر ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٠٩ ، انبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٤٧ .
(٣٣٧) صورة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣٣٨) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٠ ، ابو الفدا ، المختصره ٢ ص ٧٠ . المقرئ ، نفع ، ١ ص ٣٨٥ ، ابن دحية ، المطرب ، ص ٥٠ .
العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٢٣٢ .

المحدثين (٣٣٩) ، ويرى الفريق الثانى من مؤرخى العصور الوسطى أن مكناسة أحد قبائل البتر بعيدة النسب عن زناتة (٣٤٠) ، وأخذ بهذا النسب بعض المؤرخين المحدثين ، وأكدوا أن مكناسة ليست من زناتة (٣٤١) ، ومما لا شك فيه أن مكناسة ليست من بطون زناتة اذ قال بذلك النسابة ابن حزم الثقة فى معرفة الأنساب ، وأخذ به ابن خلدون أعظم من كتب عن قبائل البربر والعلم بأنسابهم ، ومصادق ذلك قول موسى بن أبى العافية زعيم مكناسة بأن تحالفه مع بنى أمية « ليرهب بهم على زناتة » (٣٤٢) ، معلنا بذلك عداوته لزناتة كلها وليس لأحد بطونها مما يقطع بأن مكناسة ليست من بطون زناتة ، كما أن موسى بن أبى العافية تحالف مع صنهاجة (٣٤٣) العدو التقليدي لزناتة ، بخاصة فى فترة حكم الفاطميين لبلاد المغرب ، ولم يحدث تحالف أبدا بين أى من بطون زناتة وبين قبيلة صنهاجة رغم الحروب القبلية التى دارت بين البطون الزناتية . ولعل ما حدا ببعض المؤرخين قدامى ومحدثين لاعتبار مكناسة أحد بطون زناتة أن كلا من القبيلتين من البتر الى جانب التشابه فى طبيعة حياتهم ، اذ كانت بطون مكناسة بدوا وأهل أخصاص (٣٤٤) مثلهم فى ذلك مثل الكثير من البطون الزناتية .

(٣٣٩) أنظر ، مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٤٦٩ ، ٥٨٣ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٩ ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطيين ، ص ٦٦ ، رزق الله مفقربوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٠ ، الفيلاى ، دروس ، ص ٤١ .

(٣٤٠) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٦ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ٩١ ، ١٢٩ ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٧ ، المراكشى ، المعجب ، ص ١٧ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ ، الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٤٤ .

(٣٤١) أنظر ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣١٢ ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٢٤٨ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٣ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧٤ ، Julien, op. cit. p. 58

(٣٤٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ، ورقة ٤٧ .

(٣٤٣) نفس المصدر والورقة .

(٣٤٤) البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ .

ويعتقد بعض المؤرخين أن برغواطة اسما لقبيلة (٣٤٦) ، ومن بطون زناتة (٣٤٦) ، إلا أن المنتبج لأقوال المؤرخين والجغرافيين يرى أن برغواطة ليس اسما لقبيلة بعينها ، وإنما يدل على نحلة دينية أطلق على القبائل التي دانت بهذه النحلة (٣٤٧) ، نسبة إلى من تنبأ فيهم وشرع لهم ، وذلك مثل الفرق الإسلامية التي أخذت أسمائها من أسس الفرقة أو المذهب ، مثلهم في ذلك مثل الزيدية والاسماعيلية من فرق الشيعة ، والازارقة والاباضية والصفريّة والوهبيّة من فرق الخوارج ، والواصلية من فرق المعتزلة . وقد تنبأ في هذا القوم وشرع لهم ديانتهم من قدم من الأندلس من جهة وادي برباط (٣٤٨) ف قيل لكل من دخل في ديانتهم برباطي ، وأحاطته العرب بأسمتها وقالت برغواطي (٣٤٩) .

وقد ذكرت بعض المصادر مانجم عنه تصور البعض بأن برغواطة واحدة من البطون الزناتية ، فذكروا أن طريفسا أبا ملوك برغواطة كان من أصحاب ميسرة ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ذهب طريف هذا إلى تامسنا وكان اذ ذاك ملكاً على زناتة ، فقدم قومه ابنه صالحاً بعد وفاته فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها (٣٥٠) ، ويقول آخرون أن صالح بن طريف قدم من وادي برباط بالأندلس إلى تامسنا فوجد بها قوما جهالا من زناتة ، فاستفزز عقولهم بما كان يخبرهم به من أشياء قبل حدوثها (٣٥١) ،

(٣٤٥) يذكر ابن حجية أن القبيلة كانت تدعى بلغواطة وليس برغواطة ، المطرب ، ص ٩٢ .

.. (٣٤٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، الحطة ، ٣ ص ٥١ هامش .

(٣٤٧) انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٢٧ ، ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٢٢ .

.. (٣٤٨) البكري ، المغرب ، ص ١٣٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٧ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٢٥ .

(٣٤٩) البكري المغرب ، ص ١٣٨ ، مجهول ، نبيذ ، ص ٤٧ .

(٣٥٠) البكري ، المغرب ، ص ١٣٥ ، المغربي ، الجمان ، ورقة ، ٢٠٢ ،

انظر ، بروفنسال ، نخب ، ص ١٣ .

(٣٥١) البكري ، المغرب ، ص ١٣٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٧ .

ويؤكد فريق ثالث أن برغواطية في الأصل من زناتة (٣٥٢) . إلا أن هذا التصور بأنهم من زناتة له ما يدحضه ، اذ يذكر ابن عذاري أن تامسنا كانت مواطن عدة قبائل بربرية (٣٥٣) ، ويضيف ابن الخطيب أن برغواطية كانت أخلاطاً شتى لا يرجعون إلى أب واحد أو أصل واحد (٣٥٤) ، ويؤكد قوله ابن الخطيب أن قبائل بربرية يترا وبرانس دانت بهذه النحلة وانضمت إليها (٣٥٥) ، بالإضافة إلى أن ابن خلدون قد حسم الموقف من قبل وانتهى إلى أن معظم الذين دانوا بنحلة برغواطية كانوا من بربر مصمودة ، وأن طويط الذي كان كبيرهم كان من قبيلة مصمودة (٣٥٦) ، وأن برغواطية ليسوا من زناتة (٣٥٧) .

وقد نسب بعض المؤرخين قبيلة زواغة إلى زناتة (٣٥٨) ، ربما لأنها كانت تعيش مجاورة لأحد البطون الزناتية ، وعلى البداوة مثلهم ، فكلاهما كان يعيش في خيام من شعر (٣٥٩) والحقيقة في نسب زواغة أنها إحدى قبائل البتر التي كانت على قدم المساواة مع زناتة في نسبها إلى مادغيس الأبتري الذي نسبت إليه كل قبائل البتر (٣٦٠) وقد لطن بعض من المؤرخين المحدثين الذين نقلوا عن المصادر التي نسبت زواغة إلى زناتة إلى هذا الخطأ ولم ينسبوها إلى

-
- (٣٥٢) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ .
 (٣٥٣) البيان ، ١ ص ٥٦ .
 (٣٥٤) أعمال الأعلام ، ٣ ص ١٨٠ .
 (٣٥٥) المبكرى ، المغرب ، ص ١٤١ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٠ .
 (٣٥٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ٥٨ ، انظر ، ابن مختصر ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٢٢ .
 (٣٥٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢١٠ .
 (٣٥٨) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ٣٩ ، الجزائى ، زهرة الأس ، ص ٦٤ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٨ ظهر ، انظر ، بروفنسال ، الإسلام في المغرب والاندلس ، ص ٤٩ .
 (٣٥٩) ففس المصائد والصفحات .
 (٣٦٠) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٧٦ .

زفانة (٣٦١) •

كماعد بعض المؤرخين قبيلة ورفجومة ضمن البطون الزفانية (٣٦٢)، وان كانت ورفجومة من القبائل البترية ، الا أنهم يرجعون في نسبهم الى قبيلة نفزة (٣٦٣) ، والتي اعتبرها بعض المؤرخين من بطون زفانة (٣٦٤) ، والحق أنها ليست منهم اذ لم يذكرها النسابة ابن حزم أو ابن خلدون ضمن البطون الزفانية ، وانما نسبوها الى فرع آخر من قبائل البتر (٣٦٥) ، كما أن المؤرخ المراكشي قد فرق بين قبيلة نفزة وقبيلة زفانة (٣٦٦) •

ونسب أحد المؤرخين المحدثين قبيلة بنى كملان الى زفانة (٣٦٧) ، ولم يذكر على أى المصادر كان اعتماده ، اذ أن كل المصادر والمراجع التي ذكرتها تنسبها الى هواره (٣٦٨) • ونسب آخر قبيلة ازداجية أو وزداجة الى زفانة (٣٦٩) ، ولكن ابن خلدون المصدر الرئيسى عن أنساب قبائل البربر وتاريخها ، ناقش نسب هذه القبيلة بخاصة ، وحسم الاختلاف في نسبها ، وعدها ضمن بطون البرانس

(٣٦١) السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٥٠ ، انظر •

Ency of Isl. (Art Idris). 2ed, V. 3, 1032

(٣٦٢) المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٢ ظهر ، ٢٠٣ ، انظر ، مؤنس ،

فجر الاندلس ص ٢٨٣ ، ثورات البربر ، ص ١٨٣ •

(٣٦٣) ابن حزم ، جمهزه ، ص ٤٩٧ ، الرقيق ، تاريخ افريقية والمغرب ،

ص ١٨٣ •

(٣٦٤) انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٤٦٩ ،

Scott, Moorish Empire, V, 1, p. 387 ، وينسب ابن عذارى احد قواد نفزة

الى بنى يفرن الزفانيين ، (البيان ، ١ ص ٧٠) •

(٣٦٥) ابن حزم ، جمهزة ، ص ٤٩٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٠ -

٩١ •

(٣٦٦) المعجب ، ص ١٦ - ١٧ •

Hassan Ibrahim, Relations, p. 85

انظر ،

(٣٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧٩ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة

٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٦ ، انظر ، رزق الله منكريوس ، حول الاسلام ،

١ ص ٣٢٢ •

(٣٦٩) انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٥٠ •

• وليس البتر (٣٧٠) •

وينفرد المؤرخ المراكشي بنسب قبيلة تسول الى زناتة (٣٧١) ، ولم يشر أحد من النسابة أو المؤرخين الى أن تسول أحد البطون الزناتية ، فربما تفرعت عن بطون زناتية بعد الفترة التي يهتم بها البحث ، اذ أن المراكشي من مؤرخي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، الا أن ابن خلدون الذي جاء بعده لم يذكرها ضمن بطون زناتة •

لقد اعتقد بعض المؤرخين أن قبيلة زناتة قسما ثالثا من أقسام البربر غير البتر والبرانس ، ولأن قبيلة زناتة البترية كانت من أكبر قبائل البربر وأوسعها انتشارا في شمالي أفريقيا ، فقد نسب بعض المؤرخين قبائل بربرية غير زناتية الى قبيلة زناتة • وفي الحقيقة أن بطون زناتة لم تكن متباعدة عن بعضها البعض في المضارب فحسب ، وإنما اختلفت في المذاهب الاسلامية التي اعتنقتها بعد أن تحولت الى الاسلام ، ففي الوقت التي ظلت فيه بطون زناتية على مذهب أهل السنة ، تحولت بطون أخرى الى مذاهب الخوارج التي وصلت مبادئها الى المغرب ، ومذهب المعتزلة المعروف ، ولم تتفق بطون زناتة حول شيء ما ، مثل عدم اعتناق أي منها مذهب الشيعة الاسماعيلية • والى جانب تباعد المضارب واختلاف المذاهب كان التكافؤ في القوة والعدد بين بعض بطون زناتة مما كان سببا في عدم خضوع بطون قبيلة زناتة لطاعة زعيم واحد ، ومن ثم تفرقت قوتها ، ولم تستطع إقامة دولة لها مع أنها كانت من أكبر القبائل البربرية عددا ، وأكثرها قوة ، وأشدها توحشا •

(٣٧٠) العبر ، ٦ ص ١٤٤ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربي ،

ص ٤١ •

(٣٧١) المعجب ، ص ٢٤٥ •

الفصل الثاني

دور

زناتة السياسي قبل قيام الخلافة الفاطمية

موقف زناتة من الفاتحين المسلمين — مقاومة قبيلة
جراوة الزناتية للفتح العربى وتحول بقية بطون زناتة الى
الاسلام — تولية موسى بن نصير المغرب ودور زناتة
فى فتح الأندلس — ثورة البربر الكبرى التى قادتها زناتة
على ولاية بنى أمية — ثورات زناتة على العباسيين حتى
قيام دول مستقلة بالمغرب — موقف زناتة من
دولتى بنى رستم والادارسة •

لعبت قبيلة زناتة دورا ذا شطرين أثناء الفتح الاسلامى لبلاد المغرب ، اذ تحولت بعض بطونها الى الاسلام مع أول الفتح ، وانضمت الى الفاتحين تساندهم في اتمام فتح بلاد المغرب ، ووقفت بطون أخرى منها ضد الفاتحين ، فمنهم من انضم الى الروم لمقاومة العرب ، ومنهم من وقف بمفرده ليرد العرب عن أرض المغرب ، التي عمد المسلمون الى فتحها بعد أن فرغوا من اجلاء الروم عن مصر •

فبعد أن أتم عمرو بن العاص فتح مصر سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م (١) تقدم لفتح بلاد شمالي أفريقيا لتأمين الحدود الغربية للخلافة الاسلامية (٢) : ولأنه كان ميالا بطبعه للغزو والفتح ، فلا يكاد يفرغ من الاستيلاء على اقليم حتى يشرع في اعداد العدة لفتح مايلية (٣) ، فقاد الجيش الاسلامى الى برقة فافتتحها آخر سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م وصالح أهلها على جزية يؤدونها الى المسلمين (٤) ، ثم خرج الى طرابلس وضرب الحصار حولها حتى استسلم أهلها

(١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٨ •

(٢) انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٢٧ •

(٣) انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٥٢ •

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ١ ص ٧٥ ، يذكر الانصارى ان مسير عمرو بن العاص الى برقة كان سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م (المنهل ، ص ٣٠) •

سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م (٥) ، متقدم من ليلته الى مدينة سبرت (٦) ، وأخذ أهلها على غرة ، اذ كانوا واثقين من مناعة طرابلس على المسلمين (٧) ، وكانت مدينة سبرت وما حولها مضرب لبطلون زناتية (٨) ، فكان دخول قسم من زناتة الى الاسلام مع بدايه الفتح العربى . كما كانت طرابلس وما حولها مضارب لبطلون زناتية (٩) .

توقفت الفتوحات الاسلاميه فى بلاد المغرب بسبب مقتل عمر بن الخطاب وانشغال المسلمين بذلك حتى تولى عثمان بن عفان الخلافة ، فعين عبد الله بن سعد بن أبى سرح على ولاية مصر سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م (١٠) ، فاستأذن ابن أبى سرح الخليفة فى فتح بلاد المغرب (١١) ، وخرج اليها فى عشرين ألفا من كبار العرب وشجعانهم ومعهم بعض الصحابة وأبنائهم فى سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ - ٦٤٨ م (١٢) . وعندما علم حاكم

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٨ ، التجانى ، رحلة ، ص ٢٣٩ ، الا ان البكرى يذكر ان فتح طرابلس تم سنة ٢٣ هـ / ٦٤٢ م ، (المغرب ، ص ١١) .
(٦) يذكر ياقوت ان اسمها سبرة ابصا ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٨ - ٢٩ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣١ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٤٢ ، وكان أهل سبرة قد تحصنوا فى مدينتهم حين علموا بدخول العرب ، فلمسا بلغهم محاصرة عمرو بن العاص لمدينة طرابلس ، وأنه لم يستطع دخولها والاستيلاء عليها آمنوا ، فلمسا ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس أرسل خبلا من ليلته فصيحبت خيله مدينة سبرة واستولوا عليها ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٩) .

(٨) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٩٩ ، الانصارى ، المنهل ، ص ٢٨ .
(٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٧ ، انظر ، Gautier, op. cit., p. 220

(١٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٨ ، الا ان السلاوى يذكر ان عمر عمرو بن العاص كان سنة ٢٦ هـ / ٦٤٦ م ، الاستقصا ، ١ ص ٦٦) .
(١١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٦٦ .

(١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٥ ، ويذكر ابن تغرى بردى ان الجيش الاسلامى كان عشرة آلاف مقاتل ، (النجوم ، ١ ص ٨٠) .

أفريقية وبعض بلاد المغرب جريجوريوس Gregorius الذي يسميه العرب جرجير (١٣) بقدوم العرب خرج للقائهم في جيش من الروم ، وانضمت اليه جراوة الزناتية ، فحاربوا مع الروم ضد المسلمين في موقعة سبيطلة (١٤) ، التي انتهت بهزيمة الروم ومقتل ملكهم جرجير ، وأسر كثير ممن معه (١٥) . وقد اعتقد البعض أن مغراوة الزناتية هي التي ظاهرت الروم في موقعة سبيطلة (١٦) ، ولكن الذين انضموا الى الروم كانوا من قبيلة جراوة الزناتية ، لما بينهما من التشابه في حياة الاستقرار والأخذ بنصيب من الحضارة ، كما أن جراوة كانوا هم الذين يدينون بالولاء للروم ، وكن على جـراوة مظهرة الروم في الحروب مهما احتاجوا اليهم ، اذ كان « للروم عليهم طاعة معروفة » كما يقول ابن خلدون (١٧) .

ومن المحتمل أن مادفع البعض الى الاعتقاد بأن مغراوة الزناتية هي التي وقفت الى جانب الروم في حربهم مع العرب ما أجمع عليه غالبية المؤرخين من اسلام صولات بن وزمار أمير قبيلة مغراوة على يد عثمان بن عفان ، وان رددوا قصتين حول اسلام صولات هذا ،

(١٣) كان جرجير أحد عمال هرقل امبراطور بيزنطة (الروم) على افريقية . فخلع جرجير طاعة الحكومة البيزنطية واستقل بحكم افريقية ، وكان سلطانه يمدد من طرابلس حتى طنجة ، وضرب الحفانير باسمه ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٦) ، وكان جرجير هذا قد خلع طاعة هرقل ابن أخيه بسبب حقه عليه لأنه صعد على عرش الامبراطورية من دونه ، وربما أعلن نفسه امبراطورا بتشجيع بابوية روما التي كانت تنافس الكنيسة اليونانية ، (انظر ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ٢ ص ٥٣) .

(١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ ، وعن سبيطلة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣ .

(١٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، انظر ، حسن حسني عبد الوهاب خلاصة ، ص ٥٤ ، ويذكر الزاوي أن مقتل الملك جرجير كان سنة ٢٩ هـ / ٦٤٩ م ، (انظر ، تاريخ الفتح العربي ، ص ٥٥) .

(١٦) انظر ، الجبلاي ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٩٢ .

(١٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ .

فقالوا انه خرج بنفسه ذاهبا الى المدينة ووفد على عثمان بن عفان فأسلم على يديه ، أو أنه قبض عليه أول الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في بعض الحروب بين العرب والبربر ، فأرسل الى عثمان لمكانته من قومه ، وأسلم على يديه ، فأطلقه الخليفة ، وعقد له على قومه وعمله فحسن اسلام صولات . وقد اعتقد البعض أن صولات بن وزمار أسر في معركة سبيطة أو أنه ذهب الى عثمان بن عفان في صحبة ابن أبي سرح (١٨) وقد رجحنا من قبل فكرة ذهاب أمير مغراوة الى المدينة بمحض ارادته على قصة الأسر ، وبذلك أخذ بعض المستشرقين (١٩) .

وأيا ما كان وفود صولات أمير مغراوة على عثمان أسيرا أم بمحض ارادته ، فقد تحول الى الاسلام ، وحسن اسلامه فتحولت قبيلة مغراوة الزناتية الى الاسلام بسهولة مع أول الفتح العربي لبلاد المغرب لأن اسلام الرؤساء والملوك يتبعه اسلام قومهم ، اذا النس تبع للسلطان (٢٠) ، وأصبحت قبيلة مغراوة ومن يدور في فلكها من بطون زناتة تدين بالولاء لخليفة المسلمين وانضمت اليهم تجاهد معهم ، اذ أصبحت « خالصة للمسلمين منذ الفتح » على حد قول ابن خلدون (٢١) ، ولذا يرى غالبية المؤرخين المحدثين أن قبيلة زناتة كانت أول قبائل البربر اسلاما ، وانضماما الى العرب (٢٢) ، وربما كان انضمام زناتة الى العرب منذ أول الفتح لما بينهما من تشابه في الحياة الاجتماعية من سكنى الخيام ، والميل الى الرحلة ، والحياة التي لا تعرف الاستقرار الدائم ولكنها دوما تميل الى الظعن (٢٣) .

وتوقفت الفتوحات الاسلامية في المغرب بسبب الفتنة التي حدثت بعد مقتل عثمان بن عفان حتى استقر الحكم في يد معاوية بن أبي

(١٨) أنظر ، الزاوي ، تاريخ الفتح العربي ، ص ٥٨ .

(١٩) أنظر ، Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led. V. 3, p. 106.

(٢٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٨٣ .

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ .

(٢٢) أنظر ، مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١٢٨ ، الحبلالي ، تاريخ

الجزائر ، ١ ص ١٨٦ ، بونار ، المغرب العربي ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢٣) أنظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٩ ، ٢٨٤ .

سفيان ، فعادت الجيوش الاسلامية الى غزو افريقية ، وافتتح
رويفس بن ثابت جزيرة جربة سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (٢٤) ، وهذه
الجزيرة التي تقسع في البحر قبالة افريقية وبالقرب من قابس (٢٥) ،
مواطن بنى عزون الزناتيين •

وتولى عقبة بن نافع (٢٦) أمر الفتوح في المغرب من قبل معاوية بن
ابى سفيان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م (٢٧) ، فافتتح غدامس وقفصة
وقسطنطينية (٢٨) ، وكلها مضارب لكثير من بطون زناتة • وكان عقبة بن
نافسح مقيما بافريقية منذ أن افتتح عمرو بن العاص مدينة برقة (٢٩)
فرأى أن قبائل البربر تعلن اسلامها اذا جاءتهم جيوش المسلمين ، وما
أن تعود الجيوش حتى يرتد البربر عن الاسلام (٣٠) ، لذا اختط عقبة
مدينة القيروان (٣١) ، وفي موضع بعيد عن البحر خوفا من غارات الروم ،

(٢٤) البكري ، المغرب ، ص ١٩ ، التجاني ، رحلة ، ص ١٢٤ ، ابن
ابى دينار ، المؤنس ، ص ٢٨ •

(٢٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤ •

(٢٦) كان مولده قبل وفاة الرسول بسنة واحدة ، (ابن عذاري ، البيان ،
١ ص ١١) ، وكان عقبة أقدم المسلمين عهدا بافريقية واعرفهم بها اذ كان
مقيما ببرقة وزويلة منذ افتتحها عمرو بن العاص ، ياقوت ، معجم البلدان ،
٧ ص ١٩٤ •

(٢٧) الطبري ، تاريخ ، القسم الثاني ، مجلد ٧ ص ٩٣ ، ابن الاثير ،
الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩ ، وان اختلفت الاراء في
سنة تولية عقبة بن نافع ، فيرى ابن عبد الحكم ان ولاية عقبة لافريقية
كانت سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، (فتوح ، ص ٢٦٢) ، ويرى آخرون ان تولية
عقبة كانت سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م ، (انظر ، مؤنس ، فجر ، ص ٣٩ ،
الزاوي ، تاريخ الفتح العربي ، ص ٦٧) •

(٢٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٤ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ،
ص ٣٠ •

(٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٤ •

(٣٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص

٢٤٢ •

(٣١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٣ - ١٩٥
Hill, Op. Cit, pp. 91—94.

انظر •

والى الجنوب من قرطاجنة ، واختط عقبة بها دار الامارة
والمسجد (٣٢) .

ولم تكن جيوش المسلمين وطئت أرض المغرب الأوسط الذى تضرب
فيه غالبية البطون الزناتية ، وكانت السيادة فيه بين اثنين من أقوى
البطون الزناتية هما : مغراوة وبنى يفرن ، وتقع به مدينة تلمسان
التي أنشأتها زناتة بين مضاربها . وقصارى القول أن معظم سكان
المغرب الأوسط كانوا من زناتة كما كانت فيه السيادة لبطون زناتة
حتى عرف بمغرب زناتة (٣٣) . فما أن ولى المغرب أبو المهاجر دينار (٣٤)
الذى خلف عقبة بن نافع سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م (٣٥) ، حتى توغل
فى المغرب الأوسط حتى وصل تلمسان دار زناتة والتي تقع فى وسط
مضاربهم حتى اعتبرها بعض الجغرافيين عاصمة ملكهم (٣٦) ، فكان
أبو المهاجر أول من وطئت خيله أرض المغرب الأوسط (٣٧) ، وكان أبو
المهاجر سياسيا حاذقا ، فترك سياسة العنف مع البربر وعمل
على استمالتهم ، ومن ثم حقق بعضا من مسعاه واستمال بعض زعماء
القبائل البربرية (٣٨) .

(٣٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠ ، انظر . الصوفى ، تاريخ ،
ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٢ ، ٧ ص ٢ ، انظر .
Ency. of Isl. (Art Zenata), led. t. 4, p. 1223.

(٣٤) عنه انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٩ هامش ٥ .
(٣٥) أبو العرب ، طبقات ، ص ٧١ ، ٢٠٦ ، ويذكر الطبرى ان عرل
عقبة بن نافع عن ولاية المغرب كان سنة ٥٠ هـ ، (تاريخ ، القسم الثانى ،
مجلد ٧ ص ٩٤) ، اما ابن عبد الحكم فيذكر ان عرله كان سنة ٥١ هـ ، (فتوح ،
ص ٢٦٥) .

(٣٦) البكرى ، المغرب ، ص ٧٦ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٦ .
(٣٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص
٧٢ ، انظر ، العبادى ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٢ .
(٣٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٨ - ٢٩ ، ابن تفر بردى ، النجوم ،
١ ص ١٥٨ .

وبعد أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٠ هـ / ٨٦٠ م ، رد عقبة بن نافع واليا على إفريقية سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ — ٦٨٢ م (٣٩) ، وخرج عقبة ليغزو الروم والبربر ومعه مغراوه الزناتية التي انضمت الى المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وأخلصت في ولائها لهم ، كما انضم اليه بنو عبد الواد الزناتيون (٤٠) ، وحاصر عقبة بمن معه من المسلمين وزناتة مدينة باغاية (٤١) حتى انهزم أهلها وغنم منهم خيلا كثيرا لم ير المسلمون في غزواتهم أصلب ولا أسرع منها ، وكانت الخيل من نتاج جبل أوراس المطل على باغاية (٤٢) ، وجبل أوراس موطن لزناتة التي عرفت بفروسياتها ، واهتمامها بتربية الخيل ، وكانت تلمسان الواقعة في مضارب زناتة سوقا لبيع الخيل ، وكان بها خيل نسبت الى بنى راشد الزناتيين كان لها فضل على سائر الخيل (٤٣) .

ورحل عقبة بن نافع الى تلمسان دار امارة بنى يفرن الزناتيين آنذاك وقاتل أهلها ، ويبدو أنه لم يستطع أن يحقق نصرا على أهلها الزناتيين فكره المقام عليها (٤٤) ، ورجل الى تهرت ، فأستغاث من بها من الرم بقبائل البربر المحيطة بتاهرت الذين أجابوهم وانضموا اليهم (٤٥) ويرى بعض المؤرخين أن بطون زناتة الضاربة حول تاهرت كانت ضمن القبائل البربرية التي ناصرت الروم (٤٦) ، فالغالب على الظن أن هذه

-
- (٣٩) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣ ،
انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٧٦ — ١٧٧ .
(٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٩ .
(٤١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤١ .
(٤٢) الرقبى ، تاريخ إفريقية ، ص ٤١ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٤٥ .

- (٤٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ .
(٤٤) الديباغ ، معالم ، ١ ص ٤٩ — ٥٠ .
(٤٥) نفسه ، ص ٥٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٤ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ١٥٩ .
(٤٦) عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١٩ ، انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٢٣ .

البطون الزناتية كانت من بنى يفرن الزناتيين ، اذ كانت مضارب الكثير من بطون بنى يفرن حول تاهرت ، كما لم يذكر أحد من المؤرخين أن بنى يفرن كانوا قد تحولوا الى الاسلام حتى ذلك الوقت . ورغم مساندة البربر للروم فقد استطاع عقبة هزيمتهم وابادة مرساتهم وقتل حماتهم (٤٧) .

وواصل عقبة تقدمه الى المغرب الأقصى حتى وصل طنجة التي تبعد ألفى ميل عن القيروان (٤٨) ، فدله أميرها يوليان (٤٩) على من يكفرون بالله من البربر بالسوس الأدنى (٥٠) ، فغزاهم عقبة وهزمهم ومضى بجيشه حتى دخل السوس الأقصى (٥١) ، فاجتمعت قبائل مصمودة البرنسية لمحاربة عقبة في جبال درن (٥٢) ، فنهضت بطون زناتة الضاربة في جبال درن وانضمت الى عقبة في قتال المصامدة (٥٣) . وقد استطاع عقبة بمساعدة زناتة أن يهزم قبائل مصمودة ، ويقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر من نسائهم من لم ير الناس مثلهن ، فبلغت الجارية منهن بالمشرق ألف دينار أو نحوها (٥٤) . وقد أبلى بنو عبد الواد إحدى بطون زناتة أحسن البلاء فدعا عقبة بن نافع لهم (٥٥) .

(٤٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٥ .

(٤٨) البكرى ، المغرب ، ص ١٠٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٦٢ .
(٤٩) كان يوليان من أشراف ملوك الروم ، وكان ذو عقل ودهاء ، وكان يملك من طنجة الى ساحل المجرز دسبقة ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٦) .

(٥٠) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٤٥ ، المويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٦ ، والسوس الأدنى كورة بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية ، ومديناتها طنجة ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٢) .

(٥١) والسوس الأقصى كورة بالمغرب تسعد عن السوس الأدنى مسيرة شهرين وليس ورائه شئ سوى الرمال ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٢) .

(٥٢) عنها ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٥٥ .

(٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٧٣ ، انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٦٠ .

(٥٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٦ .

(٥٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٩ .

انتهى عقبة بن نافع الى ساحل البحر المحيط ثم قفل راجعا الى افريقية ، فلما دنا من طبنة أمر أصحابه فافترقوا عنه (٥٦) ، وساروا الى مواطنهم عندما اقتربوا منها (٥٧) . وهذا يوضح لنا أن غالبية البربر الذين انضموا الى عقبة بن نافع كانوا من تلك النواحي القريبة من طبنة ، والمغرب الأوسط الى الغرب من طبنة ، وجبل أوراس الى الشرق منها وكلاهما مضارب لبطون زفانية . وبعد أن افترق عن عقبة غالبية جيشه سار الى تهودا (٥٨) ، فهاجمه كسيلة (٥٩) زعيم قبيلة أوربة فقتل عقبة ومن معه من المسلمين سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤ م (٦٠) ، ثم زحف كسيلة الى القيروان فعلم من بها من العرب بقدومه فتركها معظمهم الى برقة (٦١) ، واستولى كسيلة على القيروان ، وأقام بها أميرا خمس سنين لانشغال الأمويين بالقضاء على فتنة عبد الله بن الزبير (٦٢) ، فارتدت بعض بطون زفانية عن الاسلام مع بعض قبائل البربر (٦٣) ، وظلوا على ارتدادهم حتى قوى سلطان بنى أمية في المشرق فوجه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان وجوه أهل الشام الى

-
- (٥٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٧ ، المالكي ، رياض ، ١ ص ٢٥ .
 (٥٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٨ .
 (٥٨) تهودا أوتهودة مدينة قريبة من بسكرة ، ولها أرباض كثيرة وعليها سور مبنى بالحجر ، ويدور حولها خندق ، ولها نهر يصب اليها من جبل اورلس ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٤) .
 (٥٩) عنه ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٩ - ٦٠ .
 (٦٠) المالكي ، رياض ، ١ ص ٢٥ ، ابن تغربردى ، النجوم ، ١ ص ١٥٩ ويذكر المالكي أن كسيلة أتى لمحاربة عقبة ناصرا لأبى المهاجر ، (رياض ، ١ ص ٢٥) ، إلا أن غالبية المؤرخين ترى أن الروم هم الذين حرضوا كسيلة على محاربة عقبة بعد أن أعلموه قلة من مع عقبة من المسلمين ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٨ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٧٨ ، ١٨٠) .
 (٦١) المالكي ، رياض ، ١ ص ٢٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ .
 (٦٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ - ١١٢ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٧٩ وما بعدها .
 (٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٧ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٧٥ .

افريقية (٦٤) ، وانضم اليهم ما يقرب من ألفين من البربر (٦٥) . وخرجوا من برقة يقودهم زهير بن قيس البلوى — الذى كان عقبه بن نافع استخلفه على القيروان قبل خروجه فى غزوته الأخيرة (٦٦) — لمقاتلة كسيلة سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ — ٦٨٩ م (٦٧) ، فاستطاع هزيمة كسيلة واسترداد القيروان ، وما لبث زهير بن قيس أن ترك القيروان وافريقية راجعا الى المشرق سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ — ٦٨٩ م زهدا فى السلطة (٦٨) .

ما أن خرج زهير بن قيس عن افريقية حتى افترق أمر البربر واستقلت كل قبيلة بنواحيها ، وكان أعظم ملوك البربر آنذاك الكاهنة الزناتية زعيمة قبيلة جراوة (٦٩) ، وكانت مواطن قومها وعاصمتها ملكها بجبل أوراس (٧٠) ، ولكنها غلبت على معظم افريقية فى ذلك الوقت (٧١) . وكانت الكاهنة الزناتية قد ملكت على قومها جراوة

- (٦٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٤٧ .
 (٦٥) انظر . شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٦٩ .
 (٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣ .
 (٦٧) نفسه ، ص ٣١ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٨١ ، الا ان ابن خلدون يذكر ان خروج زهير لمحاربة كسيلة كان سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ — ٦٨٧ م رغم انه يذكر ان كسيلة ظل أميرا على افريقية خمس سنين بعد مقتل عقبه بن نافع ، (العبر ، ٦ ص ١٤٧) .
 (٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٢ ، ويذكر ابن عبد الحكم ان تولية زهير بن قيس لافريقية كانت بعد رجوع حسان بن النعمان الى المشرق ، (فتوح ، ص ٢٧٢) ، ولم يرجع زهير ابن قيس الى المشرق كما اعتزم ولكنه استشهد عند برقة ، اذ أنه علم عندما وصل الى برقة ان قوة من مراكب الروم هاجمت برقة وأسرت كثيرا من المسلمين ، فعمل على انقاذهم وقاتل حتى قتل ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٣ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧) .
 (٦٩) وكانت تدعى دهيا بنت ماثية بن ثيفان ، (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩) ويذكر الشحاني خطأ ان الكاهنة من قبيلة لواته ، (رحلة ، ص ٧٥) .
 (٧٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٤ .
 (٧١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، ولانها ملكت معظم افريقية عرفت بملكة البربر ، (البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧) .

خمساً وثلاثين سنة (٧٢) وكانت الكاهنة وقومها جراوة يقدمون طاعة معروفة للروم ، لذا حاربوا الى جانب الروم ضد العرب (٧٣)، ولكن هذه الطاعة لا تعنى التبعية ، اذ كانت جراوة الزناتية مستقلة بملك الضواحي على أن يساعدوا الروم في حروبهم (٧٤) . وقد كانت للعلاقة بين جراوة والروم أثرها ، فلم تعد قبيلة جراوة بدوا يظعنون مثل غالبية بطون زناتة ، ولكنهم كانوا يماثلون الروم حضارة واستقراراً (٧٥) ، وقد ظلت قبيلة جراوة مستقلة بمواطنها بعد هزيمة الروم ، ولم ينضموا الى العرب الفاتحين مع من انضم اليهم من زناتة ، ولم يشاركوا البرانس الذين ترعهم كسيلة في مقاومة العرب الفاتحين حتى انهارت مقاومة البرانس بمقتل زعيمهم .

كانت الظروف بالمشرق لا تمكن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من ارسال قوات الى افريقية لاختصاصها واستعدادتها ، فكان ذلك فرصة للكاهنة لتؤكد استقلالها وتمكن سلطتها على كل افريقية . فما أن انتهت فتنة عبد الله بن الزبير وأصبح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لا ينازعه السلطة أحد ، حتى بدأ اهتمامه بافريقية من جديد ، واختار حسان بن النعمان لغزوها لما عرف من كفاءته وحسن تدبيره (٧٦) ، وكان حسان بن النعمان في مصر ، فأمره عبد الملك بن مروان بالخروج الى افريقية وأطلق يده في أموال مصر لغناها ، ليعطى من معه من الجنود ، ومن يأتيه من الناس للخروج معه لغزو افريقية (٧٧) . خرج حسان الى

(٧٢) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٩ .

(٧٣) نفسه ، ص ٨ .

(٧٤) نفس المصدر والصفحة .

(٧٥) انظر ، الجيلاي ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ ،

Julien, op. cit., p. 11

(٧٦) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٤ ، أماري ، المكتبة الصقلية ، ص

١٧٦ ، وعن حسان بن النعمان ، (انظر Ency. of Isl. (Art Hassan b.

Al-Nu'man), 2ed., V. 3, p. 271.

(٧٧) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٤ ، النويري ، نهاية ٢٢ ورقة

٢٢ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٣ .

افريقية في أربعين ألفا سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ (٧٨) ، وكان جيش حسان أكبر الجيوش الإسلامية التي دخلت افريقية منذ بداية الفتح الإسلامي لهذه البلاد (٧٩) ، وما أن وصل جيش حسان إلى طرابلس حتى انضم إليه من كانوا خرجوا إليها من افريقية من المسلمين (٨٠) ، وسار إلى قرطاجنة (٨١) ، فافتتحها وخرّبها ، ثم حارب بقية الروم فما ترك من بلادهم موضعاً إلا وطئه (٨٢) ، وانصرف إلى القيروان فأراح بها أياماً حتى برأت جراح أصحابه (٨٣) ، وسأل عن أعظم ملوك افريقية من البربر ، فدلوه على الكاهنة الزناتية التي ملكت جل افريقية « وكان البربر لها مطيعون ، وجميع من بافريقية لها خائفون ، فان قتلتها لن يختلف البربر بعدها عليك ، ويدين لك المغرب كله ، ولن يبق لك مصاد ولا معاند (٨٤) »

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون ذكر أن مقتل عقبة بن نافع كان

(٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣١ ، التجاني ، رحلة ، ص ٥٨ ، انظر Osborn, Islam., p. 193 العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٥) ، ويوجد اختلاف بين المؤرخين قدامى ومحدثين حول تاريخ دخول حسان بن النعمان إلى افريقية فيرى البعض أن دخوله افريقية كان سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٩ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربي ، ص ١٨٣ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١) ، 'و سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، (انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٢٣٦) ، أو سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ م ، (ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٣ ، انظر ، حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة ، ص ٦٠ - ٦١) ، أو سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، (ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٤) ، أو سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، (السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ٦٩ ، اماري ، المكتبة الصقلية ، ص ١٧٦) ، أو سنة ٦٨٧/٦٨ ، (البكري ، المغرب ، ص ٧) .

(٧٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص

٣٣١ .

(٨٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٨١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٨٢) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

(٨٣) المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٢ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦١ .

(٨٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ،

ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

بتدبير من الكاهنة وأن المسلمين كانوا يعرفون عنها ذلك (٨٥) ، ويرى ابن الأثير أن الكاهنة خرجت لتحارب العرب غضبا لقتل كسيلة (٨٦) ، مما يعنى وجود علاقة بين الكاهنة الزناتية البترية ، وكسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية ، ولكن وجود مثل هذه العلاقة بين واحدة من قبائل البتر وأخرى من قبائل البرانس مع وجود العداء المعروف بين البتر والبرانس ، لا تؤيده الحوادث ولا المعروف عن بلاد المغرب وأهلها ونظام قبائلها . أما عن خروج الكاهنة غضبا لقتل كسيلة فهذا ما تنفيه حوادث صراعها مع حسان ، فلم تكن الكاهنة شائرة على العرب بل كانت بمواطنها في جبل أوراس ترقب الحوادث ، كما أن الكاهنة لم تخرج لمحاربة حسان الا بعد أن علمت بقدومه اليها ، فكان حتما عليها أن تدافع عن ملكها واستقلالها .

وصلت الكاهنة الزناتية الأخبار بقدوم حسان بن النعمان اليها في جيوش المسلمين (٨٧) ، فجمعت قومها جراوة ، وانضم اليها بنو يفرن الزناتيون (٨٨) ، وبنو ومانوا وبنو يلومي من بطون زناتة (٨٩) ، ورحلت الكاهنة من جبل أوراس حتى تسبق حسان الى مدينة باغاية التي تقوم من جبل أوراس مقام الباب من السدار (٩٠) ، خشية أن يستولى عليها المسلمون ويتحذوا بها (٩١) ، فلما بلغ حسان ما فعلته الكاهنة لم يعرج على باغاية ونزل بوادي مسكيانة (٩٢) ، فرجعت اليه

(٨٥) العبر ، ٧ ص ٩ .

(٨٦) الكامل ، ٤ ص ١٥٥ .

(٨٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

(٨٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، السلاوى الاستقصا ، ١ ص

٨٣ .

(٨٩) انظر ، Ency. of Isl. (Art Zenata), led, t. 4, p. 1223 .

(٩٠) انظر ، الجبالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ .

(٩١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .

(٩٢) نفس المصدر والصفحة ، ويوجد هذا المكان بالقرب من قابس ،

(البكرى ، المغرب ، ص ٧) .

الكاهنة فيمن معها من زناتة ، ودارت بينهما معركة على نهر نينى (٩٣) ، الذى يسمى بلسان البربر بلى (٩٤) ، وصبر الفريقان فى القتال حتى انجلت المعركة عن هزيمة حسان ومن معه من المسلمين ، وقتل كثير من المسلمين ، وأسر منهم ثمانون ، فسمى الوادى الذى دارت فيه المعركة وادى العذارى (٩٥) ، وسمى النهر منذ ذلك اليوم نهر البلاء (٩٦) .

طاردت الكاهنة الزناتية فلول الجيش العربى حتى خرجوا من افريقية ، فأقام حسان بن النعمان خارج افريقية طمعا فى أن يلحق به من أفلت من أصحابه (٩٧) ، وكتب الى خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان بخبر هزيمته ، واتجه بمن نجا من أصحابه الى برقة . وفى طريق عودته وافاه رد الخليفة يأمره بالمقام حتى يأتية المدد ، فأقام حسان بن النعمان خمس سنين فى المكان الذى وصله فيه خطيب الخليفة ، وبنى هناك قصورا سميت بقصور حسان (٩٨) ، وهى على بعد أربعة وخمسين ميلا من طرابلس (٩٩) . وبذلك خرج العرب من بلاد افريقية ، وقامت قبيلة جراوة الزناتية بالجولة الأولى فى مقاومة العرب الفاتحين .

ملك الكاهنة الزناتية افريقية وأحسنّت الى أسراها من العرب (١٠٠) وما لبثت أن أطلقتهم جميعا سوى واحد منهم يدعى خالد بن يزيد

-
- (٩٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ ، ونهر نينى فى أقصى افريقية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٦٩ .
 (٩٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٦ .
 (٩٥) نفسه ، ص ٥٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .
 (٩٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٣ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٢ .
 (٩٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٧ .
 (٩٨) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .
 (٩٩) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٩٨ .
 (١٠٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٧ ، انظر ، الصوفى ، تاريخ ، ص ٣٣ ، الا ان المالكي يذكر ان الكاهنة أساءت الى أسراها ، (رياض ، ١ ص ٣٣) ، ويرد الدباغ نفس القصة ، (معالم ، ١ ص ٦٣) .

العبيسي (١٠١) أو القيسي (١٠٢) ، فقد أبقت عليه الكاهنة لما كان له من الجمال والشجاعة ، ثم أرضعته مع ولديها فصار أخا لهما (١٠٣) . وكان للكاهنة ولدين أحدهما يدعى قويدر والآخر بامين (١٠٤) ، كانا قد ورثا رئاسة قومهما عن سلفهما ، فاستبدت الكاهنة عليهما وعلى قومهما بهما (١٠٥) ، وبعد أن هزمت حسان والمسلمين استمر حكمها لأفريقية خمس سنين (١٠٦) ، لم تحسن فيها إدارة البلاد ، وأساعت إلى رعاياها من غيظناتها ، فأنفض بعضهم من حولها واستغاثوا بالعرب ليخلصوهم من حكمها .

فقد اعتقدت الكاهنة أن العرب طلاب مال وغنائم ، وأن هدفهم من

(١٠١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٤ ،
الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٣ .

(١٠٢) الرقبى ، تاريخ أفريقية ، ص ٥٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص
١٨٧ ، البكرى ، المغرب ، ص ٨٠ .

(١٠٩) كان لقبيلة جراوة الزناتية رضاع قبل الإسلام ، إذا فعلوه توارثوا به ، وهذا ما فعلته الكاهنة ، إذ لثت دقبق الشعر بالزيت ووضعت على ثديها ، فاكل خالد بن يزيد مع ولديها وبذلك أصبحوا أخوة ، (الرقبى ، تاريخ ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٧ ، المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٤ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٣) .

(١٠٤) الرقبى ، تاريخ أفريقية ، ص ٥٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، ويرى البعض أن الكاهنة لم يكن لها أولاد حقيقيون ، وإنما كان لها ولدين بالتبني أحدهما بربرى والآخر يوناني ، (انظر الصوفي ، تاريخ ، ص ٣٧) ، وبذكر المؤرخ عبيد الله بن صالح أسماء أخرى لولدي الكاهنة ، (نص جديد ، ص ٢٢٢) .

(١٠٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ .

(١٠٦) الرقبى ، تاريخ أفريقية ، ص ٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٦ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ ، وأن كان د . مؤنس يذكر أن مدة ملك الكاهنة لأفريقية ثلاث سنوات ، إذا يحدد معركتها الأولى مع حسان في سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، وأنها قتلت سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م ، (انظر ، فتح ، ص ٢٥٨) .

(م ٨ - زناتة والخلافة الفاطمية)

غزو افريقية الذهب والفضة (١٠٧) ، ولم ينشأ عندها هذا الاعتقاد من فراغ ، فقد كانت أعمال قادة الفتح الاسلامي الاوائل لافريقية سببا ودلالة على ذلك . فقد أخذ عمرو بن العاص مالا ورجع عن برقة وطرابلس بعد أن فتحهما (١٠٨) ، ثم كان يبعث الجريدة من الخيل غيصيون الغنائم ثم يرجعون (١٠٩) ، وترك ابن سرح افريقية بعد أن هزم الروم وقتل ملكهم جرجير مقابل ثلثمائة قنطار من الذهب ، دون أن يولى عليها أو يتخذ بها قيوانا (١١٠) ، وربما كان المسلمون لا يرون في ذلك غصاصة ، حيث أن الغنيمية ، وهي فيء يؤخذ قسرا ، كان مقبولا عندهم شرعا ، فربما أوحى ذلك الى الكاهنة أن العرب طلاب مال وغنائم ، وحتى يئأس العرب من افريقية ويقل طمعهم فيها أرسلت قومه الى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون ، وكانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة (١١١) ، ولا غرو فقد أدهش ثراء البلاد العرب الفاتحين (١١٢) . فكان عمل الكاهنة سببا في تخريب البلاد ، وغضب رعاياها واستغاثتهم بالعرب .

خربت الكاهنة افريقية بعملها هذا (١١٣) ، اذ قضت على الأخضر واليابس بها ، كما كسدت التجارة لعدم استتباب الأمن (١١٤) ، فانهارت اقتصاديات البلاد ، لأن الحياة الاقتصادية تتأثر بأقل الأحداث

(١٠٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .

(١٠٨) ابن تغربردي ، النجوم ، ١ ص ٧٥ .

(١٠٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣٢ .

(١١٠) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٥ ،

السلوى ، الاستقصا ، ١ ص ٦٨ .

(١١١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ ،

ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٢١ .

(١١٢) أنظر . لويس ، القوى البحرية ، ص ١٢٩ .

(١١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٥ ، أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسي

٢ ص ١٨٢ .

(١١٤) أنظر ، محمود اسماعيل ، الاغالبية ، ص ١٦ .

السياسية التي تحدث ذعرا في النفوس (١١٥) ، وكان عمل الكاهنة هذا سببا في تمرد ملاك الأراضي وأصحاب المدن من الروم ، وكذلك بعضا من أهالي البلاد (١١٦) ، وكان هؤلاء من البربر البرانس أهل الاستقرار والنصارى أصحاب المدن ، مما حدا ببعض المؤرخين الى القول بأن البرانس والنصارى خرجوا يستغيثون بحسان بن النعمان فيمسا نزل بهم من خراب (١١٧) ، ويدفعنا هذا الى الاعتقاد بأن الذين طنوا مع الكاهنة يساندونها ضد العرب ، هم بطون زناتة ، بعد أن تخلى عنها البرانس والروم ونفر من البتر (١١٨) .

جاء المدد الى حسان بن النعمان ، فكتب الى خالد بن يزيد يستفسره عن أخبار الكاهنة الزناتية ومن معها من البربر ، فأرسل اليه خالد بأن البربر الذين مع الكاهنة منفرقون لانظام لم ، ولا رأى عندهم ، ويستحثه أن يطوى المراحل ويجد في السير لمهاجمتهم (١١٩) ، فخرج حسان بمن معه من المسلمين الى الكاهنة ، متخذ أقصر الطرق اليها (١٢٠) ، ورحلت الكاهنة من جبل أوراس لتلقى حسان والمسلمين ولأنها تعرف نتيجة المعركة سلفا ، فقد طلبت من خالد بن يزيد أن يستأمن لولديها عند حسان بن النعمان (١٢١) ، وطلب خالد بن يزيد منها أن تفر بنفسها ، فأبت ذلك حتى لا تقلد قومها عارا (١٢٢) ، فأخذ خالد ولديها الى حسان

(١١٥) انظر ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٣ هامش .

(١١٦) انظر ، Julien, op. cit., p. 13; Scott, Moorish Empire, V. 1, p. 155

(١١٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ .

(١١٨) انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٢٥٨ .

(١١٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٧ .

(١٢٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٥ ، المويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٠٩ .

(١٢١) المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٦ .

(١٢٢) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٨ .

عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٢٣ .

الذى وكل بهما من يحفظهما ، وقدم خالد على أعنة الخيل (١٢٣) ،
والتقى الجيشان فهزمت الكاهنة ومن معها ، وطاردها المسلمون حتى
تمكنوا من قتلها في الموضع الذى عرف بعد ذلك ببئر الكاهنة (١٢٤) ،
أو عند طبرقة التى تقع على شاطئ البحر وعلى مسيرة يوم عربى
بنزرت (١٢٥) ، وبعث برأسها الى الخليفة الأموى عبد الملك بن
مروان (١٢٦) .

بعد هزيمة الكاهنة ومقتلها (١٢٧) ، استأن من كان معها من
البربر ، فلم يقبل حسان أمانهم حتى يعطوه اثنى عشر ألفا منهم يجاهدون

-
- (١٢٣) نفسه ، ص ٦٣ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ .
(١٢٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧١ ، التجانى ، رحلة ، ص ٥٨ .
(١٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ٥٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٢٩٢ -
٢٩٣ ، وعن طبرقة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢١ - ٢٢ .
(١٢٦) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٢٣٢ .
(١٢٧) ليس من الغريب على المجتمع العربى أن تلعب المرأة دورا أساسيا
فيه ، مثلما فعلت زوجة يوسف بن تاشفين واخت ابن ثومرت وغيرهما ،
Julien, op. cit., p. 12 ، أما عن مقتل الكاهنة فقد اختلف المؤرخون حول
تاريخ مقتلها ، اذ يرى ابن عبد الحكم أن حسان ترك المغرب كله سنة
٧٦ هـ / ٧٩٥ م أو سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، (فتوح ، ص ٢٧١ - ٢٧٢) ، ويذكر
الرقيق أن عودة حسان الى القيروان بعد مقتل الكاهنة في رمضان سنة ٧٤ هـ /
يناير ٦٩٤ م ، أما ابن عذارى فيجعل عودة حسان الى القيروان بعد مقتل
الكاهنة في رمضان سنة ٨٢ هـ / أكتوبر ٧٠١ ، (البيان ، ١ ص ٣٨) ،
ويذكر التجانى أن امداد عبد الملك بن مروان لحسان بن النعمان كانت سنة
٧٩ هـ / ٦٩٨ م فيكون مقتل الكاهنة بعد هذا التاريخ ، (رحلة ، ص ١٦١) ،
ويرى ابن خلدون أن مقتل الكاهنة كان سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م ، (العبر ، ٤ ص
١٨٧) ، وحسب رواية ابن الأثير ، وابن الأبار ، والتجاني يكون المدد وصل
الى حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م ، ويختلف المحدثون كذلك حول
تاريخ مقتل الكاهنة فيرى د . مؤنس أن مقتل الكاهنة كان سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م
(انظر ، فتح ، ص ٢٥٨) ، ويرى غيره أن مقتل الكاهنة سنة ٨٢ هـ / ٧٠١
(انظر الجيالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨٣ ، يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١
ص ٨٤) ، أو سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، (ابن أبى ديفار ، المؤنس ، ص ٣٥ ،
انظر ، شعراوى ، الأمويون ، ص ١٠) ، فيكون أقرب التواريخ الى الصحة
أن مقتل الكاهنة كان في سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م .

مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على يديه ، فعقد حسان لولدى الكاهنة لكل على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب بجولون في افريقية يقاتلون من بقى من الروم ومن كفر من البربر (١٢٨) ، ثم انصرف حسان الى القيروان وقد دانت له افريقية ، فدون الدواوين ، وفرض الجزية على من ظل على النصرانية من الروم والافارقة (١٢٩) والبربر ، وكان عامتهم من البرانس الا قليلا من البتر (١٣٠) ، وصارت الخطط بافريقية للبربر ، فكان يقسم الفىء والأراضي بينهم (١٣١) ، وعمل على نشر الدين الاسلامي وائلفة العربية بين البربر ، اذ عهد الى الفقهاء من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام واللغة العربية (١٣٢) ، وقصارى القول ، ان حسان بن النعمان هو صاحب الفضل في فتح شمالي افريقيا حربيا ومعنويا في آن واحد بعد أن قضى على مقاومة قبيلة جراوة الزناتية التي كانت مضاربها بجبل أوراس .

كانت الكاهنة ملكة على افريقية كلها قبل معركتها الأخيرة مع حسان بن النعمان ، ولكن تخلى عنها من كان معها من الروم والبرانس وبعض البتر أيضا نتيجة لما فعلته الكاهنة بافريقية ، اذ أن الروم والبرانس

(١٢٨) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٤ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٨ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٧ ، الا ان ادن خلدون يذكر أن حسان عقد للأكبر من ولدى الكاهنة على قومهم جراوة وجبل أوراس (العبر ، ٦ ص ١٠٩) وفي موضع آخر يذكر ان حسان عقد لولدى الكاهنة على قومهما وجبل اوراس ، (العبر ، ٧ ص ٩) ، مما حدا بأحد مؤرخي الشرق الحديثين الى الاعتقاد بأن حسان حمل احد ولدى الكاهنة رئيسا مدنيا على قبيلة جراوة والآخر قائدا للحش ، (انظر ، الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٩٠) ، أما أحمد المستشرقين فيرى ان البربر أعطوا حسان عهدا ان ينضم اليه منهم أربعة وعشرون الفا للمساعدة في غزو اسبانيا (أنظر Osborn, op. cit., p. 194) وان لم يذكر على أي المصادر كان اعتماده .

(١٢٩) ويعرفون بالأفارق أو الأفارقة وهم اخلاط من سلالة اجنبية ، ويصفهم مؤرخو العرب بانهم خدم الروم ، (انظر ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ٢ ص ٥٣) .

(١٣٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧١ .

(١٣١) المالكي ، رياض ، ١ ص ٣٦ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٧ .

(١٣٢) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٣ .

أصحاب زراعة واستقرار ، فأصابتهم أضرار جسيمة نتيجة لما فعلته الكاهنة وقومها بمزارع افريقية وحصونها ، بالإضافة الى أن الكاهنة من البتر ، والعداء قديم بين البتر والبرانس ، لذا يمكننا القول بأن غالبية جيش الكاهنة في معركتها الثانية مع حسان كان من قبيلة زناتة ، ولأن الرئاسة لا تكون الا في عصبية ، ولا تكون في غير نسبهم (١٣٣) ، فقد عقد حسان لولدى الكاهنة كل على ستة آلاف خرجوا يقاتلون الروم ومن كفر من البربر . وبذلك تحولت قبيلة جراوة الى الاسلام مع مغراوة الزناتية وبني عبد الواد الزناتيين الذين سبقوها الى الاسلام ، الا أن هذه القبيلة الزناتية لم يعد لها ذكر في بلاد المغرب بعد معركتها مع حسان ومقتل زعيمتها . ولم يذكر الجغرافيون مضارب لجراوة في المغرب بعد ذلك ، وهي القبيلة التي كان لها قوة وكثرة جموع وملك قبل مقتل الكاهنة (١٣٤) وليس من المعقول أن تفنى قبيلة بين عشية وضحاها ، ولو كانت هذه القبيلة فنيت في معركتها مع حسان ما عقد لولدى الكاهنة على قومهما . ولكن الغالب على الظن أن قبيلة جراوة بعد أن تحولت الى الاسلام وانضمت الى جيش المسلمين ظلت تحارب الى جانبهم في المغرب حتى ورث موسى بن نصير هذا الجيش عن حسان بن النعمان ، ثم عبروا مع طارق بن زياد الى الأندلس . ومما يرجح ذلك وجود ناحية بالأندلس من أعمال فحص البلوط تحمل اسم جراوة (١٣٥) . ولعل هذا هو تفسير عدم وجود مواطن لقبيلة جراوة بالمغرب بعد مقتل الكاهنة .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى ما يراه البعض سببا في مقاومة الكاهنة الزناتية للعرب الفاتحين ، اذ يرون أن المقاومة كان أساسها القومية والدين اليهودي (١٣٦) ، ولكن الكاهنة لم تخرج لمقاومة العرب ولم تجمع

(١٣٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٤ ، انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥ ، الجابري ، العصبية ، ص ١٨٨ .

(١٣٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٣ ، ٧ ص ٨

(١٣٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٣٦) انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ص ٥٢ ،

جيشا لمحاربة حسان بن النعمان الا بعد أن بلغها خبر قدومه اليها (١٣٧)، فخرجت تدافع عن استقلال مملكتها التي حكمتها خمسة وثلاثين عاما ، أما بالنسبة للديانة اليهودية فهو افتراض لم يجد ما يؤيده ، وان كانت قبيلة جراوة لم تنضم الى العرب الفاتحين مع أول الفتح الاسلامي لبلاد المغرب مثل مغراوة الزفانية أقوى بطون زناتة ، وبنى عبد الواد الزناتيين، فذلك راجع الى الاختلاف في الحياة الاجتماعية عن بقية بطون زناتة ، فقد كانت جراوة تعيش حياة استقرار ، كما نالت قسما من الحضارة (١٣٨) بالاضافة الى أن جراوة كان عليها مساندة الروم في الحروب (١٣٩) .

عزل عبد العزيز بن مروان والي مصر آنذاك حسان بن النعمان عن ولاية افريقية ، اذ كانت افريقية تابعة لوالى مصر (١٤٠) وذلك بخلاف وقع بينهما (٤١) ، واختار عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير (١٤٢) لولاية

(١٣٧) انظر ، قبله .

(١٣٨) انظر الجليلي ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ ،

Julien, op. cit., p. 11

(١٣٩) ابن حطون ، العبر ، ٧ ص ٨ .

(١٤٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٨ .

(١٤١) وكان سبب الخلاف أن عبد العزيز بن مروان أراد أن يقتطع عمل

برقة من حسان بن النعمان ليولى عليه أحد مواليه ، فرفض حسان أن يتنازل عن ما أعطاه الخليفة ، (ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٤٩ - ٥٠) ، وربما أن حسان هو الذى طالب اعفائه ، (ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٥) .

(١٤٢) عنه الحميدى ، جنوة ، ص ٣١٧ ، ولد موسى بن نصير في خلافة

عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م ، وكان أبوه نصيرا على خيل معاوية بن أبى سفيان في حرب على بن أبى طالب ، ولكنه لم يقاتل معه عليا ، (ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢ ، انظر ، (Ency. of Isl. (Art Mosa

b. Nusir) led, 1, 3, pp. 139 — 140 وكان موسى بن نصير عاملا لعبد الملك بن

مروان على العراق ، نعتب عليه عبد الملك وأراد قتله ، فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى ولبه ، وأخذه معه الى مصر ، (ابن عبد الحكم ،

فتوح ، ص ٢٧٤) ، وقيل أنه احتحن الأموال لنفسه حين كان واليا على

البصرة فأوصى به عبد الملك بن مروان الحجاج ، فخاف موسى وخرج الى

عبد العزيز بن مروان في مصر الذى شفع له عند عبد الملك ، وأخذه معه الى

مصر ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٩ - ٤٠) ، اذ كان أبوه وصيفا لعبد

العزيز بن مروان ، (مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣) .

افريقية سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م (١٤٣) ، ووصل موسى بن نصير الى افريقية والقحط بها شديد ومدنها خالية (١٤٤) ، وقام بغزواته في بلاد المغرب حتى كثرت سباياه (١٤٥) ، وأرسل عياش بن أخيل الى زناتة في ألف فارس ، فأغار عليهم وعلى هواره وسبى منهم خمسة آلاف (١٤٦) . وكانت زناتة بافريقية والمغرب الأوسط قد أسلمت من قبل ، مما حدا بالبعض أن يعتبر سبايا موسى بن نصير من بطون زناتة الضاربة في المغرب الأقصى (١٤٧) . وواصل موسى بن نصير غزواته في بلاد البربر حتى استأمنوا له وأدوا الطاعة ، واستعمل على طنجة طارق ابن زياد الذي أبلى في حصار طنجة بلاء حسنا (١٤٨) ، وترك معه اثني عشر ألفا من البربر ، وهي العدة التي جعلها عليهم حسان بن النعمان ،

(١٤٣) اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولي فيها موسى بن نصير امر افريقية ، فيرى البعض انه تولاها سنة ٧٨ / ٦٩٧ م او سنة ٧٩ / ٦٩٨ ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٤ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ص ٥٠ ، ابن الأبار ، الحلة ، ص ٢ ، ص ٣٣٢ ، مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣) ، او سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م ، (المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٥٠) ، او سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م ، (الضياف ، اتحاف ، ص ١٨٣) ، او سنة ٨٩ هـ / ٨٠٨ م ، (البلاذري ، فتوح ، ص ٢٣٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١) ، او حتى سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ، (الحميدى ، جذوة ، ص ٣١٧ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورفعة ٥٤ ظهر) ، او سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ، (انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربي ، ص ١٨٣) .

(١٤٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٨ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص

١٣٥ .

(١٤٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٣ ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٩ ، عبد الملك بن حبيب ، استفتاح ، ص ٢٢٤ .

(١٤٦) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٤ ، ابن عذارى ، البيان ،

١ ص ٤١ ، ابن أبي حنينة ، المؤنس ، ص ٣٥ .

(١٤٧) انظر ، دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٠ .

(١٤٨) انظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٥١ ، الصوفي ، تاريخ ،

ص ٨٥ .

وكانوا قد دخلوا الاسلام وحسن اسلامهم (١٤٩) ، كما كانوا بالأسلحة والعدة الكاملة (١٥٠) ، وترك معهم سبعة وعشرين رجلا من العرب ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين (١٥١) ، لأن البربر كثيرا ما ارتدوا عن الاسلام ، فاستقرت كلمتهم عليه في عهد موسى بن نصير (١٥٢) .

ولقد شاركت زناتة مشاركة فعالة في فتح الأندلس (١٥٣) ، وكان لها دورها البارز بين القبائل البربرية التي حملت معظم العبء في هذا الفتح ، فقد أرسل موسى بن نصير طريف بن ملوك الى الأندلس في أربعمئة فارس سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م ، فتأكد مما قاله يوليان حاكم سبتة وقتئذ عن ضعف الأندلس (١٥٤) ، فعبر طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م بجيش قوامه آلاف من البربر ليس فيهم من العرب الا القليل (١٥٥) ، وافتتح معظم الأندلس ثم عبر موسى بن نصير وأكمل الفتح (١٥٦) .

(١٤٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٩ ، يذكر بعض المؤرخين ان عدد البربر الذين تركهم موسى بن نصير مع طارق بن زياد كانوا تسعة عشر الفا ، (ابن خلکان ، وفیات ، ٢ ص ١٣٥ ، النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٠ ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٩) ، وهذا احتمال ليس ببعيد عن الحقيقة ، اذا أخذنا في الاعتباران العدة التي فرضها حسان بن النعمان على البربر هي اثني عشر الفا ثم اضيف اليهم سبايا موسى بن نصير من فرسان البربر .

(١٥٠) المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٩ .

(١٥١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٠ .

(١٥٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٣ .

(١٥٣) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٤٧ وما بعدها ، ابن عذري ، البيان ، ٢ ص ١ - ٢ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ٢ ص ١٩٧ وما بعدها ، العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٩ وما بعدها .

Lan-Poole, The Moors, P. 13

(١٥٤) انظر ،

(١٥٥) عبد الملك بن حبيب ، استفتاح ، ص ٢٢٢ ، الحميري ، صفة ،

Sha'ban, Islamic History, p. 149.

ص ٩ ، انظر .

(١٥٦) عن فتح الأندلس ، العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص

٥٥ وما بعدها ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٣٨ وما بعدها .

ومما لا شك فيه أن زناتة حملت العبء الأكبر بين قبائل البربر في هذا الفتح ، فقد كانت زناتة أول قبائل البربر اسلما وانضماما الى العرب (١٥٧) ، وقد ساعدتهم في استكمال فتح المغرب (١٥٨) ، فكانت ضمن الجيش الاسلامي الذي خرج مع عقبة بن نافع لمحاربة من كفر من البربر ، كما أن الجيش الذي ورثه موسى بن نصير عن حسان بن النعمان كان به قبيلة جراوة الزناتية التي انضم منها اثنا عشر ألفا الى حسان بن النعمان يقودهم ولدا الكاهنة ، اذ أننا لم نسمع عن قبيلة جراوة بالمغرب بعد هزيمة الكاهنة ومقتلها بعد أن كان لجراوة كثرة وعديد جموع (١٥٩) ، وإنما وجدت ناحية بالأندلس من أعمال فحس البلوط تحمل اسم جراوة (١٦٠) ، مما يدل على انتقالهم الى الأندلس مع الأفواج الأولى للفتح واستقرارهم بها بعد ذلك ، كما أن زناتة أصبحت لها شهرة واسعة في تاريخ الأندلس منذ بعد الفتح (١٦١) .

ومما يؤكد دور زناتة في فتح الأندلس ما ذكره أحد المستشرقين من أن الفتح كان على أكتاف زناتة وغماره ومصمودة (١٦٢) ، وما ذكره عبيد الله بن صالح من أن جيش طارق بن زياد كان من رهائن زناتة وهوارة ، ورهائن حسان بن النعمان (١٦٣) ، بالإضافة الى أن الكثير من منازل البربر الأول بالأندلس أخذت اسم زناتة أو أحد بطونها (١٦٤) ، مثل مدينتي برزال وبرذيل في أقليم برغش (١٦٥) ، التي ربما أخذت اسمها من قبيلة بنى برزال الزناتية ، وأقليم زنات بسرقسطة الذي

(١٥٧) انظر . مؤنس ، فجر ، ص ١٢٨ .

(١٥٨) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٣٠٠ .

(١٥٩) انظر . قبله .

(١٦٠) ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٧٢ .

Scott, Moorish Empire, Vol. 1, p. 225

(١٦١) انظر .

Id (١٦٢) انظر .

(١٦٣) نص جنية ، ص ٢٢٤ ، نخب ، ص ١٢ ، انظر ، السيد عبد العزيز ،

المغرب الكبير ، ص ٢٧٤ .

(١٦٤) انظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

(١٦٥) الحميري ، صفة ، ص ٤١ .

نسب إلى زناتة (١٦٦) ، واقليم زناتة ببلنسية (١٦٧) ، وجراوة التي من أعمال فحص البلوط (١٦٨) ، كما أن زناتة كانت لها قيادة ثورة البربر في الأندلس (١٦٩) ، وهي الثورة التي قامت بعد ثلاثين عاما فقط من الفتح ، مما يدل على كثرة البطون الزناتية بالأندلس آنذاك . ثم كان لزناتة دورها في مناصرة عبد الرحمن بن معاوية في حروبه بعد أن دخل الأندلس وعمل على تكوين امارة مستقلة بها (١٧٠) .

أما طارق بن زياد قائد الجيش الذي فتح الأندلس ، فقد اختلف المؤرخون في نسبة فقيل أنه من الصدف (١٧١) ، أو من الفرس (١٧٢) ، أو من البربر من قبيلة نفزة (١٧٣) ، أو من قبيلة زناتة (١٧٤) ، ولم يرجح الكثير من المؤرخين رأيا على آخر ، فيذكرون نسبة إلى الصدف والفرس والبربر إلى جانب بعضهم بعضا ، إلا أن ابن خلدون الذي كانت دراسته للعصبية عن مشاهداته لقبائل البربرية خرج لنا بالرأى القائل أنه لا رئاسة الا في عصيئة (١٧٥) ، مما يرجح نسب طارق إلى زناتة اذ كانت أغلبية الجيش الاسلامي الذي قاده طارق بن زياد لفتح الأندلس من قبيلة زناتة ، ويضيف ابن عبد الحكم أن طارق كان بتلمسان حين راسله يوليان لفتح الأندلس ، وأن طارق أخذ من يوليان رهائن أقهرهما

(١٦٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤٠٦ ، السيوطي ، اللباب ، ص ١٢٧ .

(١٦٧) انظر مؤنس ، فجر ، ص ٥٨٦ .

(١٦٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٦٩) ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٣٠ ، ابن أبي ديفار ، المؤنس ، ص ٤١ .

Scott, op. cit., p. 393.

(١٧٠) انظر .

(١٧١) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢

ص ١٣٥ .

(١٧٢) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٦ .

(١٧٣) ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٦ .

(١٧٤) الادريسي ، نزهة ، ٥ ص ٥٣٩ ، الحميري ، صفة ، ص ٧٥ .

(١٧٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٤ ، انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة

الاسلامية ، ص ٢٥ .

بتلمسان (١٧٦) ، ومن المعروف أن طارق كان واليا على طنجة ، فمصادا كان بتلمسان ، ولماذا يترك أسراه بتلمسان ؟ التي هي من بنساء زناتة وفي قلب مواطنهم حتى أن ابن عذارى يسميها دار مملكة زناتة (١٧٧) ، ومما يزيد ترجيح نسب طارق الى زناتة ما ذكره ابن حوقل أن من بين بطون زناتة من عرفوا ببنى طارق (١٧٨) ، مما يدل على انتشار اسم طارق فيما بينهم ، بالاضافة الى أن اسم طارق (١٧٩) فيه دلالة على أن أسرته أسلمت مع أول الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، ومن المعروف أن زناتة كلفت أول قبائل البربر اسلاما وانضماما الى العرب . وقد أخذ بعض المؤرخين المحدثين بالرأى القائل أن طارق بن زياد زناتى الأصل والنسب (١٨٠) .

بعد أن اتم المسلمون فتح الأندلس الذي شاركت فيه زناتة وغيرها من قبائل البربر بدأت اللغة العربية في الانتشار بين سكان شمالي أفريقيا (١٨١) ، بفضل الجهود التي بذلها الخليفة عبد الملك بن مروان (١٨٢) ، ولكون الصلاة بها وفرض على كل من اتخذ الاسلام ديناً (١٨٣) ، بالاضافة الى رغبة المغنوب في تقليد الغالب (١٨٤) ، وأصبحت شمالي أفريقيا ولاية مستقلة عن والى مصر وتتبع الخليفة

(١٧٦) فتوح ، ص ٢٧٧ .

(١٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦١ .

(١٧٨) صورة ، ص ١٠٢ .

(١٧٩) اختلف المؤرخون في اسم طارق ، فقيل أن اسمه طارق بن عمرو ، (الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٣٠ ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٠) ، وقيل طارق بن زياد بن عبد الملك ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٥٠ ، نخب ، ص ١٢) ، وقيل طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتى ، (الادريسي ، نزهة ، ٥ ص ٥٣٩ ، الحميرى ، صفة ، ص ٧٥) .

(١٨٠) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ١٢٨ ، ثورات البربر ، ص ١٥٣ ،

العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٤ .

(١٨١) أنظر . شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٨ .

(١٨٢) أنظر . هاجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(١٨٣) أنظر ، كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ١ ص ١٨٠ .

(١٨٤) نفسه ، ص ١٨٢ .

مباشرة ، ويولى الخلفاء بأنفسهم ولائها (١٨٥) ، وبعد عزل موسى بن نصير ولى المغرب محمد بن يزيد سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م (١٨٦) ، فكانت ولايته سنتين وأشهرًا في أحسن سيرة (١٨٧) ، ثم خلفه اسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر سنة ١٠٠ هـ / ٧١٩ م (١٨٨) ، فأسلم على يديه غالبية البربر ، وكان خير وال وخير أمير ، كما علم أهل افريقية الحسنة والحرام (١٨٩) ، فكانت ولاية المغرب لاثنتين من الولاة قاما بالحق والعدل بين الرعية من البربر مما كان سببا في تحول البربر الى الاسلام ، ومعرفتهم بالحقوق التي منحها الاسلام لهم .

بعد أن تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ / ٢١ يناير سنة ٧٢٠ م (١٩٠) ، عزل عمال عمر بن عبد العزيز ، وولى على افريقية يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج (١٩١) ، فأسرف في ظلم البربر وتعسف في معاملتهم (١٩٢) ، وأراد أن يضع وثما على أيدي حرسه حتى يتميزوا به كما كان يصنع الروم ، فأنفوا من ذلك ، وكان حرسه وحرس الولاة من قبله من قبائل البتر وليس فيهم من البرانس

(١٨٥) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ .

(١٨٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٧ ، البعقوبى ، تاريخ ، ص ٢٩٤ ، ويرى البعض أن ولاية محمد بن يزيد على افريقية كانت في أول سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م ، (انظر ، محمد مختار ، التوفيقات ، ص ٤٩) .
(١٨٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٩٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ص ٤٧ .

(١٨٨) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٢٢ - ٢٣ ، وقد اختاره عمر بن عبد العزيز لولاية افريقية لأن اسماعيل بن عبيد الله رفض أن يقسم أمام سليمان بن عبد الملك أن خراج افريقية أخذ بحقه ، نفس المصدر والصفحة .

(١٨٩) ابن عذارى ، البيان ، ص ٤٨ ، الديباغ ، معالم ، ص ٢٠٣ ، انظر .
Marçais, I. Berberie, p. 40:

(١٩٠) البعقوبى ، تاريخ ، ص ٣١٠ - ٣١١ ، ابن عذارى ، البيان ، ص ٤٨ .

(١٩١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٨ .

(١٩٢) أنظر . مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٥١ .

أحد (١٩٣) ، فوثب الحرس على يزيد بن أبي مسلم فقتلوه وكتبوا الى الخليفة الأموي بأنهم لم يخلعوا الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامهم مالا يرضاه الاسلام فقتلوه (١٩٤) ، فكان هذا دلالة على أن قبائل شمالي أفريقيا عرفوا ما منحهم الاسلام من حقوق ، وأنهم لن يتنازلوا عن هذه الحقوق ، ولن يستكينوا لظلم يقع عليهم ، ولم يبين لنا أحد من المؤرخين القدامى من أي قبائل اللبتر كان حرس يزيد بن أبي مسلم ، ولكن سبق زفاته الى الاسلام ، وانضمامها الى العرب منذ أول الفتح ، وولائهم لبنى أمية منذ عهد عثمان بن عفان (١٩٥) حدا ببعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن حرس ولاة بنى أمية للمغرب ، والذين قتلوا يزيد بن أبي مسلم كانوا من قبائل زفاته (١٩٦) .

وتولى هشام بن عبد الملك الخلافة في شعبان سنة ١٠٥ هـ / يناير سنة ٧٢٤ م ، وكان هشام بن عبد الملك عاقلا حكيما (١٩٧) ، ومن سياسة بنى أمية ورجالها العظماء (١٩٨) ، الا أنه كان بخيلا يعمل على جمع المال ، وجمع من الأموال الكثير (١٩٩) ، وانقص من رواتب العمال والجرايات والنفقات كلها (٢٠٠) ، فكان على عماله في الولايات أن يشتطوا في جمع الضرائب ليسترضوا الخليفة ، وليعوضوا ما أنقصه من رواتبهم . وعزل هشام بن عبد الملك واليه على افريقية واختار

(١٩٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٩ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٩٨ .

(١٩٤) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٥ ، ٤١ ، السلاوي ، الاستقصاء ، ص ٩٢ .

(١٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ص ١٠٨ .

(١٩٦) أنظر ، مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٦٣ .

(١٩٧) ابن طنابطا ، الفخرى ، ص ١١٧ ، ويعبر المؤرخون عن حكمة هشام بأنه كان محشوا عقلا ، (العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٦ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٧) .

(١٩٨) المسعودي ، مروج ، ص ٢٢٣ ، أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ص ٢٨١ .

(١٩٩) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٥ ، ١٠٤ ، العبرى ، المصدر السابق ،

١١٧ ، ابن طنابطا ، الفخرى ، ص ١١٧ .

(٢٠٠) المغربي ، الجمان ، ورقة ١٦٢ ظهر .

لها عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م (٢٠١) ، الذي عـرف بتعـسفـه في جـمع الضـرائب والعـمل على زيادتها (٢٠٢) ، فاستعمل عبيد الله ابن الحبحاب ابنه اسماعيل على السوس الأقصى وماورائه ، وعمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى ، فأساءوا السيرة ، ونعدوا في الصدقات ، وأرادوا أن يخلصوا من أسلم من البربر ، كما زعموا أنهم فيء للمسلمين ، وهو ما لم يفعله أحد قبلهم (٢٠٣) ، مما كان سببا في ثورة البربر الكبرى التي قادتها زناتة ، وحملت معظم عبثها ، واقتطعت المغربين الأقصى والأوسط عن طاعة الخلافة الأموية .

وكان لهذه الثورة أسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ولم تكن الثورة وليدة يومها ، ولكن أسبابها تراكمت على مر السنين فأثارت النفوس ، فقد كان ولاية افريقية يجمعون المال منها بغير وجه حق ، مما كان سببا في رفض اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، والسمح بن مالك الخولاني أن يقسما أمام سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين لى أن الأموال أخذت من أهل افريقية بالحق (٢٠٤) . وكان خلفاء بني أمية على علم بما يفعله عمالهم في الولايات من عسف وظلم ، فقد سكنت فنائم موسى بن نصير ما كان بنفس عبد الملك بن مروان من وجد عليه (٢٠٥) ، وأقر هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان على ولاية افريقية عندما جاءه بأموال وهدايا عظام (٢٠٦) ، وكان خفاء

(٢٠١) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١١٦ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٦ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٥١ ، الا ان ابن الاثير يذكر ان تولية ابن الحبحاب افريقية كانت سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ، (الكامل ، ٥ ص ٧٥) .
(٢٠٢) انظر حوزي ، تاريخ مسلمي اسبانيا ، ١ ص ١٤٢ ،

Scott, op. cit., p. 312

(٢٠٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٥ ، ابن خلدون العبر ، ٤ ص ١٨٩ ، اماري ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٩ ، ٤٦٥ ، (انظر ، Hopkins, Moslem Government, p. 28

(٢٠٤) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٢٣ .
(٢٠٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٢ .
(٢٠٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩١ ، البعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٣١٨ .

المشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها الى والى افريقية ، فيبعث لهم البربريات الجميلات والأردية العسلية ، فلما أفضى الأمر الى ابن الحباب مناهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر من سابقية ، (٢٠٧) ، فأخذ من البربر أغنامهم وهي المصدر الرئيسي لثروتهم ، ووسيلة معيشتهم الوحيدة (٢٠٨) ، وأرسل عبد الرحمن بن حبيب غازيا بلاد السوس فظفر ظفرا لسم ير أحد مثله (٢٠٩) ، وأساء عمله على طنجة والمغرب الأقصى والسوس السيرة وأرادوا أن يخمسوا البربر (٢١٠) وقصارى القول أن عمال العصر الأموي الأخير على افريقية أساءوا معاملة البربر وأرهقوهم بالضرائب ، وتحسفوا في جمعها (٢١١) في الوقت الذي ساءت فيه الأحوال الاقتصادية للبلاد (٢١٢) .

وكان بعد شمالي افريقيا عن مركز الخلافة سببا في أن أصبحت مأوى الهاربين من وجه الخلفاء ، فقد خرج اليها بعض العرب مضطرين أمام ما استجد من الظروف السياسية والفتن الداخلية (٢١٣) . فتزايدت

(٢٠٧) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٥٢ ، فخب ، ص ١٥ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربي ، ص ٢٥١ ، وينكر صاحب كتاب اخبار مجموعة أن خلفاء بني أمية كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية ، (مجهول ، ص ٣١) .

(٢٠٨) انظر ، دوزي ، تاريخ مسلمي اسبانيا ، ١ ص ١٤٣ ، حسن محمود والشريف ، العالم الاسلامي ، ص ٤٠٢ .
(٢٠٩) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٠ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٠٧ .

(٢١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٥ ، انظر .
Hopkins, op. cit., p. 28

(٢١١) انظر .

Hopkins, op. cit., p. 27; Marçais, le Berbérie, pp. 43 Sq

(٢١٢) انظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ١٤٤ ، محمود اسماعيل ، قضايا في التاريخ الاسلامي ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، محمد بن تاويت ، نشأة دولة الخوارج بالمغرب ، ص ٢٧٠ .

(٢١٣) انظر ، شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٧٠ .

أعداد من بافريقية من خصوم البيت الأموي (٢١٤) ، وعمد هؤلاء إلى إثارة نفوس البربر على بنى أمية ، كما فر بعض الخوارج إلى شمالي أفريقيا ، وعملوا على بث عقائدهم في نفوس البربر ، التي كانت ممهدة سياسيا واقتصاديا لقبول دعوة الخوارج (٢١٥) ، فأخذت غالبية بطون زناتة بدعوة الخوارج ، فتحول إليها بنو دمر وبنو واسين (٢١٦) ، كما أخذت بها بعض بطون مغراوة (٢١٧) ، أما بنو يفرن فقد ضربوا فيها بسهم وانتحلوها وقتلتوا عليها (٢١٨) ، وكانت غالبية خوارج زناتة بالمغربين الأقصى والأوسط على مذهب الصفرية من الخوارج (٢١٩) ، أما بطون زناتة بافريقية فكان جلهم خوارج اباضية (٢٢٠) . ومن الجدير بالذكر أن لانتشار مذهب الخوارج بين بطون زناتة دليل على تمكن الاسلام منهم (٢٢١) .

(٢١٤) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١٠ ص ٨٠ ، شجر اوى ، الأمويون ، ص ٤٣ ، Scott, op. cit., p. 281

(٢١٥) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٥ ، الحركات السرية ، ص ٣٣ - ٣٤ ، وان كان البعض يرى أن الخوارج لم يكونوا مدفوعين لثوراتهم بشهوات أو يهدفون إلى غايات ، وأنهم لم يخرجوا ثائرين طمعا في الامارة أو الملك ، (انظر ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٥٠ - ٥٣) .
(٢١٦) انظر ، قبله .

(٢١٧) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ١٦٩ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٠٨ .

(٢١٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، انظر ،
Le Tourneau, La Revolté, d'Abu Yazid, p. 439.

(٢١٩) ينكر ابن تغري بيردى أن للصفرية من الخوارج نسبة إلى بنى المهلب بن أبي صفرة ، (النجوم ، ١ ص ٢٨٩) ، وقيل نسبة إلى زياد بن الأصفر ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٧٠ ، انظر ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٦٦) ، أو نسبة إلى عبد الله بن الصفار أو غيره وعن الاختلاف في تسميتهم ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٧) .
(٢٢٠) ينسب المذهب الاباضى إلى عبد الله بن اباض ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٤٢) .
(٢٢١) انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٦٥ .

(م ٩ - زناتة والخلافة الساطمية)

وقد أخذت زناتة بمذهب الخوارج دون غيره من المذاهب الإسلامية لأنه يناسب مزاجها (٢٢٢) ، فهو أكثر المذاهب الإسلامية ديمقراطية ، فالخلافة فيه لأي شخص عارف بالكتاب والسنة (٢٢٣) ، على عكس مذهب أهل السنة الذي اشترط أن يكون الخليفة من قريش (٢٢٤) ، وحتى وإن كان عاجزا عن القيام بأمور المسلمين (٢٢٥) ، ومذاهب الشيعة التي اشترطت أن يكون الخليفة من نسل علي بن أبي طالب (٢٢٦) ، وكانت زناتة تأنف من الخضوع المطلق ، إذ لم تكن بطونها تخضع حتى لدفع الضرائب والمغارم (٢٢٧) .

ولقد أثار الخوارج نفوس البربر التي كانت مستعدة للثورة (٢٢٨) ، وبخاصة قبيلة زناتة التي كانت صاحبة الفضل في استكمال فتح المغرب والأندلس ، وكانوا يتوقعون من العرب أن يعاملوهم معاملة الأنداد ، إلا أن عمال بني أمية عاملوهم مثل غيرهم من البربر ، فلم نسمع أن ولاية بني أمية على إفريقية عاملوا زناتة معاملة خاصة رغم ما قدمت زناتة

Juhen, op. cit., pp. 20 — 21.

(٢٢٢)

(٢٢٣) انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٦ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٤ ، ١٩٢ ، البشبيشي ، الفرق الإسلامية ، ص ٦٦ .

(٢٢٤) الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٦ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٦٠ .
(٢٢٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٩ .

(٢٢٦) أنظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٥١ وما بعدها ، بلبع ، ادب المعتزلة ، ص ٣٧ .

Williams, Themes of Islamic Civilization, pp. 40 — 41, 91.

(٢٢٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ ، أنظر ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣١٦ .

(٢٢٨) يضيف البعض سببا غربيا لثورة البربر التي قادتها زناتة ، وذلك بأن حاكم طنجة في سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م حاول إيقاف عبور البربر إلى الأندلس مقاموا بالثورة ، انظر ، Sha'ban, Op. Cit., p. 150 ، ولم يذكر المؤرخ المصادر التي اعتمد عليها كما لم يوحد نص في المصادر بهذا المعنى ، كما أنه من غير المعقول أن تكون الثورة وليدة سبب واحد ، أو أن تشتعل في النفوس بين يوم وليلة .

لهم ، فتغيرت نفوسهم على العرب وبدعوا ينقلبون عليهم (٢٢٩) ، ولم يحاول خلفاء بنى أمية تخفيف وطأة ولاتهم عن زناة التي كانت خالصة لهم على حد قول ابن خلدون (٢٣٠) ، فقد تعصب بنو أمية للعرب دون سائر المسلمين (٢٣١) ، كما أن فكرة نشر الدعوة الإسلامية كانت قد خبت وضعفت بالنسبة للعصبية العربية (٢٣٢) . وقصارى القول أن قيام زناة بالثورة على ولاة بنى أمية لم يكن خروجاً على الدين ، بل كان خروجاً على السلطة الحاكمة التي لم تكن تطبق شريعة الاسلام من المساواة بين المسلمين ، واسقاط الجزية عن من أسلم (٢٣٣) .

ثارت زناة ومن معها من قبائل البربر على عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، وقدموا على أنفسهم ميسرة المطعري ، وقصدوا طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادى ، وبايعوا ميسرة بالخلافة وخطب بأمر المؤمنين (٢٣٤) ، وكان اختيار ميسرة لزعمامة الثورة واجهة دينية وليس لغلبة عصبية ، لأن للعامل الدينى أثره فى اعطاء الثورات اطارها الشرعى (٢٣٥) ، ثم زحف ميسرة من طنجة الى السوس وقاتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب فهزم جيشه وتمكن من قتله (٢٣٦) ، وبلغ والى افريقية عبيد الله بن الحبحاب هزيمة جيوشه ومقتل عماله ، فأرسل الى قائده حبيب بن أبى عبيده يستدعيه ومن معه

(٢٢٩) أنظر ، مؤسس ، فتح ، ص ٩ ، ثورات البربر ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢٣٠) أنظر . قبله .

(٢٣١) أنظر ، محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ٨٨ .

(٢٣٢) أنظر ، الطباع ، محقق ، تاريخ افتتاح ، ص ١٧ م .

(٢٣٣) أنظر . حسن ابراهيم ، الفاطميون ، ص ٥٢ ،

Read. The Moors, p. 37.

(٢٣٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص

١٨٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٩٧ ، لا ان صاحب كتاب اخبار مجموعة

يذكر ان ثورة البربر قامت سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، (مجهول ، ص ٢٨) .

(٢٣٥) أنظر . محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ١٨١ .

(٢٣٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص

من صقلية ، وجهز من بافريقية من العساكر ، وولى عليهم خالد بن حبيب ابن أبي عبيدة ووجهه لقتال ميسرة (٢٣٧) .

سار خالد بن حبيب حتى عبر وادي شلف والتقى مع ميسرة بالقرب من طنجة ، ودارت بينهما معركة يبدو أن القتال كان فيها سجالا أو أن ميسرة هزم في تلك المعركة (٢٣٨) ، وعاد ميسرة الى طنجة فذكر عليه من كان معه من البربر سوء سيرته ، وتغيره عما بايعوه عليه ، فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتى (٢٣٩) ، فاصبحت لزنانة قيادة الثورة ، وربما كانوا هم غالبية جنودها ، فان اختيار قائد الثورة من عصبيتهم لدليل على أنهم غالبية الثوار ، لأن الرئاسة لا تكون الا بالعصبية (٢٤٠) ، ولأنه في معظم الأحيان يتولى سيد القبيلة رئاستهم عند القتال (٢٤١) ، اذ أن القبيلة تأنف أن يقودها في القتال رئيس قبيلة أخرى (٢٤٢) ، كما أن خالد الزناتى هذا لم نسمع له سبقا الى مذهب الخوارج ومعرفه به مثل ميسرة المطغرى .

ومما يبين أن غالبية جنود الثورة كانوا من قبيلة زناتة ، أنه لو كانت الغالبية لقبيلة مطهرة لحماو زعيمهم ميسرة من القتل ، فالمقبائل تحمي زعماءها وان تغيروا عن طريق العدل (٢٤٣) ، لأن هذه هي طبيعة النظام القبلى ، أو على الأقل ثاروا على القائد الجديد وخرجوا من الثورة فتضعف قوتها ، وبالفعل انسحبت مطهرة لمقتل زعيمها ، وبعد أن تزعم خالد

(٢٣٧) نفس المصادر والصفحات .

(٢٣٨) انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٥٠ .

(٢٣٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، البيان ،

١ ص ٥٣ ، انظر . Terrasse, Histoire du Maroc, Vol. I, p. 100.

وبذكر ابن الفوطى أن البربر تجمعوا الى حميد الزناتى وميسرة المطغرى في نفس الوقت ، ((تاريخ الفتاح ، ص ٤١) .

(٢٤٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٤ ، انظر . الجابري ، العصبية

والجولة ، ص ١٨٨ .

(٢٤١) انظر . النص ، العصبية القبلية ، ص ٧٩ .

(٢٤٢) انظر . نفسه ، ص ١١٨ .

(٢٤٣) الشماخي ، السير ، ص ١٤٠ ، انظر ، محمد بن قايوت ، دولة

الرستميين ، ص ١٠٧ .

ابن حميد الزناتى الثوار انسحبت قبيلة مكناسة هي الأخرى بسبب زناتية الثورة (٢٤٤) ، ولكن ذلك لم يضعف من قوة الثوار ، بل أننا نجد الثورة تزداد قوة وفاعلية ، ويستطيع الثوار هزيمة العرب ، مما يؤكد أن من شارك في الثورة من مطهرة ومكناسة كانت أعداد قليلة لم تؤثر بانسحابها على قوة الثوار .

بعد أن تولى خالد بن حميد الزناتى قيادة الثوار ، وانسحبت مكناسة ومطهرة من الثورة ، وأصبحت الثورة زناتية قادة وجنودا ، زهفت زناتة لملاقاة العرب فالتقوا مع خالد بن حبيب وجيشه عند وادى شلف (٢٤٥) ، وكان خالد بن حميد الزناتى على مقدرة عسكرية ، فاستخدم الكمين في معركته مع العرب (٢٤٦) ، كما كان لزناتة فيها الحربى الخاص بها من استخدام الدروع الجلدية وركوب الخيل الخفيفة وسرعة الكروالفر (٢٤٧) فاستطاعوا أن يهزموا العرب ، وقتل خالد بن حبيب كما قتل في هذه المعركة « فرسان العرب ، وكماتهم وحماتهم ، فسميت المعركة وقعة الأشراف » (٢٤٨) ، لكثرة من قتل فيها من أشراف العرب ، فلما بلغ خبر هذه الهزيمة إلى هشام بن عبد الملك « أقسم ليغضب لهم غصبة عربية ، وليبعث لهم جيشا أوله عندهم وآخره عنده » (٢٤٩) .

عقد هشام بن عبد الملك لكلثوم بن عياض القشيري على اثني عشر ألفا من أهل الشام وبعثه إلى إفريقية ليردها إلى الطاعة ، وكتب إلى ولاية البلدان التي يمر بها كلثوم أن يخرجوا معه ، فخرج معه من مصر

(٢٤٤) انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ .

(٢٤٥) الرقيى ، تاريخ إفريقية ، ص ١١٠ - ١١١ ، انظر ، الصوفى ،

تاريخ ، ص ٢٤٨ .

(٢٤٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٣ .

(٢٤٧) انظر ، العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٧ .

(٢٤٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص

٧٥ .

(٢٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص

وبرقة وطرابلس حتى بلغ جيشه ثلاثين ألفا (٢٥٠) ، ودخل هذا الجيش أفريقية في رمضان سنة ١٢٣ هـ / يولييه سنة ٧٤٠ م (٢٥١) ، وكان على مقدمة الجيش بلج بن بشر القشيري الذي لقي أهل القيروان بالجفاء والتكبر ، فكتب أهل القيروان إلى حبيب بن أبي عبيدة الذي كان مرابضا بجيوش المسلمين في تلمسان ، التي تقع في قلب مضارب زناتة ، ويعتبرها المؤرخون دار مملكة زناتة (٢٥٢) يشكون بلجا ، فثارت الخصومات القبلية بين العرب ، واختلفت العرب الشامية مع العرب اليمنية وكادوا يقتتلون (٢٥٣) ، ولكنهما اضطرا للتصالح لقتال خالد بن حميد الزناتى (٢٥٤) ولحق كلثوم وبلج ومن معهما من العرب بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابض عند تلمسان (٢٥٥) .

خرج الجيش العربى فالتقى بالثوار عند وادى نهر سبو (٢٥٦) ، في

(٢٥٠) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣١ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٣٠ .

(٢٥١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٥ ، وقد خرج مع كلثوم بن عياض في هذا الجيش شمر بن ذى الجوشن الذى قدم برأس الحسين بن على الى يزيد بن معاوية ، (ابن الفرضى ، تاريخ ، ١ ص ١٩٨) .

(٢٥٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦١ ، وكان حبيب بن عبيدة قدم من صقلية ، وعرج على تلمسان حين علم بتواطؤ واليها موسى بن ابي خالد مع زناتة فعاقبه بقطع اطرافه ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤) .

(٢٥٣) الرقيق ، تاريخ ، ص ١١٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٩ ، انظر .

Ency. of Isl. (Art Balj b. Bishr), 2ed, V. 1, p. 990

وعن تفاصيل الخلاف بين العرب الشامية والعرب اليمنية ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٥ ، الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص ١١٢) .

(٢٥٤) نفس المصادر والصفحات ، الا ان صاحب كتاب اخبار مجموعة يذكر ان لفاء كلثوم بن عياض كان مع البربر بقيادة ميسرة ، (مجهول ، ص ٣٤) (٢٥٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٩ ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٦ . (٢٥٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٥ .

موضع يقال له بقدورة (٢٥٧) ، واستطاع خالد بن حميد الزناتى أن يعزل الحيلة من الجيش العربى ويبيدها عن المشاركة فى المعركة (٢٥٨) ، فأصبحت المعركة بين الرجال من الجيش (٢٥٩) ، فحلت الهزيمة بالعرب بعد مقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبى عبيدة ووجوه العرب (٢٦٠) . واستطاع بلج بن بشر الفرار بمن معه من جند الشام الى سببة فحاصروهم الثوار بها (٢٦١) ، ولكن حصانة سببة (٢٦٢) منعت بلجا ومن معه رغم تشديد الحصار ، واحرق ما حول المدينة من زرع (٢٦٣) . وقد اسفرت المعركة عن هزيمة العرب هزيمة قاسية وقتل الكثير من رجالهم (٢٦٤) .

ويعزو الكثير من المؤرخين هزيمة العرب الى الخلاف الذى وقع بين الجند الشامى وعرب افريقية من اليمانيين ، والذى لم يكن وليد تلك الفترة ، بل يرجع الى الصراع بين القيسية واليمانية الذى كان ضمن أسباب ضعف الحكم الأموى (٢٦٥) ، دون الاشارة الى كفاءة خالد بن حميد

(٢٥٧) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٣ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤١ .

(٢٥٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٩ ، المقرئ ، نفح ، ١ ص ٢٣٦ ، وعن تفاصيل المعركة ، (مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٣ وما بعدها) ، انظر . Condé, History of the Dominion of the Arab in Spain V. 1, pp. 119 — 120.

(٢٥٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٥ .
(٢٦٠) الحميدى ، جذوة ، ص ١٩٩ ، الا ان الطبرى وصاحب كتاب اخبار مجموعة ذكرا أن مقتل كلثوم بن عياض كان سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م ، (تاريخ القسم الثانى ، مجلد ٩ ص ١٧١٦ ، مجهول ، ص ٣٦) .
(٢٦١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤١ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٨٠ . انظر . فلهوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٣٢ ، Scott, op. cit., p. 313.
(٢٦٢) البكرى ، المغرب ، ص ١٠٣ ، يافوت ، معجم البلدان ، ص ٢٦٠ .
(٢٦٣) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٥ .
(٢٦٤) نفسه ، ص ٣٤ .

(٢٦٥) الضياف ، اتحاف ، ص ٩١ ، انظر ، مؤنس ، فجر ، ص ١٤٤ ، محمود اسماعيل ، فضايا فى التاريخ الاسلامى ، ص ١١٤ - ١١٥ ، النص ، العصبية ، ص ٢٦٣ ، Lewis, The Arabs, p. 74.

الزناتى العسكرية الذى استخدم الكمين فى معركته مع خالد بن حبيب عند وادى نهر شلف ، واستطاع أن يفصل خيالة العرب عن الرجالة منهم فى معركة وادى سبو ، كما لم يشر المؤرخون الى فروسية زناتة ، الذين كانوا فرسانا يركبون الخيل ولهم بها معرفة بارعة (٢٦٦) ، وكان لهم فنهم الحربى الخاص بهم ، وقد اقتبسوا الأسبان بعد ذلك ، وطبقوه على فرقهم العسكرية وسموها *Zenetes* أى الزناتيون ، وهو اللفظ الذى تطور الى *Jinete* فى اللغة الأسبانية ويعنى الفارس (٢٦٧) . ولا غرو فان قبيلة زناتة امتازت بالروح الحربية العالية ، والتفوق فى القتال ، وكان رجالها دائما من أشجع فرسان البربر (٢٦٨) .

بعد أن فر بلج بن بشر الى مدينة سبته ، جمع ما وصلت اليه يداه من معاش داخل المدينة استعدادا للحصار ، فأفقر الثوار مسيرة يومين حول المدينة حتى يضيقوا عليه الحصار وأشرف بلج ومن معه على الهلاك وأكلوا الدواب وظلوا بسبته لمدة عام قبل أن يسمح لهم عبد الملك بن قطن والى الأندلس آنذاك بالعبور الى الأندلس (٢٦٩) ، مما حدا ببعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن بلج بن بشر كان واليا على طنجة وما والاها (٢٧٠) . وبعد هزيمة العرب وعبور بلج ومن معه الى الأندلس ، خرج المغريين الأوسط والأقصى عن سلطة خليفة المسلمين ، ولم يتبع خالد بن حميد الزناتى العرب الى القيروان ليخرجهم منها اذ كانت غايته أن يعيش مع قومه فى مواطنهم بالمغرب الأقصى أحرارا بعيدا عن تعسف العمال من قبل الخلافة ، وظلم العرب لهم (٢٧١) .

(٢٦٦) : ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

(٢٦٧) انظر ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ .

Read, The Moors, p. 194

(٢٦٨) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢٦٩) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢٧٠) ابن الأثير ، اللباب ، ٢ ص ٩٠ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٧٠ .

(٢٧١) أنظر ، ديوز ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٦٣ ، محمود اسماعيل ،

الخوارج ، ص ٥٣ .

لقد كانت هذه الثورة زناتية قلدة وجنودا ، فقد بدأت الثورة بقبائل من انبتر ولم يشارك فيها من البرانس سوى أعداد قليلة (٢٧٢) ، ثم انسحبت منها قبائل مطعوة ومكناسة وغيرهما بعد مقتل ميسرة في بداية الثورة (٢٧٣) ، ومع ذلك لم يؤثر خروجهم على قوة الثوار ، ومما يؤكد زناتية الثورة خروج بطون زناتة الضاربة حول سبرت بيفريقية ثائرين (٢٧٤) ، تضامنا مع اخوانهم بالمغربين الأقصى والأوسط ، كما أن بربر الأندلس أعلنوا الثورة على عربها تضامنا مع بربر المغرب (٢٧٥) وكان يقود ثورتهم رجل من زناتة أيضا (٢٧٦) ، وكان هدفهم الوصول الى شمالي أفريقيا والانضمام الى اخوانهم هناك (٢٧٧) * وان كانت ثورة زناتة في شمالي أفريقيا اتخذت من مذهب الخوارج واجهة دينية لتضفي على ثورتها شرعية دينية ، فلا يمكن أن يقال ذلك على ثورتهم بالأندلس ، لأن مذهب الخوارج لم يظهر في الأندلس قبل فترة حكم الحكم بن هشام (٢٧٨) ، الذي تولى حكم الأندلس في صفر سنة ١٨٠ هـ / ابريل سنة ٧٩٦ م (٢٧٩) .

وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الكلبى والى مصر الى افريقية سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (٢٨٠) ، فأرسل حنظلة الى الأندلس أبا

(٢٧٢) انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ١٨٥ .

(٢٧٣) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ ، مغربيات ، ص ٢٥ .

(٢٧٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، انظر ، سعد زعلول ، المغرب العربى ، ص ٢٧٠ ، محمد بن تاويت ، بشاة دولة الخوارج ، ص ٢٧١ .

(٢٧٥) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣٨ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤٠ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ص ٢٩٢ .

(٢٧٦) ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٠ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٤١ ، ويزيد ابن أبى دينار ان قائد الثورة بالأندلس من بنى يفرن الزناتيين ، (نفس المصدر والصفحة) .

Lane-Poole, The Moors, p. 55

(٢٧٧) انظر .

(٢٧٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٦٩ ، انظر Read, The Moors, p. 59

(٢٧٩) ابن عذارى ، البيان ، ص ٦٨ .

(٢٨٠) انظر . محمد مختار ، التوفيقات الالهامية ، ص ٦٢ .

الخطار حسام بن ضرار الكلبى ليكون واليا عليها (٢٨١) ، ففضى على الفتن بها ، وأخرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الى افريقية سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م لأنه كان يشير الفتن بالأندلس (٢٨٢) ، فاحتال عبد الرحمن بن حبيب على حنظلة بن صفوان والى افريقية حتى أخرجه منها ، ودعا أهل افريقية الى طاعته فأجابوه (٢٨٣) ، وأراد إخضاع طرابلس وما حولها من زناتة الذين انضموا الى عبد الجبار بن قيس المرادى ، والحارث بن تليد الحضرمي ، فكان لزناة النصر عليه ، ولكن ما لبث أن اقتتل القسائدان فقتل كل منهما صاحبه (٢٨٤) ، واستولى عبد الرحمن بن حبيب على طرابلس ، وأخضع ما حولها من زناتة ، وأقام بالقيروان حتى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ، ثم خرج يغزو تلمسان (٢٨٥) قلب مضارب زناتة ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها ، اد استقلت بها بطون بنى يفرن الزناتيين وكونوا بها امارة مستقلة (٢٨٦) .

لم تشارك زناتة الضاربة في المغرب الأوسط والأقصى اخوانهم بافريقية في تمردهم على خلفاء عبد الرحمن بن حبيب في حكم افريقية ، فقد توارث اخوة عبد الرحمن بن حبيب وأبناؤه حكم افريقية واقتسموها ،

(٢٨١) الخشنى ، تاريخ قضاة قرطبة ، ص ٢٨ - ٢٩ .
(٢٨٢) الحميدى ، جذوة ، ص ٢٥٣ ، ابن عدارى ، البيان ، ١ ص ٦٠ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٠٥ .
(٢٨٣) وقد ساعد عبد الرحمن بن حبيب على الاستقلال بافريقية ، اضطراب أمر بنى أمية بالمشرق بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م ، (الضبى ، بغية ، ص ١٤ ، العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٧ - ١١٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٢١ ، كما انه كان محببا الى أهل افريقية لما كان من آثار جده عقبة بن نافع ، (البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٤٠) .

(٢٨٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، الشماخى ، السير ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed, V. p. 654.
(٢٨٥) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٩٠ .

(٢٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ ، انظر ،
Ency. of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223.

واقْتتلوا فيما بينهم ، فاستعان عبد الوارث بن حبيب بقبيلة ورفجومة احدى بطون نفزة وأميرهم عاصم بن جميل في الاستيلاء على القيروان سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، واستحلوا المحارم بها وارتكبوا الكبائر (٢٨٧) ، فأنكرت زنانة طرابلس ومعهما هواره ما فعلته ورفجومة بالقيروان ، واجتمعوا الى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري ، وزحفوا الى القيروان ، وقتلوا من بها من ورفجومة ونفزة ، واستولوا على المدينة سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، وولى أبو الخطاب على مدينة القيروان عبد الرحمن ابن رستم ، وعاد الى طرابلس مع بطون زنانة (٢٨٨) .

حين استولى العباسيون على الخلافة (٢٨٩) كان شمالي أفريقيا خارجا عن طاعتهم ، وما أن استقرت الأمور لهم في المشرق حتى عملوا على استعادة شمالي أفريقيا ، فأرسل محمد بن الأشعث والى مصر من قبل العباسيين جيشا لاسترداد القيروان ، الا أن أبا الخطاب استطاع هزيمة الجيش العباسي بمساعدة زنانة طرابلس ، واستولى على سائر افريقية (٢٩٠) ، فخرج محمد بن الأشعث بنفسه الى افريقية في خمسين ألفا سنة ١٤٣ هـ / ٧٥٩ ، وبلغ أبا الخطاب مسيره الى افريقية ، فجمع أصحابه واستعد للقاءه ، فخافه ابن الأشعث لكثرة جموعة ، ولم يتقدم صوب افريقية حتى علم بخروج زنانة على طاعة أبي الخطاب (٢٩١)

(٢٨٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٣٩ - ١٤١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧١ .

(٢٨٨) السماخي ، السير ، ص ١٢٦ - ١٣٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ .

(٢٨٩) عن الدعوة العباسية والمضاء على دولة بنى أمية ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٢٦ - ١٣٢ .

(٢٩٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧١ .

(٢٩١) وكان سبب خروج زنانة على أبي الخطاب ، أن زنانة وهواره تنازعتا بسبب قتيل من زنانة ، واتهمت زنانة أبا الخطاب بالميل الى هواره ، وتخلوا عنه بسبب ذلك ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢) .

فسار لحربه واستطاع هزيمته وقتله في سنة ١٤٤ هـ / ٧٦٠ م (٢٩٢) .
ويبدو أن من تخلى من زناتة عن أبي الخطاب ندموا على فعلهم ، أو
أنهم لم يرضوا عن عودة جيش الخلافة الى حكم افريقية ، فخرج زعيمهم
أبو هريرة. الزناتى في ستة عشر ألفا من زناتة لمقاتلة ابن الأشعث ، الذى
كان يقود جيشا قوامه خمسين ألفا ، وكله ثقة بعد انتصاره على أبي
الخطاب ، فأنهزمت زناتة وقتل الكثير من فوسانها (٢٩٣) ، وبذلك أصبح
الطريق خاليا أمام الجيش العباسى الى القيروان ، وما أن علم عبد الرحمن
ابن رستم أمير القيروان بمقتل أبي الخطاب ، وهزيمة زناتة طرابلس
حتى خرج من القيروان فارا بنفسه ، ووصل الى الموضع الذى بنيت فيه
مدينة تاهروت ، فاجتمعت اليه اباضية زناتة بالمغرب الأوسط ،
وبعض من طوائف البربر الاباضية فلختط مدينة تاهروت سنة ١٤٤ هـ /
٧٦٠ م (٢٩٤) ، التى أصبحت عاصمة لدولة الرستميين الاباضية ،
واستولى محمد بن الأشعث على القيروان في جمادى الأولى سنة ١٤٤ هـ /
أغسطس ٧٦١ م ، وضبط افريقية (٢٩٥) ، التى عادت الى طاعة بنى
العباس وسلطانهم .

وفي تلمسان بالمغرب الأوسط قدم بنو يفرن الزناتيون على
أنفسهم أبا قرّة اليفرنى ، الذى أسس إمارة خارجية بها سنة ١٢٩ هـ /
٧٤٧ م (٢٩٦) بعد أن خلف خالد بن حميد الزناتى على رئاسة زناتة (٢٩٧)

(٢٩٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢
(٢٩٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، انظر ، سعد زغول ، المغرب
العربى ، ص ٣١٤ .

(٢٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ ، انظر
Ency. of Isl. (Art Tahret), led, t 4, p. 610.
(٢٩٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢ ، يذكر ابن أبى دينار أن أبا
الخطاب ومن معه كانوا خوارج صفرية ، (المؤنس ، ص ٤٦) ، ومن المعروف
أنهم اباضية .

(٢٩٦) مجهول ، نبذ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، (المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٣ ،
ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ ، انظر .

Ency. of Isl. (Art Zonata), led., t 4, p. 1223

(٢٩٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ ، انظر ديبوز ، المغرب الكبير ، ٣
Gautier, op. cit., p. 293
ص ٣٥ .

وكان يسلم عليه بالخلافة (٢٩٨) ، والغالب على الظن أن أبا قسرة عمل على الاستيلاء على القيوان من أيدي بني العباس ، فما أن تولى الأغلب ابن سالم أمر أفريقية من قبل الخليفة العباسي في آخر جمادى الآخرة سنة ١٤٨ هـ / أغسطس سنة ٧٦٥ م حتى خرج أبو قرة اليفرنى لحربه (٢٩٩) ، وزحف إليه الأغلب بن سالم فتراجع أبو قرة حتى يستدرج الأغلب بن سالم وجيشه إلى موطن زناتة ويقضى عليه (٣٠٠) ، ولكن جند الأغلب رفضوا السير معه لمطاردة أبي قرة اليفرنى ، وتسلبوا عنه إلى القيوان ، ثم تمرد عليه الحسن بن حرب الكندى ، واقتتلا فأصاب الأغلب بن سالم سهم في المعركة ففقد نحيبه من أثره في شعبان ١٥٠ هـ / سبتمبر ٧٦٧ م (٣٠١) •

ولى عمر بن حفص الذى عرف بشجاعته ولقب هزار مرد التى تعنى بالفارسية ألف رجل ، أمر أفريقية في صفر ١٥٢ هـ / فبراير سنة ٧٦٨ م (٣٠٢) ، فأقر الأمور بالمغرب وهدأت الفتنة أكثر من ثلاث سنوات ، ثم انتفضت جموع البربر متمردة عليه تقودهم زناتة وتمثل غالبيّة الثوار اذ كان أبو قرة اليفرنى الزناتى في أربعين ألفا من قومه ، والمسور بن هانىء الزناتى في عشرة آلاف ، وأبو حاتم يعقوب بن حبيب في جند طرابلس من زناتة وهوارة ، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفا ، وعاصم السدراتى ، في ستة آلاف ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجى في ألفين ، وتوجهت هذه الجموع إلى منطقة الزاب ، وحاصروا

(٢٩٨) محمول ، نبذ ، ص ٤٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٧ • ويؤكد ابن خلدون أن أبا قرة بويح بالخلافة فعلا ، (العبر ، ٦ ص ١١٢ ، ٧ ص ١٢) •

(٢٩٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٣٣٦ ، ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ٦٩ - ٧١ •

(٣٠٠) انظر • محمود اسماعيل ، الأغلبة ، ص ١٩ •

(٣٠١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٤ - ٧٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٢٩٢ •

(٣٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٤٦ ، انظر ، ماجد ، العصر العباسى الأول ، ١ ص ١٣٦ •

عمر بن حفص في طبنة (٣٠٣) ، ولأن غالبية الثوار من زناتة كما نوضح الأعداد التي ذكرها المؤرخون (٣٠٤) ، فقد حاول عمر بن حفص مفاوضة أبي قررة اليفرنى زعيم زناتة لفك الحصار ، واختار لذلك رجلاً من خاصته من قبيلة مكناسة له معرفة بزنانة وقوادها ، ويدعى اسماعيل بن يعقوب ، وأعطاه أربعين ألفاً من الدراهم وأكسية كثيرة ليدفعها إلى أبي قررة حتى ينصرف بمن معه من زناتة عن حصاره (٣٠٥) ، فرفض أبو قررة ما عرض عليه وأبى أن يفك الحصار (٣٠٦) .

لم يثن رفض أبي قررة رسول عمر بن حفص عن تكرار المحاولة مع ابن أبي قررة اليفرنى وبالفعل استطاع أن يستميل ابن أبي قررة بأربعة آلاف درهم على أن ينصرف بجنود زناتة من بنى يفرن ، فأنصرف أكثر العسكر عن أبي قررة الذى لم يجد بداً من اتباعهم (٣٠٧) ، وما أن انصرفت جنود زناتة حتى خرج عمر بن حفص يحارب بقية المحاصرين له ، واستطاع هزيمتهم ، وخرج إلى القيروان بعد أن استخلف على طبنة المهنا بن المخرق الطائى (٣٠٨) ، فعاد أبو قررة إلى محاصرة طبنة من جديد بما استطاع جمعه من عساكره ، فعمل المهنا على مفاوضته لرفع الحصار ، ولكن أبا قررة رفض كل ما عرض عليه ، فخرج إليه المهنا

(٣٠٣) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ .

Gautier, op cit., p. 293

(٣٠٤) انظر .

(٣٠٥) انظر . دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٩ - ٥٠ ، حسن على حصن ، الإدارة ، ص ٦٠ .

(٣٠٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٣٥٣ ، وكان رد أبي قررة على رسول عمر بن حفص حين رفض ما عرضه عليه : بعد أن سلم على بالخلافة أربعين سنة ، ابيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ، نفس المصدر والصفحة .

(٣٠٧) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، إلا أن ابن عذارى يذكر أن الذى أخذ المال أخ لاسى قره وليس ابنه ، (البيان ، ١ ص ٧٦) .

(٣٠٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٨ .

واستطاع أن يهزم جيشه ثم استباح معسكره (٣٠٩) •

لم تمنع الهزيمة أبا قررة من المشاركة في حروب ولادة بنى العباس ،
فما أن علم أن أبا حاتم يعقوب يحاصر عمر بن حفص بالقيروان حتى خرج
في جموع بنى يفرن الزناتيين وأنضم إلى أبي حاتم (٣١٠) ، وكان عمر بن
حفص أعاد القيروان لحصار طويل ، فأدخل بها ما يحتاج إليه من
الطعام وعدة الحصار ، ولكن مدة الحصار استمرت شهور حتى ضاق
الأمر على أهل القيروان وأكلوا الدواب وماتوا جوعا (٣١١) ، وبلغ عمر بن
حفص قدوم يزيد بن حاتم الذي أرسله الخليفة العباسي في سستين
ألفا لنصرة القيروان (٣١٢) ، فابت عليه نفسه أن يخرج يزيد من الحصار ،
وخرج يقاتل حتى قتل ، فاستولى أبو حاتم على القيروان في ذى القعدة
سنة ١٥٤ هـ / أكتوبر سنة ٧٧١ م (٣١٣) ، ولكنه لم يبق بها طويلا إذ
قدم يزيد بن حاتم في جيشه واستطاع هزيمة أبي حاتم وقتله في شهر
ربيع الأول سنة ١٥٥ هـ / فبراير سنة ٧٧٢ م (٣١٤) فانفضت جموعه ،
وانصرف أبو قررة ومن معه من زناتة إلى مواطنهم بتلمسان في المغرب
الأوسط ، ولعلمهم يئسوا من الاستيلاء على القيروان ، فلم يكن لبنى
يفرن وزناتة انتفاضة أخرى حتى قامت الدولة الفاطمية بالمغرب (٣١٥) ،
ولم يجد العباسيون بعد ذلك بدا من إقامة دولة الأغلبية التي كانت الضمان
الوحيد لبقاء نفوذهم في المغرب (٣١٦) •

لقد كانت الثورة التي قامت في المغرب ، وقادتها زناتة بربرية

(٣٠٩) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص

• ٢٤١

(٣١٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ •

(٣١١) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٤٤ وما بعدها •

(٣١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٦ •

(٣١٣) نفس المصدر والصفحة •

(٣١٤) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٦٠ ، ابن الأثير ، الكامل ،

ص ٢٤٢ •

(٣١٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ •

(٣١٦) أنظر • محمود اسماعيل ، الأغلبية ، ص ٥٠ - ٥١ •

صرفة ، لم ينضم اليها أحد من العرب ، كما لم يكن لها أية صلة بخوارج المشرق ، وكانت الأولى من نوعها في الأمبراطورية الإسلامية (٣١٧) ، وكانت هذه الثورة زناتية قادة وجنودا ، فقد وقعت معاركها في موطن زناتة (٣١٨) وكان لخالد بن حميد الزناتى قيادة الثورة بعد مقتل ميسرة المطغرى ، ثم تحملت قبائل زناتة عبء محاربة العرب بعد انسحاب مطغرة لقتل زعيمها ميسرة ، وانسحاب مكناسة بسبب زناتية الثورة (٣١٩) ، ثم كانت القيادة لأبى قره اليفرنى الزناتى ، وكان غالبية الثوار من زناتة كما تبين الأرقام التى ذكرها المؤرخون . خلاصة القول ، أن كل المعارك التى خاضها البربر ضد العرب شاركت فيها زناتة ، اذ خاضت بعض هذه المعارك وحدها ، أو كانوا الأغلبية بين القبائل ، وكان لفرسان زناتة دورهم الفعال فى المعارك لما عرف عنهم من الفروسية ، فما أن تخلوا عن أبى الخطاب حتى هزمت جيوشه ، وعندما تركوا حصار طبة استطاع عمر بن حفص هزيمة القبائل المحاصرة له رغم كثرة عددها .

وكان لهذه الثورة نتائجها التى انعكست على تاريخ الأندلس والمغرب ، ففى الأندلس كانت سبباً فى أن خسر المسلمون بعض ما فتحوه من بلاد الأندلس (٣٢٠) ، أما فى شمالى أفريقيا فقد خرج المغربان الأقصى والأوسط عن سلطة الخلافة الأموية ثم العباسية ، فلم يتعد سلطان العباسيين حدود الزاب بأفريقية (٣٢١) ، واستقلت بطون زناتة بالمغرب الأقصى تحت رئاسة خالد بن حميد الزناتى ، ولهم يدور أحد من المؤرخين شيئاً عن المغرب الأقصى منذ خروج العرب منه واستقلال زناتة به ، وحتى قامت دولة الأدارسة فعاد اهتمام المؤرخين به ، ودونوا

Sha'ban, Islamic History, p. 151

(٣١٧) انظر .

(٣١٨) انظر . مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٩١ ،

Gautier, op. cit., 294; Julien, op. cit., p. 22.

(٣١٩) انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ .

Bernard, Le Maroc, P. 88 (٣٢٠) انظر مؤنس ، فجر ، ص ٢٠٧ ،

(٣٢١) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص

Osborn, op. cit., P. 198

٤١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣٣٥ ، انظر

أخباره ، أما المغرب الأوسط فقد أقام بنو يفرن الزناتيون امارة في نلمسان تحت زعامة أبي قرّة سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م (٣٢٢) ، ولم يعرف شيئاً عن السياسة الداخلية لهذه الامارة ، أما عن دورها العسكري ، فقد استطاع أميرها رد غزوات عسكرية خرجت اليه من الزاب بافريقية (٣٢٣) ، وأسس بنو يرنيان الزناتيون امارة هاز ، وأقام بنو دمر الزناتيون امارة كانت تيملاص عاصمة لها ومصادف بن جرتيل رئيسا لهم ، وأنشأ بنو مسرة الزناتيون امارة أخرى حول أوزكا التي تقم على ثلاث مراحل من تاهرت ، وكان أميرهم عبد الرحمن بن أودموت بن سنان (٣٢٤) ، ولم يعرف عن هذه الإمارات الثلاث أية معلومات اذ أهمل المؤرخون ذكرها . وكان نتيجة لتقلص نفوذ الخلافة عن المغربين الأقصى والأوسط أن قامت بهما الدول المستقلة ، فأقام صفرية مكناسة بعد انسحابهم من الثورة بسبب زناتية الثورة دولة لهم بالمغرب الأقصى واتخذوا من مدينة سجلماسة عاصمة لهم سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م (٣٢٥) ، وأقام عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الخوارج الاباضية دولة بالمغرب الأوسط وأسسوا تاهرت عاصمة لها سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م (٣٢٦) ، وفر ادريس بن عبد الله من وجه العباسيين الى المغرب الأقصى بعد أن نجا من القتل في موقعة فخ سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م (٣٢٧) ، وأقام دولة الادارسة ، بمساعدة قبيلة أوربة سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م (٣٢٨) ،

(٣٢٢) مجهول ، نبذ ص ٤٨ — ٤٩ المغربي ، للجمان ، ورقة ٢٠٣ ،
ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ .

(٣٢٣) انظر .

Julien, op. cit., p. 24; Ency. of Isl. (Art Tlemcen), led., t 4, p. 802.

(٣٢٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٠٣ ، انظر ، الجبالى ، تاريخ الجزائر ،

١ ص ٢٠٧ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٣٤ ، الميلي ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ٥٦ ، ٩٠ .

(٣٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٨ .

(٣٢٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١١٢ ،

Ency. of Isl. (Art Tahret), led., t 4, p. 610.

(٣٢٧) انظر . ماجد ، العصر العباسى الأول ، ١ ص ١٨٦ .

(٣٢٨) ابن أبى دبنار ، المؤنس ، ص ٤٨ ، انظر ، بونار ، المغرب العربى ،

ص ٣٨ — ٣٩ .

(م ١٠ — زناته والخلافة الفاطمية)

ولما لم تهدأ ثورات البربر اضطرت الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يعهد لابراهيم بن الأغلب بولاية افريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م (٣٢٩)، وكانت الدول الثلاث الأولى خارجة على طاعة العباسيين أما دولة الأغلبة فقد كانت تابعة للخلافة العباسية تبعية اسمية فقط ، مما حدا ببعض المؤرخين المحدثين الى الاعتراف بأن نفوذ الخلافة العباسية تقلص كلية عن شمالي أفريقيا وأن تاريخها السياسي انفصل تماما عن الخلافة العباسية (٣٣٠) وان كانت حقيقة الأمر أن قيام دولة الأغلبة أعاد للخلافة العباسية بعض الهيبة التي كانت على شفى الزوال من المغرب ، بل ضمنت بقاء سيادتها الاسمية على افريقية نحو قرن من الزمان (٣٣١) ، وقصارى القول ، ان ثورة زناتة كانت ضمن أسباب قيام الامارات والدول المستقلة في شمالي أفريقيا .

ويحاول بعض المؤرخين تفسير ثورة البربر التي قادتها زناتة على أنها ثورة الروح القومية عندهم في وجه سيادة العرب (٣٣٢) وأن البربر كانوا يعتبرون العرب أجانب غاصبين لحرياتهم (٣٣٣) ، ولكن البربر لم ينظروا الى العرب نظرة الغاصب المحتل ، ولكنهم خرجوا على عمال بنى أمية الذين ظلموهم وأساعوا معاملتهم ، وخاصة قبيلة زناتة التي ساعدت العرب في اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس ، وقد وجدت زناتة في فكر الخوارج مبررا للثورة ، اذ يدعو الى التسوية ، ويعطى الناس حق الاحتجاج على سلطته (٣٣٤)، وربما عجل بالثورة سوء الأحوال الاقتصادية التي عمت شمالي أفريقيا آنذاك ، اذ هبط مستوى الرخاء الى حد ضئيل

(٣٢٩) انظر . محمود اسماعيل ، الاغلبة ، ص ٢٩ - ٣٠ .
 (٣٣٠) انظر . Hol., Egypt and Fertile Crescent, p. 13; Hitti.
 History of the Arabs, p. 45.

(٣٣١) انظر . محمود اسماعيل ، الاغلبة ، ص ٤٤ .
 (٣٣٢) انظر . بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣١٦ ،
 حسن محمود والشريف ، العالم الاسلامي ، ص ٣٩١ .
 (٣٣٣) انظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ١١٥ ، الزاوي ، تاريخ الفتح
 العربى ، ص ١٢٦ .
 (٣٣٤) انظر ، عبده بدوى ، مع حركة الاسلام في افريقية ، ص ١٥ .

حتى أصبحت الوسيلة الوحيدة لتغطية نفقات الحكومة هي الاعانة السنوية المرسلة من مصر والتي بلغت مائة ألف دينار من الذهب (٣٣٥) .

ولم يقف نشاط زناتة عن المشاركة في كتابة تاريخ المغرب بعد قيام الدول والامارات المستقلة به ، فان كان المؤرخون لم يهتموا بتاريخ الامارات الزناتية ولم يدونوا أخبارها ، فقد اهتموا بأخبار الدول المستقلة بالمغرب . فقد شاركت زناتة في قيام الدولة الرستمية التي قامت في تاهرت سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وكانت أكثر القبائل البربرية التي انضمت الى عبد الرحمن بن رستم حين أسس دولته (٣٣٦) ، مما حدا بجوتيه أن يعتقد بأن تاهرت مملكة زناتة (٣٣٧) ، وقبيل وفاة عبد الرحمن ابن رستم مؤسس الدولة اختار ثمانية ليكون أحدهم خلفا له في رئاسة الدولة ، فكان بينهم أبو قدامة اليفرنى زعيم بنى يفرن الزناتيين (٣٣٨) ، ولكن العامة أجمعوا على ألا يكون امامهم من قبيلة قوية حتى لا تحميه عصبية وتدافع عنه اذا حاد عن طريق الحق والعدل (٣٣٩) ، فمال أبو قدامة اليفرنى ومن معه من زناتة الى مبايعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، لأن أم عبد الوهاب من قبيلة بنى يفرن الزناتيين (٣٤٠) ، فكان للعصبية دورها في اختيار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٣٤١) ، مما يوضح كثرة زناتة في دولة بنى رستم ومدى تأثيرها على سياسة الدولة .

ويبدو أن أبا قدامة اضطر الى مبايعة عبد الوهاب الرستمى حين خرجت الامامة من يديه ، لأنه لم يلبث أن نازع عبد الوهاب الامامة ،

-
- (٣٣٥) أنظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ١٩٣ .
(٣٣٦) أنظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١١٣ .
(٣٣٧) أنظر ، Le passé de L'Afrique du Nord, p. 220 .
(٣٣٨) الشماخى ، السير ، ص ١٤٥ .
(٣٣٩) نفسه ، ص ١٤٠ ، أنظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١٠٧ .
(٣٤٠) نفسه ، ص ١٤٥ .
(٣٤١) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩٨ .

وطلب اليه أن يعتزل السلطة ليختاروا غيره لحكم الدولة ، فأبى عبد الوهاب أن يخلع عنه رداء السلطة ، فخرج أبو قدامة مع قومه لمقاتلة عبد الوهاب حتى يجبره على التنازل عن عرش الامامة ، ولكن المعارك بينهما لم تستمر طويلا اذ أصلح العلماء بينهما (٣٤٢) ، ويبدو أن نفوس زناتة لم تصف بعد ذلك ، فما لبث أن تخلى بعض بنى يفرن عن مذهب الحوارج وانضموا الى الأدارسة في فترة حكم ادريس الثاني (٣٤٣) ، بسل انقلبوا يحاربون الرستميين للدخول في طاعة الأدارسة ، وظلوا على حربهم حتى استولى الشيعة افاطميون على المغرب (٣٤٤) ، الا أن البعض يعزو خروج بنى يفرن الزناتيين على الرستميين نتيجة لاعتماد أفلح بن عبد الوهاب على الفرس مما أثار ثائرة زناتة (٣٤٥) ، وربما كان في ذلك بعض الحقيقة ، اذ كانت الدولة الرستمية فارسية في ادارتها وبربرية في عصبيتها (٣٤٦) .

وكان لمعتزلة زناتة الضاربين بالقرب من تاهرت وحارجه (٣٤٧) ، دورهم مع بنى رستم ، فقد دانت كثير من بطون زناتة بمذهب المعتزلة (٣٤٨) ، اذ كان واصل بن عطاء رأس المعتزلة نشطا في نشر مذهبه ، فبعث عبد الله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير (٣٤٩) ،

(٣٤٢) الشماخي ، السير ، ص ١٥١ - ١٥٢

(٣٤٢) انظر :

Mercier, Histoire de L'Afrique Septentrionale, Vol. 1, p. 89.

(٣٤٤) ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٢٢ ، انظر ، محمود اسماعيل ،

الخوارج ، ص ١٤٧ .

(٣٤٥) انظر ، محمد بن قباويت ، دولة الرستميين ، ص ١٢٣ .

(٣٤٦) انظر ، بونار ، المغرب العربي ، ص ٣٥ .

(٣٤٧) البكري ، المغرب ، ص ٦٧ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٢١ ،

ويرى ما سكرای ان بطون زناتة الضاربة حول تاهرت اعتنقت مذهب المعتزلة فكاية في قبيلة لواته التي دانت بالمذهب الاباضي بسبب العداء القبلي بين زناتة ولواته ، انظر ، Chronique d'Abou Zakaria, p. 120.

(٣٤٨) ابن حرم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، والمعتزلة او الواصلة احدى الفرق

الاسلامية ، ونسبت الى واصل بن عطاء ، اما اصل تسميتهم المعتزلة فيرجع الى اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد خليفة الحسن البصري ، واستقلالهما بأنفسهما ، (المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٣) ، وفيل في تسميتهم اراء

اخرى ، (انظر ، بليغ ، ادب المعتزلة ، ص ١١٠ - ١١٧) .

(٣٤٩) المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٣٢ .

وكان هؤلاء المعتزلة من زناته مرعمين على الخنوع لطاعة بني رستم ، فانتهزوا فرصة وقوع الشقاق في دولة بني رستم ، والفرقة بين الاباضية (٣٥٠) ، وأثاروا العراقيين في وجه حاكم الدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٣٥١) ، للانفصال عن دولته ، والانضمام الى دولة الأدارسة التي انضمت اليها غالبية بطون زناته (٣٥٢) . خرج الامام عبد الوهاب الرستمي لمحاربتهم ، واخضعهم لطاعته (٣٥٣) ، فكان الظفر للمعتزلة من زناته (٣٥٤) ، فاستعان عبد الوهاب بقبيلة نفوسة على حرب معتزلة زناته حتى أخضعهم لطاعته (٣٥٥) ، ولكنهم لم يستكينوا بل ظلوا مصدر شغب وقلق في الدولة الرستمية حتى سقوطها على أيدي الفاطميين (٣٥٦) .

وكان لزناته دورها في مساندة دولة الأدارسة منذ بدء قيامها ، فما أن بايعت قبيلة أوربة ادريس بن عبد الله في رمضان سنة ١٧٢ هـ / فبراير سنة ٨٧٩ م حتى خرجت اليه قبائل زناته بالمغرب الأقصى مبايعة (٣٥٧) .

(٣٥٠) كانت المرة بين الاباضية بسبب خروج يزيد بن مندين ثائرا على عبد الوهاب بن رستم فانقسم الاباضية الى وحيية وهم الذين انضموا الى الامام عبد الوهاب ، ونكارية وهم الذين انكروا امامة عبد الوهاب ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٦ وما بعدها) ، ووهية المعرب عير وحيية المشرق الذين ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبي .

(٣٥١) انظر . Masqueray, Chronique d'Abou Zakaria, p. 120

(٣٥٢) انظر . دبور ، المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٢٨ ، ٤٨٤ ، السيد

عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٥٣ .

(٣٥٣) ابو زكريا ، كتاب السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجيني ، طبقات ،

١ ورقة ٢٦ .

(٣٥٤) انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٢٠ .

(٣٥٥) ابو زكريا ، كتاب السيرة ، ورقات ١٩ - ٢١ ، الدرجيني ،

طبقات ، ١ ورقات ٢٦ - ٢٨ .

(٣٥٦) انظر . محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ١٤٥ ،

Julien, op. cit., p. 27

(٣٥٧) البكري ، المغرب ، ص ١١٨ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر ،

٤ ص ٧ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٨٤ ، محمود اسماعيل ، الاغالبية ، ص ١٤١ ،

كانت دولة الأدارسة التي قامت بالمغرب الأقصى مركزا للدعوة الى مذهب

The Cambridge History of Islam, p. 216.

اهل السنة ، انظر .

وحين خرج ادريس بن عبد الله بعد قيسام دولته الى تلمسان بالمغرب الأوسط ، أتاه محمد بن خرز أمير تلمسان وزعيم مغراوة الزناتية ، ودخل في طاعته دون حرب (٣٥٨) ، فدخل ادريس مدينة تلمسان ، واختلط مسجدها وأقام بها شهرا ثم عاد الى ويلي (٣٥٩) عاصمة دولته (٣٦٠) ، فانضمت الى ادريس وجوه قبائل زناتة ، فغزا بهم بلاد تامسنا (٣٦١) ، وأصبحت زناتة عصب دولة الأدارسة (٣٦٢) ، وبعد وفاة ادريس الأول ، وتولية ابنه ادريس الثاني سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م ، كانت زناتة أول المبايعين له (٣٦٣) ، وأقام ادريس الثاني بين بني خرز الزنانيين في تلمسان ثلاث سنوات يحارب الخسوارج من زناتة ، بأهل السنة من زناتة (٣٦٤) حتى استأصل شأفة الخوارج من منطقة تلمسان وأسافل شلف (٣٦٥) ، فخلع بنو يفرن الزناتيون طاعة الرستميين ، وانضموا الى دولة الأدارسة مع غالبية بطون زناتة ، بل حاربوا الرستميين ليجبروهم على الدخول في طاعة الأدارسة (٣٦٦) .

وبعد موت ادريس الثاني ، اقتسم أولاده الدولة فيما بينهم (٣٦٧) ،

-
- (٣٥٨) ابن أبي زرع الأنيس ، ١ ص ٢٢ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٦ ، الجزائى ، زهرة الآس ، ص ١٠ .
 (٣٥٩) مدينة بالقرب من طنجة ، عنها انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٤ .
 (٣٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٦ ، انظر . يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١ ص ٩٣ .
 (٣٦١) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٩ - ٢٠ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٤١ ، انظر . محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٣١ .
 (٣٦٢) انظر . Ency. of Isl. (Art MaghraWa), led., t 3, p. 106 .
 (٣٦٣) الجزائى ، زهرة الآس ، ص ١٢ .
 (٣٦٤) كان بنو خرز المغراويون على مذهب أهل السنة ، (السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٢٢) ، أما بنو يفرن الزناتيون فكانوا على مذهب الخوارج ، (انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٦١) .
 (٣٦٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٣ - ١٤ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٥٥ .
 (٣٦٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٢ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٤٧ .
 (٣٦٧) البكرى ، المغرب ، ص ١٣٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤ .

فقامت بينهم المنازعات ، ودارت الحروب بين الاخوة ، وكانت زناتة جنودهم فيما قام بينهم من حروب ، فعندما تمرد عيسى بن ادريس الذي كان يحكم بلاد تامسنا على أخيه محمد ، أرسل محمد إليه فرسان زناتة فاستطاعوا هزيمته واخضاعه للطاعة (٣٦٨) ، كما وقفت زناتة الى جانب الأدارسة في قتال الخوارج الصفرية (٣٦٩) ، ودارت بينهما وقائع كثيرة استمرت حتى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م (٣٧٠) . وقصارى القول ان زناتة ساندت دولة الأدارسة منذ بدء قيامها ، ولكن الأدارسة لم يكن لهم سوى السلطة الاسمية منذ اقتسام دولتهم بعد موت ادريس الثانى أما السلطة الفعلية في المغرب الأوسط فكانت لمغراوة وبنى يفرن ، « ولم يزل الملك بالمغرب الأوسط لمحمد بن خزر أمير مغراوة الى أن قامت دولة الشيعة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م » على حد تعبير ابن خلدون (٣٧١) ، وبذلك استعادت زناتة نفوذها القديم على المغرب الأوسط (٣٧٢) ، مما كان سببا في عدائهما للدولة الفاطمية ، اذ لم يقض الفاطميون على دولة الأدارسة بل على استقلال زناتة .

وخلصة القول ان بعض قبائل زناتة تحولت الى الاسلام وانضمت الى العرب الفاتحين منذ أول الفتح الاسلامي للمغرب ، وقبومت قبائل زناتية أخرى العرب الفاتحين حتى هزمهم العرب فتحولوا الى الاسلام وانضموا الى العرب مع من سبقوهم من القبائل الزناتية ، وساعدوا العرب الفاتحين في اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس . ولكن العرب الفاتحين أساعوا معاملة البربر فأعلنوا الثورة ، وقادت زناتة ثورتهم حتى أقصت

(٣٦٨) السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ١٥٧ ، انظر رزق الله منقريوس ، حول الاسلام ، ١ ص ٢٣٣ .

(٣٦٩) أقام الخوارج الصفرية دولة لهم في سجلماسة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وكانت قبيلة مكناسة هي العصبية التي ارتكزت عليها هذه الدولة ، (انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٢ وما بعدها) .

(٣٧٠) ابن أبي زرع ، الأبيس ، ١ ص ١١٥ .
 (٣٧١) العبر ، ٧ ص ٢٥ ، انظر . Gautier, op. cit., p. 394

(٣٧٢) انظر . الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٤٧ ،
 Fournel, Les Berberes, Vol. 2, p. 13.

العرب عن المغربين الأقصى والأوسط ، وقامت بهما امارات زفانتية
ودول مستقلة • وقد ساندت زفانتة دولتي الرستميين والادارسسة
فنالت بهما السيادة على مضاربها ، وأضحت صاحبة السلطة الفعلية
على المغرب الأوسط •

* * *

الفصل الثالث

زناتة وقيام الخلافة الفاطمية

اختيار الشيعة الاسماعيلية المغرب لدعوتها ،
وموقف قبيلة زناتة منها ، موقف زناتة من قيام
خلافة الفاطميين •

كانت بلاد المغرب ملجأً للهاربين المعادين للخلافة منذ أن افتتح المسلمون شمالى أفريقيا (١) ، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة في المشرق ، ثم صارت بلاد المغرب أكثر بعداً أن انتقلت عاصمة الخلافة الى بغداد على يد بنى العباسي ، ولعل بعض بطون قبيلة زناتة كانت أكثر قبائل البربر مساندة للمعادين لخلافة المشرق ، وهي نفسها التي وقفت موقف العداء من الفتح العربي للمغرب ، واستمرت في عدائها حتى بعد اسلامها وبخاصة بعد أن أساء ولاية بنى أمية معاملتها ، فنجدها قد ساندت هؤلاء الذين اقتطعوا المغربين الأوسط والأقصى عن سيطرة الخلفاء ، وأقامت بهما إمارات زناتية ، وساندت الدول المستقلة التي قامت بهما مثلما فعلت في سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وفي تاهرت بالمغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م . وكذلك ساعدت عبد الرحمن بن معاوية بن هشام في الفرار من وجه العباسيين بعد أن وصل الى افريقية (٢) ، وساندته في الأندلس لإقامة دولته بها (٣) ، كما ساعدت ادريس بن عبد الله بعد نجاته من موقعة فح ، وفراره من وجه العباسيين الى المغرب الأقصى ، وإقامة دولة الأدارسة سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م (٤) ، إذ كانت قبيلة مغراوة الزناتية واحدة من الدعامات الأساسية لدولة الأدارسة منذ بداية قيامها (٥) ، وكانت دولة الأدارسة أول دولة علوية قامت في شمالى أفريقيا ، وأن كانت

(١) أنظر . ماجد ، ظهور ، ص ٨٤ ،

O'leary, A short History of the Fatimids, p. 75.

(٢) المراكشي ، المعجب ، ص ١٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ص ١٩٩ ،

المقري ، نفح ، ١ ص ٣٢٨ ، ٣ ص ٢٩ .

Scott, op. cit., p. 393.

(٣) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣٩٠ ،

(٤) أنظر . ماجد ، العصر العباسي الاول ، ١ ص ٢٥٩ وما بعدها .

Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t 3, p. 107.

(٥) أنظر .

علوية اسما ولكنها سنية في الأصل (٦) • والغالب على الظن أن بمعد المغرب عن مركز الخلافة العباسية كان سببا في أن اتجهت إليه أنظار الشيعة الاسماعيلية لتحقيق حلمها بإقامة خلافة تغافس خلافة بني العباس ، ولتنزع السلطة من أيديهم (٧) •

وعلى العكس من موقف التأييد للخارجين على خلافة المشرق ، فإن قبيلة زناتة وقفت موقف العداء المطلق من الشيعة الفاطمية ، هؤلاء الذين كانوا ينتسبون الى علي بن أبي طالب وفاطمة ، فقد كان أحفاد علي لا يفتأون يطالبون بحقهم في الخلافة ، لا سيما أحفاده من نسل اسماعيل الذين كانوا يتناقلون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص علي خلافته ، وأوصى له بذلك (٨) ، ولكن الضربات التي كالمها العباسيون لهذه الفرقة جعلتهم ينتقلون الى التقية والعمل من وراء ستار حتى يتمكنوا من تحقيق هدفهم (٩) ، فاتخذوا من شمالي أفريقيا هدفا لهم ، وأرسل دعاة الاسماعيلية (١٠) اليها ومن أبرزهم داعيان هما : أبو سفيان والحواني وأوصوهما بالوصول الى أقاصي المغرب والبعث عن المدن (١١) ، لأن الدول التي كانت بالمغرب وقتذاك لم يكن سلطان حكامها يتعدى عواصمها،

(٦) انظر • حسن احمد محمود ، الحضارة الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس ، ص ١٢٢ ، حسن علي حسن ، دولة الأدارسة بالمغرب ، ص ٢٨١ وما بعدها ، The Cambridge History of Islam, Vol. 2, p. 216.

(٧) انظر ، مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٣١ •

(٨) انظر • ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٥٣ ، بلبع ، أدب المعتزلة ، ص ٣٧ ، Williams, Themes of Islamic Civilization, pp. 40 — 41.

(٩) انظر • ماجد ، ظهور ، ص ٨١ — ٨٢ ، وقد اتبع العباسيون التنظيم السري من قبل في دعوتهم حتى تمكنوا من القضاء على الخلافة الاموية سنة ١٣٢ هـ ، (انظر Lewis, The Arabs, P. 111 ، وعن التشيع بدايته وتطوره ، (انظر • ماجد ، ظهور ، ص ٧٥ وما بعدها ، مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٢٨ وما بعدها ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، الفصل الثاني) •

(١٠) والاسماعيلية احدى فرق الشيعة التي تقول بإمامة اسماعيل ، الامام بالنص عن أبيه جعفر ، (انظر • ماجد ، ظهور ، ص ٧٩ وما بعدها ، بونار ، المغرب العربي ، ص ١٦٣ وما بعدها) •

(١١) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٢٤ ، ويذكر د • مشرفة أن ابا سفيان والحواني وصلا الى المغرب سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وأن الذي أرسلهما جعفر =

فكانت سلطة الأدراسة اسمية فقط على المغرب الأوسط (١٢) ، وكان نفوذ بني رستم خارج عاصمتهم أقل من نفوذ أمراء الأدراسة على رعاياهم (١٣) ، لذا اعتبر دعاة الاسماعيلية أن بلاد المغرب أرض بور ، وعلى أبي سفيان والخلواني حرثها (١٤) ، أي استمالة أهلها إلى المذهب الاسماعيلي ، فنزل أحدهما أرض كتامة ، وهي إحدى قبائل البرانس التي كانت في أمس الحاجة إلى دعوة مذهبية تجتمع حولها شتات بطونها وحلفاؤها من قبائل البرانس (١٥) ، ربما ليتمكنوا من الوقوف أمام هجمات قبيلة زناتة وقوتها التي تهددهم من قبل مجيء الشيعة (١٦) ، بحكم المعاداة المتأصلة بينهما إذ يذكر البعض أن هذا العداء كان قائما بين قبائل البتر وقبائل البرانس عامة من قبل الفتح العربي لبلاد المغرب ، ولذلك أخذت قبيلة كتامة البرنسية بدعوة الشيعة الاسماعيلية ، فضلا عن أنها كانت تتلطف على تأسيس ملك لها (١٧) .

ومن ناحية أخرى لم تأخذ قبيلة زناتة بدعوة الشيعة لأن غالبية

= الصادق ، (انظر ، نظم الحكم ، ص ٤١ ، وهامش ٤ من نفس الصفحة) ،
الا أن العيني يذكر خطأ أن الداعي الذي كان بالمغرب قبل أبي عبد الله الشيعي
هو ابن حوشب ، (عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٥٢) ، ومن المعروف أن ابن
حوشب كان من أكبر دعاة الاسماعيلية باليمن وأنه هو الذي أرسل أبا عبد الله
الشيعي إلى شمالي إفريقيا (المقرئزي ، اتعاظ ، ص ٧٤ - ٧٥) .

(١٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٠ ، ٢٥ ، انظر .

Fournel, Les Berbers, Vol. 2, p. 13.

(١٣) انظر ، الميلي ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ٥٢ .

(١٤) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(١٥) يفهم مما ذكره ابن عذارى أن بطون كتامة كانت دائمة الصراع مع

بعضها البعض وحتى بين زعماء البطن الواحد ، البيان ، ١ ص ١٢٦ .

(١٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ١٥ م ، عبده بدوي ، مع

حركة الاسلام في افريقية ، ص ٤١ ، ولم تكن قبيلة كتامة خاضعة لسلطان

دولة الأغالبة ، (ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١١) ، وكان أهل مدينة بلزمة

يفرضون سيطرتهم على كتامة حتى قتل ابن الأغلب أمير افريقية فرسان بلزمة

سنة ٢٨٠ هـ ، فاستردت كتامة أماسها ، والتفت حول أبي عبد الله الشيعي ،

(ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٢٣) .

(١٧) انظر ، ديور ، المغرب الكبير ، ٣ ص ٦١٤ .

بطونها كانت تدين بمذاهب أخرى مثل المعتزلة والخوارج (١٨) ، لما فيهما من معاداة للحكم الخلفي المركزي ، ويتوافقان مع طبائع زناتة البترية التي عرفت بحبها التمتع بحريتها (١٩) ، ولأن العداء بين الخوارج وهو مذهبها والشيعة قديم ، مما حسدا بالمؤرخ الحديث جوليـان Julien أن يصور الصراع بين زناتة والفاطميين على أنه صراع بين الخوارج والشيعة (٢٠) ، كما أن زناتة كانت صاحبة السلطة الحقيقية على المغرب الأوسط في ظل حكم أمراء الادارسة (٢١) ، وربما خشيت زناتة أن تحرمها الدعوة الجديدة من استقلالها وسلطانها على المغرب الأوسط ، بالإضافة الى اختلاف الآراء والأهواء ، اذ كان وراء كل رأى وهوى عصبية تمنع وتنظن في نفسها منعة وقوة (٢٢) ، فربما ظلت زناتة بعيدا عن تأييد مذهب الشيعة لاقتناعها بما اعتنقت من مذاهب ، ورأت في نفسها القدرة على الدفاع عن معتقداتها المذهبية واستقلالها .

وقد ادعى البعض أن قبيلة زناتة اتخذت موقف العداء من الدعوة الاسماعيلية لأن دعاة الشيعة اختاروا مضارب البرانس لنشر دعوتهم ، وانصرفوا عن مضارب البتر (٢٣) ، ولكنه قول لا تؤيده الاحداث التاريخية ، فقد نزل ادريس بن عبد الله أول مجيئه الى المغرب الأقصى على قبيلة أوربة البرنسية فأيدوه وبايعوه ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة زناتة من الانضمام الى الادارسة دون حرب . بل خرجت اليهم مبايعة ، ثم ما لبثت زناتة ، وبخاصة قبيلة مغراوة أقوى البطون الزناتية أن أصبحت واحدة من الدعامات الأساسية لدولة الأدراسة (٢٤) . أما استمرار عداء زناتة للخلافة الفاطمية بعد قيامها ، وعدم انضمامها لهم أو خضوعها لسلطانهم ، فكان بسبب مناصرة الفاطميين لقبائل

(١٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ .

(١٩) انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .

History of North Africa, p. 58

(٢٠) انظر .

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ ، انظر Fournel, op. cit., p. 13

(٢٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٣ .

(٢٣) انظر . اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٤٧ .

Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t 3, p. 107.

(٢٤) انظر .

البرانس من كتامة وصنهاجة ، فاستطالت هذه القبائل على زناتة ، ويصور ذلك ابن خلدون بقوله « كان الفاطميون ظهرا للبرانس على زناتة ، فأنحرفت قبائلهم عن الشيعة سائر أيامهم » (٢٥) * وخلص القول ، ان بطون زناتة لم تتفق فيما بينها على شيء فسدر اتفاقها على عدائها للدعوة الاسماعيلية منذ بداية وجودها بالمغرب ، كما فشل الفاطميون في ضم قبيلة زناتة البترية (٢٦) *

وعلى كل حال ، فإنه لما قام الحلواني وأبو سفيان بنشر الدعوة الاسماعيلية بين قبائل البربر ، وبخاصة قبيلة كتامة لم يطل بهما الأجل حتى يريا نتيجة جهودهما ، فقد ماتا في فترة متقاربة (٢٧) ، فلختار دعاة الشيعة الاسماعيلية أبا عبد الله حسين بن زكريا الذي كان باليمن (٢٨) ، وعرف بالصنعاني والشيوعي (٢٩) ، وكان داهية خبيرا بما يصنع (٣٠) ، وأمدوه بالمال (٣١) ، فخرج أبو عبد الله الشيوعي الى مكة في موسم الحج وسأل عن حجاج كتامة فأرشد اليهم ، واجتمع بهم دون أن يعلمهم غايته وهدفه (٣٢) ، وخرج معهم من مكة معلنا أنه يقصد مصر (٣٣) ، فما أن وصلوا الى مصر حتى دعوه في الحاح أن يسير معهم الى بلادهم ، ووصلوا أرض كتامة بالمغرب في منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ / الخامس من يونية سنة ٨٩٣ م (٣٣) ، وسار معهم الى جبل ايكجان (٣٤) ،

(٢٥) العبر ، ٦ ص ١٥٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٦٤ .

(٢٦) أنظر : ماجد ، ظهور ، ص ٢٢٨ .

(٢٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٢ .

(٢٨) اليماني ، سيرة جعفر ، ص ١٢١ ، المقرئ ، اتعاظ ، ص ٧٤ .

(٢٩) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٢٤ ، ١٣٧ ، أنظر : ماجد ، ظهور ،

ص ٨٥ .

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٢ ، العيني ، عقد الجمان ، ١٨

ورقة ١٥٢ .

(٣١) المقرئ ، اتعاظ ، ص ٧٥ .

(٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١١ ، أنظر :

Abun-Nasr, History of the Magreb, p. 80.

(٣٣) المقرئ ، اتعاظ ، ص ٧٥ .

(٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١١ ، العيني ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة

١٥٢ ، ويذكر ابن عذاري ان وصول أبي عبد الله الشيوعي الى أرض المغرب كان

قبيل شهر رمضان سنة ٢٨٠ هـ ، (البيان ، ١ ص ١٢٥) ، ألا أن دبور =

الواقع في مضارب كتامة ، وعمل معلما للصبيان بالمسجد فترة من الزمن ، ثم صارحهم بغايته ودعوته فقال كبيرهم « أنا أطوع لك من يدك فمر بما شئت أمثلته » (٣٥) ، وتسامعت به القبائل ، فأتاه البربر البرانس من كل مكان وعظم أمره (٣٦) واقتتل بطون كتامة عليه ، وأراد بعضهم قتله فاختفى ، وبلغ الخبر الحسن بن هارون أحد وجهاء كتامة ، فأخذ أبا عبد الله الشيعي اليه ودافع عنه ، فسلم اليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وقاتل المخالفين حتى استقام عامة كتامة على طاعته (٣٧) بعد سبع سنين (٣٨) وبذلك ظهرت الدعوة الاسماعيلية من سطيف (٣٩) ، وجيجل (٤٠) من أرض كتامة ، وهي المنطقة الواقعة بين سطيف والبحر المتوسط ، والتي تقع في بلاد الجزائر الحالية (٤١) .

وبعد أن اجتمعت قبيلة كتامة على طاعة أبي عبد الله الشيعي ، وشعر في نفسه قوة ، واضطربت أمور دولة الاغالبة ، واشتغل أميرها

== يذكر أن وصول الشيعي الى المغرب كان سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م (انظر . المغرب الكبير ، ٣ ص ٦١٣) ، ويذكر المقرئزي أن وصول الشيعي الى أرض كتامة كان سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، (اتعاض ص ٧٦) ، والغالبا على الظن أن وصول الشيعي الى أرض كتامة كان سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، ثم كان ظهور دعوته سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، انظر : محمد مختار ، التوفيقات ، ص ١٤٤) ، ويذكر ابن عذاري نقلا عن الوراق أن الشيعي ترك وفد كتامة وأقام بالقيروان ليتعرف على أخبار القبائل حتى صح عنده أنه ليس في قبائل افريقية أكثر عددا ولا أشد شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة ، فلما تأكد من ذلك ذهب الى مضاربهم ، (البيان ، ١ ص ١٢٤) .

(٣٤) وهو جبل بالقرب من قسنطينة به قبائل كتامة ، أو يقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس ، انظر . الششال ، محقق ، اتعاض ، ص ٧٦ هامش ٥ .

(٣٥) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٢٧ ، انظر . عبده بدوي ، مع حركة الاسلام في افريقية ، ص ٤١ .

(٣٦) المقرئزي ، اتعاض ، ص ٧٧ .

(٣٧) للنعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ٦٨ ، المقرئزي ، اتعاض ، ص

٧٨ ، انظر . : Abun-Nasr, op. cit., p. 59.

(٣٨) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٢٨ .

(٣٩) وهي مدينة بجبال كتامة بين تاهرت والقيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٨٢ .

(٤٠) عنها انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٨٦ .

(٤١) انظر . : Abun-Nasr, op. cit., p. 80.

زيادة الله بالله (٤٢) ، استولى أبو عبد الله ومن معه من كتامة على المدن الخاضعة للأغالبة واحدة تلو الأخرى حتى افتتحت مدينة الأربس في جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ / فبراير سنة ٩٠٩ (٤٣) ، وكان بهذه المدينة معظم الجيش الأغلبى (٤٤) . عندما علم زيادة الله بخبر الهزيمة وهو في رقادة (٤٥) عاصمة ملكه خرج هاربا إلى مصر (٤٦) ، ودخل أبو عبد الله الشيعى مدينة رقادة في رجب سنة ٢٩٦ هـ / مارس سنة ٩٠٩ م ، فأمن الناس ومنع النهب والسلب ، ونزل في بعض قصورها ، وفرق دورها على كتامة ، وأخرج العمال إلى البلاد (٤٧) . وبذلك خرج المغرب كلية عن طاعة بنى العباس (٤٨) ، ليدخل في طاعة الفاطميين وسندهم بربس كتامة ، وكان القضاء على دولة الأغالبة آخر عهد العرب بالملك في إفريقيا إذ كانت دولة الأغالبة تعتمد أساسا على عنصر العرب (٤٩) .

(٤٢) المقرئى ، اتعاض ، ص ٨٦ .

(٤٣) للنويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٠ ، وعن الأربس ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ١٧٠ - ١٧١ .

(٤٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٤٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ١٧١ ، وقد استولى عليها أبو عبد الله الشيعى من يد أحد أسراء الأغالبة الذى فر عنها في جماعة من الجند والقواد إلى طرابلس ، فلجأ أهلها ومن بقى فيها من الجند إلى جامعها ، فقتلهم الشيعى أجمعين حتى سلبت دماؤهم من أبواب الجامع ، (نفس المصادر والصفحات ، انظر . Osborn, op. cit., p. 234)

(٤٥) ومدينة رقادة بناها ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م في جنوبي القيروان ، واتخذها عاصمة لدولته ، وظلت عاصمة للأغالبة حتى قضى على دولتهم ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٢٧ ، ابن غلبون ، التذكار ، ص ١٦ هامش) ، وتقع مدينة رقادة على بعد أربعة أميال من القيروان ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦٦) .

(٤٦) للنويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٠ .

(٤٧) للنعمان ، امتحان الدعوة ، ورقة ١٥٦ ، المقرئى ، اتعاض ، ص ٧٨ .

(٤٨) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٩ ، انظر .

Abun-Nasr, op cit., p. 81

(٤٩) انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٧٦ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٥٨ .

(م ١١ - زناتة والخلافة الفاطمية)

وقبل أن يقضى أبو عبد الله الشيعي على دولة الأغالبة كليسة ، وبعد أن أحرز بعض الانتصارات عليهم أرسل وفدا من كتامة الى الامام الاسماعيلي عبيد الله الذي كان مختفيا ببلدة سلمية من أعمال حمص بالشام (٥٠) ، ليخبروه بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرون مجيئة اليهم (٥١) ، وفي الوقت نفسه كانت جيوش الخلافة العباسية في طريقها الى سلمية للقبض عليه ، ولكن دعاة الشيعة في بغداد أرسلوا اليه يخبرونه بذلك ، ووصلت رسائلهم قبل وصول الجيش العباسي (٥٢) ، فاستدعى عبيد الله خلصاءه وأوهمهم أنهم خارجون الى اليمن ، ولكن المغرب مقصده الحقيقي (٥٣) ، ووصل عبيد الله الى مصر مستترا في زي التجار (٥٤) ، وفي الوقت الذي كان فيه عبيد الله في مصر ، وصلت كتب الخليفة العباسي الى واليه عليها بصفة الامام الاسماعيلي عبيد الله وهيئة — فالغالب على الظن أنه كان معروفا له — وأمره بالقبض عليه ، فعرف الامام الاسماعيلي بما وصل الى والي مصر من أمره — اذ كان بين خاصة والي مصر من كان متشيعا — ، فخرج عبيد الله من مصر مع أصحابه ، واتجهوا الى المغرب (٥٥) .

وصل عبيد الله الى افريقية ، وكان الأغالبة مازالوا أصحاب السلطان عليها ، وكان أبو عبد الله الشيعي مشتبكا في حرب معهم ، فخرج الى سجلماسة الواقعة في جنوب بلاد المغرب (٥٦) مارا بأراضي الدولة

(٥٠) ويقال ان سلمية من أعمال حماة ، وتبعد عنها مسيرة يومين ،

ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٣ .

(٥٢) اليماني ، سيرة جعفر ، ص ١١٠ .

(٥٣) نفسه ، ص ١١٤ ، الابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٣ ، ويبدو ان

عبيد الله فكر في الذهاب الى اليمن بعد ان وصل الى مصر هربا من بني العباس ، ولكن اضطرب دعاة اليمن حطه يعدل عن الذهاب اليها وهي في هذه الحالة من الاضطراب ، النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقات ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥٤) المقريزي ، اتعاظ ، ص ٨١ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٣٧ .

(٥٥) النعمان افتتاح الدعوة ورقة ١٠٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص

١٣ ، المقريزي ، اتعاظ ص ٨١ .

(٥٦) عنها ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٤١ ، ابن خلدون

التعريف ، ص ٣٧٠ ، وعن رحلة الامام الاسماعيلي من سلمية الى سجلماسة

(انظر . اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٣٢ وما بعدها) .

الرستمية (٥٧) ، وبعد أن وصل الى سجلماسة أحسن أميرها اليسع بن مدرار اليه (٥٨) ، ثم ما لبث أن قبض عليه وعلى من معه (٥٩) ، بعد أن استراب في أمره (٦٠) . لذلك ما أن قضى أبو عبد الله الشيعي على دولة الأغالبة ، وأخرج عماله الى الولايات ، واستقرت الأمور في إفريقية حتى استخلف على رقادة أخاه أبا العباس ، وخرج الى سجلماسة لتخليص الامام الاسماعيلي من سجنه في رمضان سنة ٢٩٦ هـ / مايو سنة ٩٠٩ م (٦١) ، وقد أراد أبو العباس أن ينفي عن القيروان كل من خالفهم في المذهب ، فأبى عليه أبو عبد الله الشيعي ذلك ، وأمره أن يترك الناس على مذاهبهم (٦٢) ، ولا غرو فأبو عبد الله الشيعي كان رجل سياسة ودهاء ، وربما خشى غضب أهل القيروان وثورتهم في الوقت الذي كان شغله الشاغل لتخليص الامام الاسماعيلي من سجنه بسجلماسة ، وكان خروج أبي عبد الله الشيعي الى سجلماسة في جيوش عظيمة فاهتز المغرب لخروجه (٦٣) . وقصارى القول ان قبيلة زناتة وقفت موقفا سلبيا

(٥٧) أنظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٠ .

(٥٨) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٣ ، المقرئ ، اتعاط ، ص ٨٤ ، وكان مع عبيد الله في رحلته الى سجلماسة بعض الكتامين ، النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٠٨ .

(٥٩) ابن عذارى ، البيان ، ص ١٥٢ ، وقد قبض أمير سجلماسة على الامام الاسماعيلي وأودعه السجن سنة ٢٩٢ هـ ، اذ يذكر ابن عذارى في احداث هذه السنة أن أبا عبد الله الشيعي هزم جند الأغالبة فكتب أبو عبد الله وهو يومئذ بسجلماسة يعلمه بالنصر ، ووجه اليه بمال كثير مع قوم من أهل كتامة سرا ، (البيان ، ١ ص ١٢٨ - ١٣٩) .

(٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢١ .

(٦١) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٧٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ابن ظاهر ، أخبار ، ص ٧ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٥ .

(٦٢) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص

١٥١ .

(٦٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، ومما بين أن أبا عبد الله الشيعي ترك الناس في القيروان على مذاهبهم خشية الثورة أن أخاه أبا العباس ، الذي تركه على القيروان حين خرج هو الى سجلماسة لتخليص المهدي ، أمر بقتل اثنين من مقهء أهل القيروان لانها طعنا في مذهب الشيعة ، فأرسل اليه أبو عبد الله يلومه =

من مقاومة الدعوة الاسماعيلية بافريقية رغم ما عرف من موقفها العدائي لهذه الدعوة ، وربما كان سبب ذلك أن زناتة البترية لم تكن تتصور أن دعوة أبي عبد الله الشيعي التي التفت حولها قبيلة كتامة البرنسية يمكن أن تلاقى هذا النجاح الذي ترتب عليه اقامة دولة شيعية بالمغرب ، وربما كان هذا الموقف السلبي من زناتة بسبب أن أبا عبد الله الشيعي وجنده من كتامة لم يحاولوا غزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، فلم تهتم بهم زناتة لأن خطر الدعوة لم يكن يهددها بعد .

ومن ناحية أخرى ، لم تقف قبيلة زناتة البترية من أبي عبد الله الشيعي وأنصاره من البرانس موقفا سلبييا قبيلا قيام دولة الفاطميين ، حيث بدا ذلك حينما انتهك أبو عبد الله الشيعي حرمة أراضيها ، وأرسل أربعة عشر رجلا من كتامة برسالة الى الامام الاسماعيلي عبيد الله وهو بسجلماسة (٦٤) ، فاجتاز الوفد الشيعي مضارب زناتة في طريقه الى سجلماسة ، وعلم بذلك محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية وصاحب السلطة الفعلية في تلك الفواحي من افريقية وحتى تلمسان ، فأرسل قوة من فرسان زناتة ، انتظروا الوفد الشيعي في طريق عودته في منطقة الزاب قرب مدينة طبنسة ، وهاجم فرسل زناتة رجال كتامة وقتلواهم عن آخرهم بحثا عن الرسالة التي يحملونها من الامام الاسماعيلي الى داعيته أبي عبد الله ، ولكنهم لم يعثروا عليها ، وتحامل أحد رجال كتامة على نفسه وهو جريح وأوصل الرسالة الى عامل طبنسة من قبل الداعي أبي عبد الله ، فتوكل العامل ولايته وأسرع الى لقاء أبي عبد الله الذي كان في باغاية وقتذاك ، فحمد الداعي ربه على أن زناتة لم تطلع على الرسالة ، وعزم على الرجوع لتأديبها والانتقام من زعيمها محمد بن خزر الزناتى ، إلا أن أصحابه رأوا ضرورة الاستمرار في خطتهم ومواصلة حربهم مع

= ويمنفه على فعلته ، وكتب له « قد افسدت علينا من امر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه » ، (ابن عذارى البيان ، ١ ص ١٥٥) .

(٦٤) وكان هذا الوفد من كتامة يحمل الى الامام الاسماعيلي عبيد الله بشرى انتصارات أبي عبد الله الشيعي ، وما غنمه من الاموال والكنائس كما حمل اليه بعض هذه الاموال ، فكان ذلك أول فتح قدم على عبيد الله ، (للنعمان ، لفتح الدعوة ، ورقة ١١٤) .

الأغلبية ، وأن يؤجلوا حساب زناتة الى حين قائلين « أن أمر زناتة لا يفوتنا » (٦٥) •

لذلك ما أن سمعت قبيلة زناتة بخروج الشيعة من القيروان متجها الى سجلماسة في جيش كبير العدد مكتمل العدة والعتاد (٦٦) ، حتى هربت من طريقه خشية انتقامه الذي توعدا بها (٦٧) ، لما قدمته من سوء وما أعلنته من عدااء للدعوة الشيعية بالمغرب ، وليس هناك من شك في أن قيام الدولة الفاطمية بإفريقية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، قد هز المغرب كله ، ولا سيما قبيلة زناتة التي عادت الدعوة الاسماعيلية ، فخافت أبا عبد الله الشيعي وجيشه « وزالت عن طريقه » كما ذكرت غالبية المؤرخين (٦٨) ، فعرج الشيعة على مدينة تاهرت عاصمة ملك البرستميين ، واحدى قواعد قبيلة زناتة (٦٩) ، فدخلها بالأمان في شوال سنة ٢٩٦ هـ / يونيه ٩٠٩ م (٧٠) ، ولكنه غدر بأمرها وأهل بيت الامامة من البرستميين وبعث برعوسهم الى رقادة فنصبت على بابها (٧١) ، وأحرق كتبهم وديوان تاهرت (٧٢) ، وولى عليها أبا حميد دواس بن صولات اللهيصى أحد المخلصين لدعوتهم (٧٣) •

(٦٥) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقات ١٤٣ - ١٤٤ •

(٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٢ •

(٦٧) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٧٣ ، ويدعى النعمان أن محمد ابن خزر أمير زناتة كلها وقبائل البربر بأسرها قدم على أبي عبد الله الشيعي يطلب الأمان ، فأمناه بعد أن استحلطه أن لا يفتك ولا يغدر ولا يعمد على أحد من كنزنا في حياته ولا بعد وفاته ثم أطلق سبيله ، (نفس المصدر والورقة) •

(٦٨) ابن الاثير ، الكامل ، ٨٠ ص ١٧ ، للنويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ ، ابن خلدون ، المعجر ، ٣ ص ٣٦٤ ، المقرئى ، اتعاط ، ص ٨٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٥ ، أنظر • رزق الله منقريوس ، دولة الاسلام ، ٣١٧ - ٣١٨ •

(٦٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٧٤ •

(٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٣ ، ١٩٧ ، أنظر •

Ency. of Isl. (Art. Tahret); led. t 4, P. 610.

(٧١) نفسه ، ص ١٥٣ •

(٧٢) للدرجيني ، طبعت ، ١ ورقة ٤٢ •

(٧٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٧ •

واصل أبو عبد الله الشيعي تقدمه حتى وصل إلى مدينة سجلماسة التي كان حولها سور من حجارة له اثنا عشر بابا من حديد (٧٤) ، فحُرب حولها الحصار ، وأُرسل إلى أميرها اليعسج بن مدرار يطلب منه إطلاق سراح عبيد الله ومن معه ، ويَعده بالتخلي عن المدينة إذا ما أجاب مطالبه ، فقتل اليعسج رسل أبي عبد الله ، ولم يجب المطالب (٧٥) ، ومع ذلك لا طُفه أبو عبد الله خوفا على الإمام الأسماعيلي (٧٦) ، ولكنه وجد عدم جدوى الملاينة فشرع في القتال ، وقد اشتهر الشيعي ببراعته في القيادة وإدارة المعارك وفي عمليات الحصار حتى لقب بالمحاصر (٧٧) ، واستمرت المعارك بين الطرفين حتى حال الليل من مواصلة القتال ، فعاد الشيعي إلى معسكره خارج المدينة ، وقضى هو ومن معه الليل في هم وحزن ، لأنهم لا يعلمون ما صنع بعبيد الله أمامهم (٧٨) ، أما اليعسج بن مدرار فقد هرب تاركا المدينة تحت جنح الليل ، وعرف الشيعي خبر هروبه مع طلوع النهار ، فدخل المدينة هو وأصحابه في ذي الحجة سنة ٢٩٦ هـ / أغسطس سنة ٩٠٩ م (٧٩) ، واستباحها لجنده ، وأخرج عبيد الله وابنه من حبسهما ، ثم أضرم النار في المدينة ، فأُتت على تراث الصفرية عن آخره (٨٠) .

لم يكن أبو عبد الله الشيعي قد رأى الإمام الأسماعيلي من قبل ، ولكن الإمام قد أرسل إلى الشيعي أحد أتباعه بعد أن تم له الاستيلاء على القيروان ، حتى يعرف الشيعي بالإمام الأسماعيلي (٨١) ، وقدم

(٧٤) البكري ، المغرب ، ص ١٤٨ .

(٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، أنظر .

Ivanov. The Rise, P. 210

(٧٦) النعمان ، لفتتاح الدعوة ، المنشورة في ملاحق كتاب

Ivanov ص ٤٥ .

(٧٧) أنظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٥ .

(٧٨) المقرئ ، اتعاظ ، ص ٩٠ ، أنظر . حسن إبراهيم ، عبيد الله

النهدي ، ص ١٢١ .

(٧٩) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٥ ، ابن ظافر ، أخبار ،

ص ١٢ ، للدولاري ، كنز ، ٦ ص ١٠٨ .

(٨٠) أنظر . محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ٣٠ .

(٨١) اليماني ، سيرة جعفر ، ص ١٢٥ .

الامام ومعه ابنه الى معسكر أبى عبد الله ، فقدم لهما فرسين ، ركبا عليهما وحفت بهما العساكر ، ومشى أبو عبد الله ومعه الدعاء بين يدي الامام الاسماعيلي معلنا لمن معه أن « هذا مولاي ، ومولاكم الذى كنتم تنتظرون » ، فاجتمع اليه الناس وعقدوا البيعة للامام (٨٢) ، وطلب الامام الاسماعيلي القبض على اليسع بن مدرار (٨٣) ، فأرسل أبو عبد الله الخيل فى أثر اليسع ، وقبضوا عليه ، وعذب ثم قتل (٨٤) . وخرج الامام الاسماعيلي عبيد الله الى افريقية ، وما أن وصل الى ايكجان فى طريقه حتى أمر دعائه باحضار الأموال التى كانت مع داعيته أبى عبد الله والشيوخ « وشدها أحمالا » (٨٥) ، ودخل الامام الاسماعيلي مدينة رقادة فى العشر الاخيرة من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ / يناير سنة ٩١٠ م (٨٦) ، ثم بويج بالخلافة ، واتخذ لقب المهدي (٨٧) . ومن المرجح أن عبيد الله المهدي لم يتخذ لقب أمير المؤمنين حينذاك ، إذ أن أول عمله ضربها المهدي سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م خلت من لقب أمير المؤمنين (٨٨) . وبعد أن استقر المهدي فى

(٨٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٢٧٢ ، ويذكر السيوطى أن عبيد الله سلم عليه بالامامة ودعى اليه بالخلافة سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، (تاريخ الخلفاء ، ص ٣٧٩) .

(٨٣) النعمان ، افتتاح الدعوة ، المنشورة فى ملاحق كتاب Ivanov

ص ٤٦ :

(٨٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، المقرئى ، اتعاط ، ص ٩١ .

(٨٥) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٣ .

(٨٦) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٢٧٢ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة

٤٥ ، ابن غلبون ، التذكار ، ص ١٨ ، الا أن الدوادارى يذكر أن دخول المهدي افريقية لسبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ٢٩٧ هـ / الحادى عشر من ديسمبر سنة ٩٠٩ م ، (كنز ، ٦ ص ١٠٨) .

(٨٧) المقرئى ، الجمان ، ورقة ١٩٨ ، ولقب المهدي يعنى أن الشخص موجه من الله الى طريق الحق والصواب ، (أنظر . الباشا ، الانقلاب الاسلامى ، ص ٥١٤ ، ماجد ، ظهور ، ص ٨٨ - ٨٩) .

(٨٨) Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins presented in the Khedivial Library of Cairo, P. 148.

وعن الاختلاف فى نسب الماطمين ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ٧ - ١٧ ، ابن تيمر بردى النحرى ، ٤ ص ٧٦ - ٧٧ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩١ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٩ ، الباب =

عاصمته استعمل وجوه كتامة على أعمال إفريقية ومدنها (٨٩) • والغالب على الظن أن ما وصلت إليه كتامة من السلطان بمساندة الفاطميين أثار حفيظة قبيلة زناتة التي لم تعرف الخضوع خاصة للبرانس ، فتحوّلت زناتة من السلبية في مقاومة الدعوة الإسماعيلية بإفريقية إلى الإيجابية في العمل ، فأطلقت راحة الفاطميين بعيد قيام دولتهم بإفريقية • وعلى أية حال ، فإن قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب والقضاء على دولتي بني رستم وبني مدرار أفقد الخوارج مكانتهم في مناوئة الخلافة السنية في بغداد ، وواصل الشيعة ما بدأه الخوارج ، ولا غرو فإن ظهور مذهب الشيعة أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٩٠) •

عملت قبيلة زناتة في سرعة لاسترداد مدينة تاهرت من أيدي الفاطميين قبل أن يعود أبو عبد الله الشيعي بجيشه من مدينة سجلماسة حتى يقطعوا الطريق عليهم في انصرافهم إلى إفريقية (٩١) ، ورتب محمد بن خزر أمير مغراوة للزناتية وصاحب السلطة الفعلية على المغرب الأوسط لذلك ، بالاتفاق مع بعض من أهل تاهرت يعرفون ببني دبوس على مساعدته في اقتحام المدينة ، ثم خرج في جموع زناتة إليها ، إلا أن وإلى المدينة من قبل الفاطميين اكتشف أمر هذا الاتفاق ، وقبض على بني دبوس وحبسهم ، فلم يمنع ذلك أمير مغراوة من المضي في تحقيق هدفه ، وهاجم تاهرت واستولى على بعض أرباضها ، فهرب وإلى المدينة الفاطمي وتركها لمصيرها ولكن أهل المدينة دافعوا عنها ضد زناتة ، وأرسلوا إلى واليها الهارب ليعود إليهم (٩٢) •

= ٣ ص ٢٤٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢ — ٣٤ ، انظر •
Mamour. Polimies on the Origin of the
Fatimid Caliphs. PP. 115 — 117c Invanov, op. cit, PP. 27 Sqq., P. 127.
(٨٩) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٨٧ ، النويري ، نهاية ، ٢٦
ورقة ٣٣ •

(٩٠) انظر • • • مقتز • • الحضارة الإسلامية ، ١ ص ١٠١ •

(٩١) ابن عذاري • • البيان ، ١ ص ١٥٥ •

(٩٢) نفس المصدر والصفحة •

بلغ الخبر بهجوم زناتة على مدينة تاهرت الى ابي عبد الله الشيعي، فخرج بكل جيشه يسعى اليها خوفا من سقوط المدينة في يد زناتة . وعلم محمد بن خزر الزناتى بقدومه اليه ، وكان محمد بن خزر يقدر قوة الجيش الفاطمي ، ومغبة الدخول معه في معركة ، فتراجع محمد بن خزر بمن معه من زناتة الى الصحراء (٩٣) ، اذ لم يكن باستطاعة زناتة الصمود امام قوات هذه الدولة الفتية بما تملك من أنصار وعتاد وموارد ، في الوقت الذي تعتمد فيه زناتة على مواردها المحدودة والتي لم تكن شيئا اذا قيسست بموارد الدولة الفاطمية الناشئة (٩٤) . ورغم هذا التباين في القوة والعدد والموارد لم تخضع زناتة أو تستسلم أو تكف عن مناوئة الفاطميين ، لما أن رحل أبو عبد الله الشيعي عن تاهرت الى افريقية حتى عاد محمد بن خزر ومن معه من زناتة وضرب الحصار حول تاهرت من جديد ، فبعث اليه أبو عبد الله الشيعي جيشا كبيرا يقوده من عرف بشيخ المشايخ (٩٥) ، فاستطاع هذا الجيش هزيمة زناتة وقتل الكثير من رجالها (٩٦) . وربما أوعز والي مدينة تاهرت الى الخليفة الفاطمي بالاستيلاء على مدينة وهران التي تبعد عن تلمسان قلب مضارب زناتة مسيرة ليلة واحدة (٩٧) ، حتى تكون لهم في حربهم مع زناتة ، وبالفعل خرج الجيش الفاطمي اليها سنة ٣٩٧ هـ / ٩١٠ م ، وخرّبوا المدينة ، وأضرموها نارا ، فدخل أهلها في طاعة الفاطميين ، وأعاد

(٩٣) نفسه ، ص ١٥٦ ، ورغم ذلك يذكر ابن عذارى ان اهل مدينة تاهرت قتلوا محمد بن خزر قبل مجيء ابي عبد الله الشيعي لمساعدتهم ، (البيان ، ١ ص ١٥٥ ، س ٣ من اسمل) ، ويذكر الجيلالي ان والي مدينة تاهرت اسر محمد بن خزر ، (انظر ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٨٧) .

(٩٤) انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٧ .

(٩٥) ولم يمكننا معرفة شيء عنه اسما كان أم لقبا ، أو يعني درجة من درجات الدعاة ، أو كبير زعماء كتامة ، وربما يعني ذلك رتبة من رتب الدعاة ، اذ يذكر ابن خلدون ان عبيد الله أمر وهو في طريقه من سجلماسة الى القيروان بأحضار الاموال التي كانت مع الشيعي والشيوخ ، (العبر ، ٣ ص ٣٦٤) ، ويذكر ابن عذارى ان الدعاة الذين كانوا مع ابي عبد الله الشيعي هم الذين كانوا يأخذون الاموال من جباة الضرائب ، (البيان ، ١ ص ١٤١) .

(٩٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٠ .

(٩٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٦ .

دواس بن صولات وإلى مدينة تاهرت من قبل الفاطميين أهل مدينة
وهران إليها سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م (٩٨) ، ثم دخلت قبيلة ازداجة البرنسية
الضاربة حول المدينة في طاعة الفاطميين ، وجدد دواس بن صولات مدينة
وهران فتادت أحسن مما كانت عليه (٩٩) .

كان على الفاطميين إخضاع قبيلة زناتة حتى يسلس المغرب قياده
لهم ، ولذلك قضوا السنوات الأولى من حكمهم في صراع مرير مع
قبيلة زناتة التي أبت الخضوع للفاطميين ، وكانت دائمة الثورة عليهم ،
فخرج أبو عبد الله الشيعي على رأس جيش كبير إلى المغرب الأوسط
سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م ، ليخضع قبائل زناتة ، واستمر يحاربهم عدة
شهور ، وتمكن من هزيمتهم ، وقتل من رجالهم ، واستولى على أموالهم ،
وسبى الذرية ، وأحرق المدن بالنار ، وكان يكتب بانتصاراته إلى المهدي
الفاطمي ، فيعلنها على الناس ، ثم عاد الشيعي إلى رقادة بعد أن نال
من زناتة (١٠٠) ، وفي الوقت نفسه كان عروبة بن يوسف الكتامي على
رأس جيش كبير لإخضاع إفريقية (١٠١) ، فما أن عاد هذا الجيش
حتى خرجت قبائل زناتة الضاربة حول طرابلس ومعهم بعض هواره
وحاصروا المدينة ، فأرسل إليهم المهدي جيشا كبيرا يقوده أبو زكي
تمام بن معارك (١٠٢) ، فحارب زناتة وهواره حتى فرق جموعهم ، وقتل
الكثير من فرسانهم ، وبعث برؤس القتلى إلى رقادة فنصبت بها (١٠٣) .

(٩٨) البكري ، المغرب ، ص ٧٠ .

(٩٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(١٠٠) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٦٢ ، أنظر : حسن إبراهيم ،

تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٤ .

(١٠١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ .

(١٠٢) وهو أحد زعماء قبيلة كرامة انضم إلى الدعوة الشيعية بالمغرب

مع وصول أبي عبد الله الشيعي إليه ، (ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٣٥ -

١٣٦) ، وظل مخلصا للدعوة الاسماعيلية حتى انضم مع أبي عبد الله الشيعي

في التآمر على الخليفة الفاطمي المهدي ، فأرسله المهدي على قيادة الجيش إلى

طرابلس لابعاده عن العاصمة ، ثم كتب المهدي إلى عامله على طرابلس بقتل

أبي زكي تمام فقتله ، (ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٦٣ - ١٦٤) .

(١٠٣) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٦٣ .

وبعد أن استقامت بلاد افريقية لطاعة المهدي بأمر شئون دولته بنفسه ، وكف يد أبي عبد الله وأخيه أبي العباس عنها ، فدخل الحسد أبا العباس ، وأخذ في تغيير قلوب رجال الدولة ، وقدح في المهدي في مجالسه ، وكذلك فعل أبو عبد الله الشيعي ، وعرف المهدي بتآمرهما فبادر إلى قتلها في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ / فبراير سنة ٩١١ م (١٠٤) فثارت فتنة بسبب قتلها ولكن المهدي استطاع أن يسكن الفتنة .

انتهزت زناتة المغرب الأوسط التي كانت دائمة التمرد على الفاطميين فرصة انشغال المهدي الفاطمي بحركة التآمر عليه وثار من جديد (١٠٥) ، فاعد المهدي جيشا كبيرا ، وأرسله مع جماعة من قواده لمحاربة زناتة سنة ٢٩٩ هـ / (٩١١ — ٩١٢) م ، والتقى الجيش الفاطمي مع قبيلة زناتة في موقعة دارت رحاها في موضع يعرف باسم فلك مديك (١٠٦) ، وخسرت زناتة المعركة ، وقتل منها عدد كبير (١٠٧) ، ولكن هذه الهزيمة لم تمنع زناتة من مد يد العون إلى مدينة تاهرت حين ثار أهلها (١٠٨) ، وأخرجوا عاملها الفاطمي دواس بن صولات سنة ٢٩٩ هـ / (٩١١ — ٩١٢) ، واستدعوا محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية ، فخرج إليهم في جموع زناتة ، وقتلوا حامية المدينة من الفاطميين ، وكانوا ألفا من الفرسان ، وأصبح محمد بن خزر أميرا على تاهرت ، وسلمه أهلها كل ما كان يملك وألحها السابق من سلاح (١٠٩) ، ولكن أهل تاهرت انقلبوا على محمد بن خزر الزناتية عندما علموا بإرسال المهدي جيشا كبيرا لا يحصى عددا لاسترداد تاهرت ، فترك محمد بن

(١٠٤) كتاب زهر المعاني ، ص ٦٨ — ٦٩ ، المفريزي ، اتعاط ، ص ٩٣ — ٩٦ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٦ ، انظر . Ivanov, op. cit., P. 53
(١٠٥) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٣ ، انظر ، رزق الله منقربوس ، دول الاسلام ، ص ٣١٩ .
(١٠٦) لم نستطع تحديد موضعها ولم نجد في الكتب أو المعاجم الجغرافية التي أطلعنا عليها .
(١٠٧) ابن عذاري ، البيان ، ص ١٦٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٥١ .

(١٠٨) المفريزي ، اتعاط ، ص ٥١ .
(١٠٩) ابن عذاري ، البيان ، ص ١٦٥ .

خزر المدينة وعاد الى مضاربه ، ودخل الجيش الفاطمي مدينة تاهرت وأخضعها في قسوة في صفر سنة ٢٩٩ هـ / سبتمبر ٩١٠ م ، اذ قتلوا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وانتهبوا الاموال ، وحرقوا المدينة بالنار ، وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف (١١٠) ، واختار المهدي واحدا من اخلص قواده هو مصالة بن حبوس المكناسي لولاية تاهرت (١١١) . والغالب على الظن أن المهدي اختار مصالة بن حبوس المكناسي لذلك ، لما له من قوة العصبية ، اذ أن قبيلة مكناسة التي ينتمي اليها كان لها وزنها وقوتها ، وبدافع العصبية تقف قبيلة مكناسة الى جانب مصالة ابن حبوس تحميه وتؤازره ضد هجمات زناته ، وبخاصة أن العداء كان قائما بين محمد بن خزر زعيم زناته ، وموسى بن أبي المسافية زعيم مكناسة (١١٢) .

كانت القسوة التي اخضع بها جيش المهدي الفاطمي مدينة تاهرت ، وما خسرت زناته المغرب الأوسط من فرسان في معاركها مع الفاطميين سببا في خلودها الى الهدوء حتى تستعيد أنفاسها وترتب قواتها من جديد ، فحملت بطون زناته الضاربين حول طرابلس عبء التمرد على الفاطميين واقتلوا راحتهم ، ربما تضامنا مع زناته المغرب الأوسط في عدائهم للفاطميين ، وأنفة من الخضوع لقبيلة كتامة البرنسية ، اذ كان والي مدينة طرابلس من قبيلة كتامة ، وبسط أيدي أبناء عمومته على الناس ، فثار أهل المدينة عليه سنة ٣٠٠ هـ / (٩١٢-٩١٣) م ، وهرب والي المدينة ، وأغلق أهلها أبوابها ، وكان لحد أبواب مدينة طرابلس يعرف بباب زناته (١١٣) ، وقتلوا من بها من كتامة ، واختاروا لهم واليا ، فاخرج اليهم الخليفة المهدي جيشا وأسطولا ، فحارب أهل طرابلس شهورا دون أن يتمكنوا من اخضاعهم ، لذلك أرسل المهدي جيشا آخر يقوده ولي عهده أبو القاسم في جمادى الأولى من نفس السنة / ديسمبر ٩١٢ م . فحارب أبو القاسم ولي العهد القبائل البربرية الضاربة حول طرابلس

من زناتة وغيرها حتى أخضعهم ، ثم تقدم الى مدينة طرابلس وحاصرها حتى أكل أهلها الميتة وطلبوا الأمان ، فأمنهم أبو القاسم ودخل المدينة ، وحبس على واليها وقتنه (١١٤) ، وفرض على أهلها غرامة مقدارها ثلاثمائة ألف وأربعين ألف دينار (١١٥) .

أفلقت قبيلة زناتة راحة الفاطميين ، فما أن ينتهوا من حرب معها في المغرب الأوسط حتى تنمرد بطونها في أفريقية ، فكانت السنوات الأولى من خلافتهم حربا مستمرة مع زناتة ، ولم يتمكنوا من إخضاع المغرب بسبب عداة زناتة لهم (١١٦) ، فما أن كانت الجيوش الفاطمية تعود الى القيروان حتى تعود قبائل زناتة المغرب الأوسط الى تمردهما واستقلالها (١١٧) ، ولذلك لم يصف المغرب لهم أو يسلس قياده (١١٨) ، فكان على المهدي أن يبحث عن مكان حصين يحتمي فيه اذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه ، لأن مدينة رقادة كانت تقع في سهل فسيح لا يفى بالاغراض الدفاعية اللازمة (١١٩) ، وخرج بنفسه يرتاد موطئا ليتخذ فيه عاصمة جديدة تحميه من غدر البربر وثوراتهم ، اذ كان لا يثق فيهم ، فلم يجد المهدي الفاطمي موطئا أحسن ولا أحصن من الموقع الذي بنيت فيه المهدية (١٢٠) ، فهو عبارة عن جزيرة متصلة بالبر على هيئة كف متصلة بزنند ، وقد ابتدأ المهدي في بناء عاصمته الجديدة التي سميت المهدية يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٣ هـ / الحادي عشر من

(١١٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٨ - ١٦٩ ، الانصارى ، المنهل ،

ص ٩٧ .

(١١٥) ابن أبي دينار ، المؤلف ، ص ٥٦ .

Abun-Nasr, op. cit., P. 82.

(١١٦) أنظر .

(١١٧) أنظر . بونار ، المغرب العربي ، ص ٢٢٠ .

(١١٨) المقرئى ، اتعاض ، ص ١٤٥ ، أنظر . ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .

(١١٩) عنها ، أنظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦٧ .

(١٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ - ٣٣ ، العيني ، عقد الجمان ،

١٨ ورقة ١٩٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .

(١٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ - ٣٣ ، العيني ، عقد الجمان ،

١٨ ورقة ١٩٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .

يونيه سنة ٩١٦ م (١٢١) ، وموقعها على بعد مرحلتين من القيروان (١٢٢) ،
أو ستين ميلا (١٢٣) .

كان الموضع الذى اختاره المهدي لبناء عاصمته الجديدة ذا حصانة
طبيعية ، ولكنه عمل على زيادة تحصينها ، فجعل لها سورا محكما عرضه
ممشى ستة أفراس فى صف واحد (١٢٤) ، وأبوابا ضخمة زنة كل مصراع
مائة قنطار (١٢٥) ، وأمر بحفر مرسى للمدينة فى حجر صلد ليكون
حصنا لمراكبة ، وكان المرسى يسع ثلاثين مركبا (١٢٦) ، وكان على ثم
المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد ، فإذا أريد ادخال سفينة فى
المرسى أرسل حراس أحد البرجين أحد طرفى السلسلة ، ثم تعاد السلسلة
كما كانت حتى لا تدخل المرسى مراكب معادية (١٢٧) ، كما أمر بنقر
دار صناعة فى الجبل تسع مائة شينى (١٢٨) ، وعليها باب مغلق ،
فيدخل الشينى وعليه مقاتلته الى داخل دار الصناعة فلا يقدر أحد
من فى البر على منعه (١٢٩) ، وأمر بنقر أهراء للطعام فى أرض

(١٢١) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٢ ، أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص
١٦٨ ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ١٠٨ ، انظر ، Marçais, L'Art de L'Islamic, P. 68, Hill, Islamic Architecture in North Africa, PP. 102 — 103.

والموقع الذى اختير لبناء المهدي عليه عبارة عن شبه جزيرة طولها لا يزيد عن
ميل ، وعرضها أقل من خمسمائة ياردة ، ويقع بين مدينتى سوسة وسفاقس ،
انظر ، Ency. of Isl. (Art Al-Mahd-ya), led, t 3, P. 121 ، الا أن الاندلسى

يذكر أن الخليفة المهدي خرج للبحث عن مكان لعاصمته سنة ٣٠٠

هـ / ٩١٢ (الحل السندسية ، ١ ص ٤٥٦) .

(١٢٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٣ .

(١٢٣) البكرى ، المغرب ، ص ٢٩ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ .

(١٢٤) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٢٩ .

(١٢٥) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٢ ، المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٠١ ، انظر .
Marçais, L'Architecture Musulmane, P. 90 وعن طريقه عمل أبواب المهدي

وكيف أمكن وزنها ، (الاندلسى ، الحل السندسية ، ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨) .

(١٢٦) البكرى ، المغرب ، ص ٣٠ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٨ .

(١٢٧) نفس المصدر والصفحة ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٢ ، انظر .

Marçais, l'Architecture Musulmane, P. 91.

(١٢٨) عنه ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٢٢٢ .

(١٢٩) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٢٩ .

المهدية (١٣٠) ، وكان بها ثلاثمائة وستون ماجلا (١٣١) لماء المطر ، سوى ما كان يجري اليها من القناة التي أوصلها المهدى الى عاصمته من قرية قشايش القريبة منها (١٣٢) .

انتهى المهدى من بناء عاصمته الجديدة ، وانتقل اليها في شوال سنة ٣٠٨ هـ / فبراير سنة ٩٢١ م (١٣٣) ، والغالب على انظر أن المهدى قام ببناء عاصمته الجديدة بهذه الحصانة لتحمية من ثورات البربر ، وبحاصله أنه لم يكن يتق فيهم (١٣٤) . فقد قضى المهدى سبع سنوات بافريقية قبل ان يشرع في بناء المهدية ، بذل فيها كل جهده لاختضاع المغرب ، ولكن قبائل زناتة وهى من اكبر وأقوى القبائل البربرية لم تسلس قيادها له ، وأقلقت راحته ، فكانت تنتهز أية فرصة للتمرد عليه ، ولم يستطع اخضاعها بالقوة ، اذ كانت زناتة اذا أيقنت الهزيمة أمام الفاطميين تنسحب الى الصحراء ، ثم تعود من جديد لتهاجم المدن التي اخضعها الفاطميون ، وتعلن التمرد والاستقلال (١٣٥) ، وقبيلة كتامة التي ساندت الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ، وقامت الخلافة الفاطمية على أكتاف رجالها لا تفتأ تثور بين حين وآخر (١٣٦) ، لذا لم يكن المهدى يثق في البربر بكل قبائلهم ، ودليلنا على ذلك بناء المهدى لمدينة زويلة بالقرب من

(١٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٣ ، المقرئى ، اتعاط ، ص ١٠٢ ، العيني ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٩٧ .

(١٣١) والماجل وجمعه مآجل وليس مواجل ، وهو مجتمع الماء ، (انظر . ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٥٩) ، وربما كانت خزانات مكشوفة لجمع ماء المطر .

(١٣٢) مجهول ، الاشبصار ، ص ١١٧ ، وأقام الحليفة المهدى مسجدا في عاصمته ، عنه انظر ،

Marçais, L'Architecture Musulmane, PP. 69 — 70.

كما انشأ فيها قصورا ، عنها انظر . Marçais, Op. Cit., PP. 78 Sqq.

(١٣٣) ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٢ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص

٢٧٢ .

(١٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ - ٣٣ ، العيني ، عقد الجمان ،

١٨ ورقة ١٩٦ .

(١٣٥) انظر . بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٠ .

(١٣٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٠ .

مدينة المهديّة (١٣٧) ، لتكون سكنا للعامة من الرعية من قبيلة كتامة وغيرهم من أتباعه ، أما هو وأهله وحشمه وأعيان جنوده ووجوه قواده فسكنوا المهديّة (١٣٨) ، فكانت أموال الرعية وتجارتهنّ بالمهديّة ، وفي زويلة سكناهم ، وكانوا يدخلون المهديّة بالنهار للمعيشة ، ويخرجون بالليل إلى أهليهم في زويلة ، وعندما قيل للمهدي أن رعيته في عناء من جراء ذلك ، فكان رده مؤكداً عدم ثقته في البربر إذ قال ، « ولكن أنا في راحة ، لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم ، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهليهم ، فأمن غائلتهم بالليل والنهار » (١٣٩) .

وربما أوحى إليه المجاعة الكبيرة التي حلت بأفريقية والمغرب والأندلس (١٤٠) ، في نفس السنة التي شرع فيها في بناء المهديّة ، بنقر أهراء الطعام ومآجل الماء لتكون لظروف القحط أو مجاعة مشابهة ، وقصارى القول ، أن المهدي أقام عاصمته الجديدة غاية في المناعة ، إذ كان بنيانها محكماً ووثيقاً ، ولا يمكن الوصول إليها من البر إلا عن طريق باب واحد ، أما من أراد دخولها عن طريق البحر فيكون تحت رحمة من فيها (١٤١) ، فكانت المهديّة حصناً منيعاً وقاعدة حربية ، وبعيدة كل البعد عن عوامل الترف واللبّة (١٤٢) ، خوفاً من قبائل البربر وبخاصّة قبيلة زفانة التي أعلنت عدائها للفاطمين وأضحا سافراً منذ بداية دعوتهم بالمغرب ، فأقلقت راحتهم بعد قيام دولتهم به ، ويؤكد ذلك قول ابن الخطيب في سبب بناء المهديّة ، بأن « المهدي عمل حساباً تغلب الزمان ، وتعاقب الخوف فيه والأمان ، فشرع في بناء المهديّة واتخذها قاعدة للشدة ، واستكثر

(١٣٧) عن زويلة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ، Ercy, of Isl. (Art Al-Mahdiya), led, t 3, P. 121.

(١٣٨) المراكشي ، المعجب ، ص ٣٥٠ .

(١٣٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤١٩ ، القزويني ، آثار البلاد ،

ص ٩٤ ، ٢٧٦ .

(١٤٠) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٤٨ ، السلاوي ، الاستقصا ،

١ ص ١٧٤ .

(١٤١) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٢٩ .

(١٤٢) أنظر ، العبادي ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ ،

Marçais, Le Berber Musulmane, PP. 134 — 135.

بها من العدة والخزین » (١٤٣) .

وفي الوقت الذي كان العمل مستمرا ، لاتمام العاصمة الجديدة ، كان المهدي الفاطمي يعمل على اخضاع قبائل زناتة بالمغرب الأوسط ، ويبدو أن المهدي كان يقدر لزناتة المغرب الاوسط قوتها وشدة مراسها وصعوبة اخضاعها ، فابتعد عن الاحتكاك المباشر بها ، ولم يعمل للاستيلاء على مدينة تلمسان وما حولها التي كانت تحت سلطان محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية ، وانما عمل على تطويقها حتى يسهل عليه اخضاعها . فمن قبل استولى الفاطميون على مدينة وهران (١٤٤) التي تبعد عن تلمسان قلب مضارب زناتة مسيرة ليلة واحدة (١٤٥) ، ثم كتب المهدي الى مصالة بن حبوس واليه على مدينة تاهرت بالاستيلاء على مدينة نكور (٣٤٦) ، فخرج مصالة بن حبوس من تاهرت في ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ / مايو سنة ٩١٧ م (١٤٧) ، وحارب أهل مدينة نكور ودخلها بالحيلة في المحرم سنة ٣٠٥ هـ / يونيه سنة ٩١٧ م ، وقتل أميرها وبعث برأسه الى القيروان فطيف بها هناك (١٤٨) ، وفر من نجا من الاسرة الحاكمة الى أمير الأندلس عبد الرحمن بن محمد ، وما أن خرج مصالة بن حبوس من مدينة نكور حتى عاد اليها أمراؤها الأول ، وأخرجوا الوالي الفاطمي منها وكتبوا بالفتح الى أمير الأندلس (١٤٩) .

(١٤٣) أعمال الأعلام ، ٣ ص ٥٠ ، انظر .

Marçais, L'Architecture Musulmane P. 89.

(١٤٤) البكري ، المغرب ، ص ٧٠ ، كان استيلاؤهم عليها سنة

٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، نفس المصدر والصفحة .

(١٤٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٦ .

(١٤٦) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٧٩ ، كانت مدينة نكور مركزا

لامارة مستقلة وكان يحكمها سعيد بن صالح حينما قامت الخلافة الفاطمية

بأفريقية ، وسعيد هذا يرجع بنسبة الى صالح بن منصور الذي افتتح هذه

المنطقة من شمالي أفريقيا في فترة حكم الخليفة الاموي الوليد بن الملك ،

(البكري ، المغرب ، ص ٩٠ - ٩٩) .

(١٤٧) البكري ، المغرب ، ص ٩٥ .

(١٤٨) نفسه ص ٩٦ .

(١٤٩) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٨٠ .

(م ١٢ - زناتة والخلافة الفاطمية)

خرج مصالة بن حبوس من مدينة نكور بعد أن أخضعها لطاعة الفاطميين وولى عليها إلى مدينة فاس عاصمة الادارسة سنة ٣٠٥ هـ / (٩١٧ - ٩١٨) م (١٥٠) ، ليكمل حصار مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، فخرج أمير فاس يحيى بن ادريس ليدافع عن المدينة ، بيد أن مصالة بن حبوس المكناسي الذي انضمت اليه قبائل مكناسة بزعامة موسى بن أبي العافية استطاع أن يهزم يحيى بن ادريس ، فاسترضاه يحيى بالمال ، وكتب بالبيع للخليفة الفاطمي ، وقبل أن يترك مصالة ابن حبوس مدينة فاس عائدا إلى ولايته في تاهرت قدم موسى بن أبي العافية زعيم قبيلة مكناسة على بلاد المغرب (١٥١) .

لم ترتج زناتة لخضوع الادارسة لطاعة الفاطميين ، ولتقدم موسى ابن أبي العافية زعيم مكناسة على بلاد المغرب ، فأعلنت التمرد من جديد ، وخرجت إلى مدينة فاس تساند الادارسة في حرب مكناسة حتى استعادوا سلطانهم على مدينة فاس من جديد سنة ٣٠٧ هـ / (٩١٩ - ٩٢٠) م ، وبعد أن أصبح لقبيلة زناتة السلطة على فاس ، أزالوا الخطبة من جامع الشرفاء لصفره ، وأقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره (١٥٢) . ولم تستمر سلطة زناتة والادارسة على مدينة فاس طويلا ، إذ جهز المهدي الفاطمي جيشا بقيادة مصالة بن حبوس المكناسي لاسترداد فاس ثانية من أيدي الادارسة وزناتة ، ودخل مصالة مدينة فاس بمساعدة قبائل مكناسة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، وقبض على يحيى بن ادريس وعذبه

(١٥٠) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٤ ، السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٦ ، إلا أن أبا الفدا يذكر أن غزوة مصالة بن حبوس على المغرب كانت سنة ٣٠٧ ، (المختصر ، ٢ ص ٧٠) ، ويذكر المغربي أن دخول مصاله بن حبوس مدينة فاس كان سنة ٣٣٠ هـ ، (الجمان ، ورقة ٢٠٧ ظهر) ، وعن مدينة فاس ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٣٢٩ - ٣٣١ .

(١٥١) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ .
(١٥٢) الجزنائي ، زهرة الأس ، ص ٣٥ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ .

واستولى على أمواله ، ونفاه الى مدينة أصيلا (١٥٣) ، التي لم تكن خضعت لسلطة الفاطميين بعد (١٥٤) ثم عاد مصاله بن حبوس الى افريقية بعد أن ولي على مدينة فاس ريسان المكناسي أحد أبناء عصبته (١٥٥) .

أحاط عبيد الله المهدي مضارب زناتة بأنصاره بعد أن استولى على مدينة هران ، وانضمت قبائل ازداجة الى الدعوة الفاطمية ، واستولى على مدينة فاس وانضمت قبائل مكناسة وزعيمها موسى بن أبي العافية لطاعته ، واعتقد أن في استطاعته غزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط واخضاعها ، فجمع الخليفة المهدي الفاطمي جيشا عظيما ، وقدم عليه مصانه بن حبوس المكناسي واليه على مدينة تاهرت ، وأرسله لغزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، واخضع أميرها محمد بن خزر سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م . وتقدم مصالة بن حبوس في ديار زناتة يقتل ويسبي ، وبث سرايا الخيل في النواحي الخاضعة لسلطان محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية ، والتي كان بها وجوه رجاله وأكثر فرسانه ، وبلغ محمد بن خزر ما فعله مصالة بن حبوس في ديار قومه ، فقصده اليه ، ودارت المعارك بين الفريقين حتى قتل مصالة بن حبوس المكناسي ، فانهزم أصحابه لعشر بقسين من شعبان سنة ٣١٢ هـ / عشرون من نوفمبر سنة ٩٢٤ م (١٥٦) .

اختار المهدي أخا لمصالة يدعى يصل بن حبوس ليكون واليه على مدينة تاهرت ، لاهمية تاهرت بالنسبة للفاطميين في صراعهم مع زناتة ، اذ أنها من أهم مدن المغرب الأوسط ، وتقع بين مضارب زناتة (١٥٧) ،

-
- (١٥٣) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٧ - ١١٨ ، عنها ، انظر .
 ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٧٩ .
 (١٥٤) الاصلطخري ، المسالك ، ص ٣٤ .
 (١٥٥) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٨ .
 (١٥٦) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٨٩ ، ١٩٧ ، انظر . ضرور ، سياسة الفاطميين ، ص ٢١٩ : الا أن ابن خلدون يذكر أن مقتل مصالة بن حبوس كان سنة ٣٠٩ هـ ، العبر ، ٧ ص ٢٥ .
 (١٥٧) انظر . حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٥ ، اقبال .
 دور قبيلة كتامة ، ص ٣٦٠ .

وحتى يعمل يصل بن حبوس المكناسى على تجميع قبائل مكناسة للأخذ بثار زعيمها من قبيلة زناتة (١٥٨) ، فيتمكن الفاطميون من النيل من زناتة بمساعدة مكناسة ، وخرجت جموع مكناسة يقودهم موسى بن أبى العافية ومعه والى تاهرت ووالى فاس فى الجيش الفاطمى لمحاربة زناتة والادارسة ، فاستولى موسى بن أبى العافية على امارات الادارسة حتى اتصلت أملاكه بأملاك محمد بن خزر زعيم زناتة بالمغرب الأوسط (١٥٩) .

كانت مدينة تاهرت قاعدة لقبيلة زناتة (١٦٠) ، وكان الزعيم الزناتى محمد بن خزر يدرك أهمية تاهرت فى صراعه مع الفاطميين ، ولذلك لم يكف عن المحاولة للاستيلاء عليها من أيدي الفاطميين ، وزحف اليها مع قومه من زناتة فى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، وحاصر المدينة حينما امتنعت عليه ، فأرسل للمهدى الفاطمى جيشا يقوده أحد زعماء كتامة ومعه جماعة من القواد ، فما أن وصل الجيش الفاطمى الى مدينة طنبنة حتى انسحب محمد بن خزر أمير زناتة الى الصحراء تاركا تاهرت ، وأبقى أخاه عبد الله مع وجوه فرسانه فى وادى مطماطة (١٦١) . والغالب على الظن أن محمد بن خزر أراد استدراج الجيش الفاطمى الى الصحراء ، أو إيقاعه بين قوات أخيه عبد الله ، فقد استخدمت زناتة الكمين فى الكثير من حروبها ، كما أن طريقتهم فى القتال تعتمد أساسا على خفة الحركة وسرعة الكر والفر (١٦٢) ، الا أن الجيش الفاطمى لم يطارده

(١٥٨) اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧١ .

(١٥٩) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٢٥ ، الا ان ابن أبى زرع يذكر أن موسى ابن أبى العافية استولى على مدينة تلمسان ، (الأنيس ، ١ ص ١٢٤) ، ولكن ذلك بعيد التصديق ، اذ لم يذكر ذلك غيره ، كما أنه من المعروف ان مدينة تلمسان ظلت تحت سلطان زناتة منذ تأسيسها قبل الفتح الاسلامى لبلاد المغرب وحتى سنة ٣٦١ هـ ، أى بعد أن شرد بلكين بن زبرى زعيم صنهاجة قبائل زناتة من المغرب الأوسط ، انظر بعده .

(١٦٠) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوى ، الاستقصا ،

١ ص ١٧٤ .

(١٦١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ .

(١٦٢) انظر . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ ، محمد

المنونى ، نظم الدولة المرينية ، ص ٢١٨ .

محمد بن خزر ، والتقى مع جيش أخيه عبد الله ، ودارت معركة بينهما كان النصر فيها حليف ابن خزر وقومه من زناتة ، فأرسل المهدي جيشا آخر بقيادة اسحاق بن خليفة ، ولكن قبائل لماية التي تقطن منطقة الزاب أعلنت التمرد على الفاطميين ، وطلبوا من محمد بن خزر الزناتى الامدادات فولى عليهم أخاه عبد الله (١٦٣) . لم يتقدم الجيش الفاطمى الذى يقوده اسحاق بن خليفة لمحاربة زناتة بعد انضمام قبائل لماية اليها ، وأرسل قادة الجيش الى المهدي ليمدهم ، فبعث اليهم بجيوش كثيرة ، ودارت معارك عديدة بين زناتة يقودها محمد بن خزر وبين جيوش الفاطميين (١٦٤) ، فكان الظفر فى النهاية لقبيلة زناتة وزعيمها ، وقتل كثير من عسكر كتامة ، فكان وقع ذلك على المهدي عظيما (١٦٥) ، اذ أن كتامة كانت عصب الدولة الفاطمية ، كما أن منطقة الزاب خرجت من سلطانه ، وأصبحت تحت سيطرة قبيلة زناتة المعادية لدولتهم .

كان استيلاء زناتة على منطقة الزاب من أيدي الفاطميين ليس بالحدث الهين الذى يتجاوز عنه الخليفة المهدي ، لأن منطقة الزاب جزء من املاك الخلافة الفاطمية ، كما كان لهذه المنطقة أهميتها الاقتصادية ، لكونها معبرا للتجارة مع بلاد السودان فضلا عن أهميتها العسكرية فى صراعهم مع قبيلة زناتة ، كما كان على المهدي الأخذ بثأر قتلى كتامة من زناتة . لذلك أعد المهدي الفاطمى جيشا كبيرا وجعل قيادته لابنه وولى عهده أبى القاسم ، وخرج الجيش الفاطمى لمحاربة مجعد بن خزر ومن معه من زناتة ، واستعادة منطقة الزاب فى صفر سنة ٣١٥ هـ / أبريل سنة ٩٢٧ م (١٦٦) ، وخرج أبو القاسم على مضارب كتامة لينضموا الى جيشه ، وتقدم الى مواطن بنى برزال الزناتيين فى منطقة الزاب ، وحاربهم حتى أخضعهم (١٦٧) ، وواصل الجيش الفاطمى

(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ .

(١٦٤) نفس المصدر والصفحة .

(١٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن ظافر ، أخبار ، ص ١١ ،

ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٢ .

(١٦٦) العيني ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٣٠٦ ، المقرئى ، اتعاظ ، ص

١٠٤ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٧ ، الا أن ابن خلدون ، يذكر أن

خروج أبى القاسم الى المغرب كان سنة ٣١٠ هـ ، (العبر ، ٤ ص ٨٢) .

(١٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ .

اخضاع منطقة الزاب حتى وصل الى ماوراء مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (١٦٨) ، ووصل الى مدينة تامغيت وهي مضارب بنى دمبر الزناتيين (١٦٩) ، واقام بها شهرين مناظرا لمحمد بن خزر الذى انسحب بجيشه الى الصحراء (١٧٠) ، كما هي عادته دائما عندما يكون التفوق واضحا في صالح الفاطميين ، ووجد أبو القاسم أن لا فائدة من الانتظار • ويبدو أنه لم يكن قادرا على المغامرة في الصحراء لمطاردة زعيم زناته ، فانصرف الى المهدية دون أن يلقي محمد بن خزر زعيم زناته في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م (١٧١) •

رأى أبو القاسم ولى المهد أن قبيلة زناته حتما ستعود سيرتها وتهاجم الأراضي الخاضعة للفاطميين بعد عودة الجيش الفاطمي الى العاصمة • وأنه لابد من انشاء مدينة في منطقة الزاب لتكون حاجزا أمام هجمات زناته ، وقاعدة للهجوم على قبائلها الضاربة حول مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (١٧٢) ، ولذا اختط أبو القاسم وهو في طريق عودته من مطاردة زناته صفة مدينة وأسمها بالمحمدية وهي التي عرفت بالمسيلة (١٧٣) • وقد اختار أبو القاسم منطقة الزاب لبناء مدينته ، وأختار مضارب بنى برزال الزناتيين موقعا لها (١٧٤) ، لتسهل مراقبتهم ، ولأهمية المنطقة الاستراتيجية (١٧٥) ، اذ تقع عند حد افريقية وتبعد عن مدينة تاهرت ثلاثة أيام (١٧٦) ، فتكون مدينة المسيلة سدا

(١٦٨) الفويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ ، المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٠٤ •

(١٦٩) البكري ، المغرب ، ص ١٤٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ •

(١٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، ابن حماد ، أخبار بنى

عبيد ، ص ١٢ •

(١٧١) نفس المصدر والصفحة •

(١٧٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٦٨ •

(١٧٣) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٠٥ ، عنها ، انظر • ياقوت ، معجم البلدان

٨ ص ٥٨ - ٥٩ •

(١٧٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ،

١ ص ٢٨٥ هامش •

(١٧٥) انظر • اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٩ •

(١٧٦) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ٢٤٧ •

بين الفاطميين وزناتة ، وبذلك تكف عادية زناتة عن الزاب (١٧٧) ، حيث تعيش قبائل موالية للفاطميين ، واخذوا بمذهب الشيعة مثل عجيسة (١٧٨) ، وكان على الخليفة الفاطمي حمايتهم من هجمات زناتة وغاراتها • ولأهمية الغرض الذي من أجله رأى أبو القاسم بناء المسيلة اختار احد المخلصين للدعوة الفاطمية ، وهو علي بن حمدون الأندلسي (١٧٩) ، ليتولى بناء المدينة ، ثم ولاء عليها (١٨٠) وأمره بأن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به في المدينة (١٨١) ، حتى تكون معدة لظروف الحصار اذا ما أقدمت قبيلة زناتة على مهاجمتها • وقصارى القول ، ان زناتة كانت السبب المباشر وربما الوحيد في بناء مدينة المسيلة بمنطقة الزاب ، كما أن المدينة أقيمت على أرض بنى برزال الزناتيين وفي وسط مضاربهم ليسهل مراقبتهم واخضاعهم اذا ما حاولوا التمرد والعصيان •

لم يثن بناء المسيلة في منطقة الزاب محمد بن خزر زعيم زناتة عن الهجوم على أراضي الفاطميين ، واستطاع الاستيلاء على منطقة الزاب كلها سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٨٢) ، الا أن صراعه مع الفاطميين على الحدود الشرقية لآمارته شغله عن الاهتمام بالجانب الغربى منها ومساندة الادارة في صراعهم مع قبيلة مكناسة ، فقد قاد موسى ابن أبى العافية أمير مكناسة قومه وحاصر مدينة نكور ، وتغلب عليها

(١٧٧) ابن عذرى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ •

(١٧٨) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٧ ، وعجيسة احدى قبائل البرانس

التي انضمت الى الفاطميين •

(١٧٩) كان علي بن حمدون من الاندلس فعرف بالاندلسي ، واتصل بعبيد

الله وهو بالمشرق وبعثوه من طرابلس الى أبى عبيد الله الشيعي ، ولما استقبل

ملكهم رقبوه الى الرقب ، واستعمله أبو القاسم ولى العهد على بنساء

المسيلة ، (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢) •

(١٨٠) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٢ ، ابن ظافر ، أخبار ، ص ١١ ،

النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ •

(١٨١) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢ ،

المقربزى اعطاء ، ص ١٠٥ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٣ •

(١٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥

وخربها سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٨٣) ، ثم سار الى مدينة جـراوة التي كانت تحت سلطان الحسن بن عيسى المعروف بابن أبي العيش عميد الادارسة ، وأستولى عليها ، وجال موسى بن أبي العافية بتلك النواحي حتى استولى على كل مدنها ، وهرب كل أمراء الادارسة منها ، وطرد موسى بن أبي العافية قواد بني خزر الزناتيين وعمالهم من تلك النواحي ، فأصبح ملكه من تاهرت حتى السوس الأقصى (١٨٤) . وعندما علم محمد بن خزر أمير زناتة بما حاق بأمراء الادارسة وعماله أرسل الى موسى بن أبي العافية بأن الادارسة في حمايته وأنه يؤيد أميرهم ابن أبي العيش ، وعليه أن يترك له امارته ، فأنف موسى بن أبي العافية ، وهاجم محمد بن خزر أمير زناتة المغرب الأوسط على غرة وقتل بعض رجاله ، وانصرف الى مدينة جـراوة سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م (١٨٥) .

لم يظل موسى بن أبي العافية على عدائه لأمير زناتة المغرب الأوسط وولائه للفاطميين ، ولكنه نفّض يده من طاعة الفاطميين ، وأعلن موالاته لخليفة قرطبة الأموي (١٨٦) بعد ما رأى ازدياد قوة زناتة ، وظهور

(١٨٣) البكري ، المغرب ، ص ٩٧ .

(١٨٤) ابن أبي زرع الأنيس ، ١ ص ٢٢٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ٦ ص

١٩٤ ، ٢١٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(١٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(١٨٦) وخليفة قرطبة هذا هو عبد الرحمن بن محمد الذي ولي عرش الامارة

بالاندلس في شهر ربيع الاول سنة ٣٠٠ هـ / اكتوبر سنة ٩١٢ م ، (ابن الفرضي تاريخ علماء ، ١ ص ٧ ، ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٧) ، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين وتلقب بالقباب الخلافة ، واتخذ لقب الناصر ، (السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٢ ، انظر ، الباشا ، اللقب الإسلامية ، ص ٥٢٥) ، في مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ / السادس عشر من يناير سنة ٩٢٩ م ، (ابن عذارى البيان ، ٢ ص ٢١٢) ، وبدأت اطماعه في الاستيلاء على شمالي أفريقيا من أيدي الفاطميين ، فكاتب أمراء القبائل البربرية في المغرب الأوسط والأقصى بالانضمام اليه وموالاته ، وخلق طاعة الفاطميين فكان أمير زناتة المغرب الأوسط أول من انضم اليه ، (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤١) ، الا أن أحد المشتشرقين يذكر أن الناصر الأموي هو الذي أرسل الى موسى بن أبي العافية واقنعه بالدخول في طاعته ، (انظر .

أمرها بالمغرب بعد مساندة خليفة قرطبة لها ضد الفاطميين (١٨٧) ، وانضمت قبيلة مكناسة يتزعمها موسى بن أبي العافية الى قبائل زناتة في مناوئة الفاطميين ، فخرج المغرب الأقصى كلية عن طاعتهم ، ولذا أعد المهدي الفاطمي جيشا قوامه عشرين ألفا ، وجعل قيادته لعامله على تاهرت حميد بن يصل المكناسي ، وأرسله لاختضاع قبائل المغرب الأقصى من مكناسة وزناتة ، واستعادة مدينة فاس في سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (١٨٨) . والغالب على انظن أن اختيار الخليفة المهدي لحميد ابن يصل المكناسي لقيادة هذا الجيش ترجع الى أنه من قبيلة مكناسة لعله يتمكن من استمالتها أو على الأقل استمالة بعضها بما له فيها من العصبيّة ، فيسهل عليه اخضاع قبائل زناتة المغرب الأقصى واسترداد مدينة فاس . وبالفعل استطاع حميد بن يصل المكناسي استعادة مدينة فاس لطاعة الفاطميين ، وولى عليها حامد بن حمدان الهمذاني ثم انصرف راجعا بجيشه الى افريقية (١٨٩) . ولم يشر أحد من المؤرخين الى أن القائد الفاطمي أخضع قبائل زناتة بالمغرب الأقصى في غزوته هذه أو أنها دخلت في طاعة الفاطميين . ومن المرجح أن سلطان الفاطميين على المغرب الأقصى لم يتعد مدينة فاس آنذاك .

وقصارى القول ، ان قبيلة زناتة لم تتشيع ، بل عارضت التشيع ، ووقفت موقف العداء من قيام الخلافة الفاطمية ، كما أن الخليفة

(١٨٧) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ، الجزئائي ، زهرة الأس ، ص ٣٦ ،

(١٨٨) ابن أبي زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٢٤ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ١٤١ ، ٦ ص ١٣٥ .

(١٨٩) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ، الجزئائي ، زهرة الأس ، ص ٣٦ .

المهدي الفاطمي لم يستطع استمالتها ، ولم ينجح في تطويق مضاربها
بالمغرب الأوسط تمهيدا للاستيلاء عليها ، واخضاعها لسلطانه ، اذ كان
بالمغرب الأوسط غالبية بطون زناتة وأقواها ، وقد وقفت هذه البطون
الزناتية حجر عثرة أمام محاولة الفاطميين للاستيلاء على المغرب
الأوسط والأقصى أيضا .

الفصل الرابع

ثورة زناتة الكبرى على الفاطميين

أسباب ثورة أبي يزيد - أبو يزيد مخلد بن

كيداد الزناتى - زناتية ثورة أبي يزيد -

مراحلها - نتائجها •

لا شك أن قبيلة زناتة وقفت موقف المعارضة من قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ، وأن عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية بذل غاية جهده لاختضاع قبيلة مغراوة ، أقوى البطون الزناتية في المغرب الأوسط ، وعمل على تطويق مضاربها بأنصاره من البربر أتباع الفاطميين حتى يسهل عليه إخضاعها ، إلا أن المنية وافته قبل أن يحقق هدفه ، فعمل أبو القاسم القائم بأمر الله ، الذي أتى في الخلافة بعد عبيد الله المهدي ، على أن يسير على نسق أبيه ، ويكمل أحاطة مضارب بطون زناتة بالمغرب الأوسط بمواقع موالية للفاطميين حتى يتمكن من القضاء على معارضتهم ، وإن نجح في مهمته بالنسبة لبطون زناتة بالمغرب الأوسط ، فإن معارضة زناتة تبلورت في ثورة عارمة ، قادتها بطون زناتة بأفريقية ، وانضم إليها بعض القبائل البربرية الأخرى ، بسبب الاتجاه المذهبي للخليفة القائم بأمر الله ، وسياسته المالية الجائرة .

فقد عمل القائم بأمر الله على استمالة زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة بعد ظهور قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنها تحت زعامة زيري بن مناد ، وبدأت تغير على مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، وقامت الحروب بين القبيلتين (١) ، بحكم العداء القبلي بين البتر ، وهم أهل البداوة وعلى رأسهم قبيلة زناتة ، والبرانس ، وهم أهل الزراعة والاستقرار ومنهم قبيلة صنهاجة . وربما يكون مرجع هذا العداء إلى الاختلاف في الحياة الاجتماعية ، إذ أن البدو أهل ترحال ، ويقومون بالاغارة على جيرانهم من أصحاب الزراعة والاستقرار ، لذا كان البدوي يرى في

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ .

الحضري فريسة له ، وكان الحضري ينزل البدوي منزل الوحش غير المقدور عليه •

وبعد أن انضم الى زيري بن مناد بطون صنهاجة وغيرهم من قبائل البرانس وكثر جمعه ، وأوقع ببطون زناتة بالمغرب الأوسط بعض الهزائم أراد أن يتخذ معسكرا ليكون مركزا لجموع قومه ، ومن انضم اليه من قبائل البرانس ، واختار موقعه في جبال تترى Titteri ، وهو الذي عرف باسم مدينة أشير ، وبدأ في بنائها حوالي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٢) ، أمسه الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بمواد البناء والحديد ، والبنائين والصناع (٣) • والغالب على الظن أن الخليفة القائم بأمر الله كانت له يد في اختيار موقع مدينة أشير التي سعد ببناؤها (٤) ، لتكون حاجزا أمام هجمات زناتة بالمغرب الأوسط على أراضي الفاطميين (٥) ، وليقوم زيري بن مناد زعيم صنهاجة بحماية أهل تلك النواحي من رعايا الفاطميين من هجمات زناتة (٦) ، بل صارت مدينة أشير قاعدة هجوم لفاطميين على مضارب زناتة بالمغرب الأوسط (٧) • وخلاصة القول ، أن الخليفة القائم بأمر الله أول من استطاع من الفاطميين استمالة شخصية كبيرة من البرانس ، مثلما فعل أبو المهاجر دينار مع كسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب • وبانشاء مدينة أشير أصبحت مضارب زناتة بالمغرب الأوسط محاطة بأنصار الفاطميين من كل جانب ، بعد أن أخضع الفاطميون وهران ، وفاس ، وتاهرت ، وأقاموا المسيلة في وسط مضارب زناتة بمنطقة الزاب ، وكانت كلهما مراكز معادية للفاطميين منذ قيام دولتهم ، فكبت بطون زناتة بالمغرب الأوسط عن مناوئة الفاطميين الى حين ، إذ لم يستطع الفاطميون القضاء على قوتها

(٢) نفس المصدر والصفحة ، بيبرس ، زبدة ٦ ورقة ١٢٣ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة

• ٤٧

(٤) نفس المصادر والصفحات •

(٥) أنظر • Ency. of Isl. (Art Zirids), 'led, t 1, P. 1229.

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص

• ٢٦٤ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ •

(٧) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ •

أو إخضاعها • أما بطون زناتة بإفريقية فقد خضعت مرغمة لطاعة الفاطميين لقرب مضاربها من مركز الخلافة ، فكانوا في متناول يد جيوشها ، فظلوا على قوتهم محافظين ، ولم ينكل بهم الفاطميون •

وكان الاتجاه المذهبي للخليفة القائم بأمر الله سببا في أن انضمت قبائل بربرية أخرى الى بطون زناتة في ثورتهم على الفاطميين ، فلم يتبع القائم بأمر الله نهج سابقيه في التسامح مع الرعية ، فبعد أن قضى الفاطميون على دولة الأغالبة ، أراد بعض المتحمسين للمذهب الاسماعيلي فرضه على رعايا الدولة الفاطمية (٨) ، فمنعه أبو عبد الله الشيعي ، الذي كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون (٩) ، اذ كان يرى أن الدولة الفاطمية « يجب أن تكون الحجة والبيان رائدها ، وليس القهر والاستطالة » (١٠) • ويبدو أن اخليفة عبيد الله المهدي عمل بنصيحة داعيته أبي عبد الله الشيعي ، اذ كف الدعاة عن طلب التشيع من العامة (١١) ، مما حدا بالمؤرخ السيوطي — وهو سني المذهب — أن يصف المهدي بأنه « بسط العدل والاحسان في الناس حتى انحرفوا اليه » (١٢) •

أما القائم بأمر الله فقد عمل على ارغام الناس على اعتناق المذهب الشيعي قسرا (١٣) ، وعذب وقتل معارضييه من أهل السنة (١٤) ، مما

(٨) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ •

(٩) المقرئزي ، اتعاط ، ص ٩٧ •

(١٠) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ •

(١١) المقرئزي ، اتعاط ، ص ٩٦ — ٩٧ •

(١٢) تاريخ الخلفاء ، ص ٣٧٩ •

(١٣) المغربي ، الجمان ، ورقة ١٩٨ ، السوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩١ ، انظر ، بونار ، المغرب العربي ، ص ٢٤٧ ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٦٧ ، Osborn, Op. Cit., P. 234.

(١٤) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٦ ، انظر ، الزاوي ، تاريخ الفتح العربي ، ص ١٦٩ ، علي الشابي ، نعيم اليافي ، محققا طبقات علماء إفريقية ، ص ١٨ •

اضطر بعض علماء أهل السنة الى الهروب من القيروان بمذهبهم (١٥) .
وان كانت مصادر هذا الاضطهاد مصادر سنية ، فمما يجعلنا نثق فيها
الى حد ما ، أن هذه المصادر نفسها وصفت سلفه بالعدل والاحسان الى
الناس ، كما وصفت خلفه المنصور بالله بالتسامح المذهبي ، وتقريب
الفقهاء والصالحين من أهل السنة (١٦) ، وربما كانت طبيعة القوائم بأمر
الله العسكرية — اذ قاد الكثير من الجيوش الى مصر وافريقية والمغرب ،
وحقق نجاحا في غزواته — سببا في محاولته فرض المذهب الاسماعيلي
بالقوة على رعاياه ، أو أنه تحمس لنشر مذهبه ، أو لطبيعة المذهب الاسماعيلي
نفسه ، اذ يرى أحد المستشرقين أن دعوة بمثل هذه الطبيعة المذهبية ،
ما أن يكتمل سلطانها السياسي ، فإن الخليفة لا يسمح لرعاياه بعدم
طاعته أو الانحراف عن مذهبه (١٧) ، وعلى كل حال ، فقد شارك
الخليفة القائم بأمر الله عماله وفقهاء مذهب من أمثال محمد بن عمر
المروزي ، وعبد الله بن محمد الكاتب وغيرهما اضطهاد أهل السنة
وعلمائها (١٨) ، ليتمكنوا من اغواء الرعية بالدخول في مذهبهم على حد
تعبير المؤرخ السيوطي (١٩) ، ومع ذلك وقف فقهاء المالكية يدا واحدة
في وجه انتشار المذهب الشيعي ، وحسدوا الناس عن الدخول فيه (٢٠) ،
ثم انضموا الى الزعيم الزناتي في ثورته على الفاطميين (٢١) .

(١٥) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢١ ، ٢٥ ، انظر ، حسن محمود ، قيام دولة
المرابطين ، ص ٩٧ .

(١٦) انظر ، بعده .

(١٧) انظر ، Vatikictis, The Fatimid Theory of State, p. 177.

كما يرى متز أن مذهب الشيعة يحمل بين ثناياه الكثير من الافكار الشرقية
القديمة ، ويجعلها مكان بعض الافكار الاسلامية ، (انظر ، الحضارة الاسلامية ،
١ ص ١٠١ ولعله يقصد بذلك سلطة الحاكم على رعاياه ، وحتمية طاعتهم له
حتى في معتقداتهم .

(١٨) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٥ .

(١٩) تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩١ .

(٢٠) انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٧٢ وما بعده ، محمد

الشاذلي النيفر ، تاريخ قفصة ، ص ١٠٨ .

(٢١) انظر ، The Cambridge History of Islam, Vol. 2, 218, ; Idris,

Contribution à l'Histoire de l'Afrikya, pp. 81 —82.

ولم يكن فرض المذهب الاسماعيلي بالقوة هو الشيء الوحيد الذي أثار رعايا الخلافة الفاطمية على الخليفة القائم بأمر الله ، ولكن السياسة المالية الجائرة التي اتبعها ساهمت هي الاخرى في إثارة النفوس (٢٢) ، اذ اشتط في جمع الضرائب وعمل على زيادتها (٢٣) ، فعلى سبيل المثال ، وضع الخليفة الفاطمي أمعاء بلهوانى مثل مرسى الخزر ، ليقاسموا الناس ما يستخرجونه من المرجان (٢٤) ، بالرغم من أن المرجان كان يستخرج من مرسى الخزر دون مشقه ، وليس للسلطان فيه حصة (٢٥) ، وكان يفرض ضرائب على القوافل المارة بالبلاد الخاضعة لسلطانه ذاهبة وآتية من بلاد السودان فضلا عن ما يبتزّه عماله من أصحاب القوافل (٢٦) ، كما استولى على أموال الأحياس والحصون (٢٧) .

والخلاصة ، ان عدم القضاء على مقاومة بطون زناتة أو استمالتها في عهدى المهدي وللقائم بأمر الله ، وموقف القائم بأمر الله من التسامح المذهبي ، وسياسته المالية الجائرة ، كانت سببا في اندلاع فتنة كبرى كادت تقضى على خلافة الفاطميين بزعامة رجل من زناتة اسمه : أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتى .

واذا تناولنا سيرة هذا اللئيم الزناتى ، الذى وجدت فيه بطون زناتة بافريقية والمغرب الأوسط زعيما التفت حوله ، لتعلن معارضتها للمذهب الاسماعيلي ، اذ كانت غالبية بطون زناتة على مذهبى الخوارج والمعتزلة ،

(٢٢) يفهم ذلك من قول الدباغ ، بأن المنصور الفاطمي اسقط الخراج عن الرعية بعد ان قضى على ثورة ابي يزيد الزناتى ، معالم ، ١ ص ٢٦ .
(٢٣) أنظر ، كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ٢ ص ٤٧٨ ،
Abun-Naar, Op. Cit., P. 83.

(٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٦ .
(٢٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٤ ، وربما كان المرجان يستخدم في صناعة الحلى والزينة ، اذ يذكر ياقوت أن المرجان كان يستخرج على هيئة جسم مشجر أغبر القشر ، فاذا نزع عنه قشره خرج احمر اللون فتفصله الصناعات ، نفس المصدر والصقحة .

(٢٦) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٠ .
(٢٧) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٥ ، ٢١٢ .
(١٣ م — زناتة والخلافة الفاطمية)

والبعية منهم على مذهب اهل السنة ، وتؤدد عدائها للخلافة الفاطمية التي اعمدت على مبادئ ابرائيس ، وسندتهم في النيسل من زناته ، فاننا لا نجد نساخين وامييه عن حياته الاولى ، اذ لم نوجد ترجمه له في كتب الطبقات ، لان المصادر السنيه والتشييعيه تعتبره خارجا على اسطه الشرعيه ، كما نعتبره المصادر الاباضييه منتسقا على مذهبهم . الا انه توجد تدرجات قليه عن حياته الاولى في كتب المؤرخين .

فلم يختلف المؤرخون على ان ابا يزيد من قبيلة زناته (٢٨) ، ولعنهم اختلفوا حول البطن الزناتى التى ينتمى اليها ، فيذكر المؤرخ الدرجينى ان ابا يزيد من بنى واسين الزناتيين (٢٩) ، ويذكر المورح ابن حماد انه من بنى جعفر من زناته (٣٠) ، ويذكر ابن حوقل انه من سباطه (٣١) ، ولعله يقصد بذلك البلد الذى نشأ وعاش فيه أو الذى أعلن ثورته منه ، اذ ان سباطه اسم لموضع (٣٢) ، وليس اسما لاحد البطون الزناتية ، أما غالبية المؤرخين فيذكرون ان ابا يزيد من بنى يفرن الزناتيين (٣٣) ، وحدد ابن خلدون اسم البطن اليفرنى التى ينتمى اليها أبو يزيد ، وهم بنى واركو (٣٤) .

وقد أحاط الغموض حياة أبى يزيد الأولى (٣٥) ، وما أمدتنا به المصادر فهو قليل عن حياته قبل قيامه بحركته الكبرى على الخلافة

-
- (٢٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ص ٨ ، ص ١٥٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ص ٢١٦ ، أبو الفدا ، المختصر ، ص ٢ ، ص ٩٢ ، المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلاميه ، ص ٢٥٢ .
(٢٩) طبقات ، ١ ورقة ٤٣ ، ومضارب بنى واسين في بلاد قسطنطينية من افريقية ، وفي المغرب الأقصى أيضا ، انظر ، قبله .
(٣٠) أخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ، ولم يذكر هو أو غيره مضاربهم .
(٣١) صورة ، ص ٩٤ .
(٣٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ص ١١٩ .
(٣٣) ابن الأبار ، الحلة ، ص ٢٦٠ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦١ ، ابن عذارى ، البيان ، ص ٢١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ص ١١ ، ابن النديم ، فهرست ، ص ٢٦٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ .
(٣٤) العبر ، ص ٧ ، ص ١٣ .
(٣٥) انظر ، Lè Tourneau, La Revolté d'Abou-Yazid, P. 104

الفاطمية ، التي سنطلق عليها منذ الآن « ثورة » وهي نفس الكلمة التي استخدمها المؤرخون ، فذكروا لنا أن والده كيداد كان يعيش بمدينة توزر (٣٦) قاعدة بلاد الجريد (٣٧) ، وكان يعمل بالتجارة مع بلاد السودان (٣٨) ، فتزوج من جارية سوداء (٣٩) تدعى سبيكة (٤٠) أو سيكة (٤١) ، فأنجبت له أبا يزيد بكرها (٤٢) من بلاد السودان حوالي سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م (٤٣) ، وأتى به أبوه الى مدينة توزر حيث نشأ بها وتعلم القرآن (٤٤) ، وأخذ العلم عن مشايخها ، وقرأ مذهب الاباضية من الخوارج ، ففقه فيه ، ومهر في الجدل عليه (٤٥) ، ورأس فيه وفي الفتيا (٤٦) ، ثم رحل الى سجلماسة حيث درس على ابن الجمع شيخ

(٣٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٨ ، المقرئ ، اتعاط ، ص ١٠٩ .

(٣٧) العمري ، مسالك الأبصار ، ٥ ورقة ١١٦ ، وتنقسم بلاد الجريد الى قسمين رئيسيين هما : قسطنطينية وهي عبارة عن توزر وأعمالها ، والزاب ويعنى بسمكرة وأعمالها ، (المراكشي ، المعجب ، ص ٣٥٥) .

(٣٨) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ١٣ .

(٣٩) أبو الفد ١ ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، الاندلسي ، الطل السندسية ، ١ ص ٩٠٠ ، الا أن ابن الأثير والمقرئ يذكران أن أمه من قبيلة هواره ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، اتعاط ، ص ١٠٩) .

(٤٠) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٨ ، انظر ، بونار ، المغرب العربي ، ص ١٧٣ .

Ency. of Isl. (Art Abou-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163.

(٤١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ، الزاوي ، تاريخ الفتح العربي ، ص ١٦٨ .

(٤٢) لم يشر الى موضعها أحد المصادر التاريخية أو المعاجم الجغرافية التي اطلعنا عليها .

(٤٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, p. 163.

(٤٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ .
(٤٥) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٨ .

(٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ ، انظر ، Cherbonneau, Documents, P. 473 والاباضية إحدى فرق الخوارج ، ونسبت الى عبد الله بن أباض ، (البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٨٢ - ٨٣ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٤٢) .

الاباضية هناك لمدة عامين (٤٧) ، وخالف النكارية (٤٨) ، وقرأ على الفقيه أبي عمار الأعمى النكاري ، وتلقن عنه مذهبه (٤٩) ، ثم رحل إلى مشيختهم — كما يذكر المؤرخون — في تاهرت ، وأخذ عن الفقيه أبي عبيدة أحد شيوخهم في الوقت الذي كان فيه عبيد الله الإمام الاسماعيلي في سجلماسة (٥٠) ، وتتفق المصادر المغربية صامتا عن سبب تحول أبي يزيد من الاباضية الوهبية (٥١) إلى مذهب النكار فيما عدا المؤرخ الشماخي الذي يسوق لنا قصة هذا التحول ، فيذكر أن أبا يزيد كان على مذهب الاباضية الوهبية ، وخرج يوما مع أبي الربيع سليمان ابن زرقون النفوسي الذي كان من علماء الاباضية الوهبية فقضيا ليلة عند بعض أهل الدعوة من الوهبية ، فلم يحسنوا ضيافتهما ، ثم مروا ببعض النكار ، فأحسنوا انزالهما ، فتحول أبو يزيد من الوهبية إلى النكارية حبا في الدنيا (٥٢) . وهذه القصة تبين لنا مدى تحيز مؤرخي الاباضية لمذهبهم وعلمائهم ، وإن لم يكن لدينا سواها . والخلاصة ، أن أبا يزيد كان عالما شهيرا من زناة (٥٣) ، بل من مشاهير حملة العلم في البربر (٥٤) ، دان بالمذهب الاباضي (٥٥) ، ولم يكن سنيا

-
- (٤٧) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٩ .
 (٤٨) والنكارية فرقة انشقت عن الاباضية ، وهم الذين انضموا إلى يزيد ابن فند بن ، وانكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فسموا نكارا ، (الشماخي ، السير ، ص ١٤٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٣ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٧ وما بعدها) .
 (٤٩) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ .
 (٥٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ .
 (٥١) والاباضية الوهبية هم الاباضية الذين ظلوا على ولائهم لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين انشق عليه يزيد بن فندي ومن تبعه من النكار ، فنسبوا إليه ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٨) .
 (٥٢) السير ، ص ٢٧٦ — ٢٨٠ .
 (٥٣) انظر ، الحجى ، محقق ، للمتبس ، ص ٣٥ هامش .
 (٥٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ .
 (٥٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٢ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ .

كما ذكر البعض (٥٦) ، أو من الخوارج الصفرية (٥٧) كما ذهب ابن خلدون وغيره (٥٨) ، كما لم يكن من الخوارج الأزارقة أو الحرورية كما ذكر بعض المؤرخين (٥٩) .

ظل أبو يزيد في تاهرت حتى خرج أبو عبد الله الشيعي من القيروان إلى سجلماسة ليحضر الإمام الإسماعيلي عبيد الله من أيدي بني مدرلو أمراء سجلماسة ، وانتقل إلى تقيوس (٦٠) ، وهي من بلاد قسطنطينية (٦١) الواقعة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب من أعمال الجريد (٦٢) ، وكان أبو يزيد على حال من الفقر والخصاصة ، إذ لم يترك له أبوه مالا ، فكان أهل البلد من زناة يصلونه بفضل أموالهم ، وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذهب النكارية (٦٣) ، كما كان يتردد بين تور

(٥٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ٢٣ - ٢٤ ، النصولي ، الدولة الأمرية ، ١ ص ١١٧ .

(٥٧) والخوارج الصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر ، (البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٧٠) ، أو نسبة إلى عبد الله بن الصغار ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٧) .

(٥٨) العبر ، ٤ ص ٤٠ ، ٦ ص ١٠٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ . انظر ، رزق الله منقرجوس ، دول الإسلام ، ١٠ ص ٣٤٢ ، محمد بن ثاويث ، محقق ، التعريف ، ص ١٦٤ هامش ٦ .

Gantier, Op. Cit., P. 382; Fournel, Op. Cit., P. 225

(٥٩) الجوزي ، سيرة ، ص ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥ ، كتاب زهر الممانى ، ص ٧٨ ، والأزارقة هم فرقة من الخوارج من أتباع نافع بن الأزرق ، وكانت من أكثر فرق الخوارج عددا ، وأشدهم شوكة ، (البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ - ٦٦) .

(٦٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٠ ، وعن تقيوس ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٩٩ ، وتقيوس عبارة عن قرية من متقاربة عليها أسوار يكاد يكلم بعضها بعضاً لتقاربها ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٦) .

(٦١) مجهول ، الاستبصار ، ١٥٦ .

(٦٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ ، ٧ ص ٨٨ .

(٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٨ ، إلا أن ابن الأثير يذكر أن أبا يزيد اشترى ضيعة وأقام بها بعد انتقاله إلى تقيوس ، (الكامل ٨ ص ١٥٠) ، وذلك يتنافى مع ما كان عليه أبو يزيد من التقشف ولبس الخشن والصوف .

وتقيوس لاثارة أهلها بالجانب الدينى على ولاية الفاطميين (٦٤) ، اذ كانت المسافة بين البلدين نحو من عشرين ميلا (٦٥) . وبدأ أبو يزيد يحتسب على الناس ، وعلى جباة الأموال في كثير من أعمالهم سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م (٦٦) ، ودأب على اثارة أهل تقيوس على عاملها حتى ثاروا عليه ، ثم أمرهم بقتله فقتلوه ، فأهدر والى قسطنطينية دمه (٦٧) ، ففرغ أبو يزيد لذلك ، وخرج الى الحج ناجيا بنفسه في نفس السنة (٦٨) ، وفي طريق عودته من الحج ، وحين وصل الى جبل نفوسة معقل اباضية المغرب ، أرسل اليهم يدعوهم الى الثورة على الفاطميين (٦٩) ، ولكنهم لم يسمعوا له ، فعاد الى تقيوس ، الا أن كتب عبيد الله المهدي وصلت الى والى تقيوس يأمره بالقبض على أبي يزيد ، مما اضطره الى الاختفاء حتى مات المهدي (٧٠) .

وبعد أن تولى القائم بأمر الله الفاطمي عرش الخلافة سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، عاد أبو يزيد سيرته الاولى ، وأخذ في اثارة أهل توزر على الخليفة القائم بأمر الله (٧١) ، فظهر أمره من جديد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٧٢) ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله الى والى قسطنطينية في البحث عنه والقبض عليه (٧٣) ، مما اضطر أبو يزيد الى الاختفاء ثانية ، ولكن سمى به عند الوالى ، فتمكن من القبض عليه (٧٤) ، وأودعه سجن

(٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ،

Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84.

(٦٥) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٧٧ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٠ .

(٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ .

(٦٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، الا أن ابن خلدون يذكر أن انا

يزيد خرج الى الحج سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، (العبر ، ٧ ص ١٣) .

(٦٩) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٣ .

(٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٧١) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٨ - ١٩ .

(٧٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٥ .

(٧٣) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ .

(٧٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ .

توزر (٧٥) ، فأقبل فرسان زناتة من أنصاره وبما له معهم من العصبية ، وطلبوا من الوالى اطلاق سراحه ، وعندما أراد الوالى مراوغتهم عمدوا الى السجن ، وقتلوا الحرس ، وأخرجوا أبا يزيد عنوة (٧٦) ، وهرب أبو يزيد الى قبيلة واركلا الزناتية ، وأقام في حمايتهم لمدة سنة كان يتردد خلالها على بنى برزال الزناتيين ، وبنى زنداك أحد بطون مغراوة الزناتية ، يدعوهم الى مذهبه والثورة على الفاطميين حتى أجابوه ، ثم انتقل الى جبل أوراس ، فاجتمعت اليه القرابة من أهل عصبية وهم بطون زناتة الضاربة في تلك النواحي ، وبايعوه على قتال الفاطميين سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ (٧٧) .

(٧٥) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، الا أن ابن حماد يذكر أن مقدم توزر استدعى أبا يزيد بعد أن اتصل به أنه يثير أهل البلد على الخليفة النائم بأمر الله ، وأن ما استجاب له نحو ثلاثمائة رجل ، وتهده ، فانكسر أبو يزيد مارمى به وتبرا منه فظلى عنه ، وخاف اصحابه الذين أجابوه ، فنفروا عنه ، وهجروا مجلسه وتركوا الحضور فيه ومعه ، فخرج أبو يزيد من بلاد قسطنطينية كلها وسار الى جبل أوراس ، (أخبار بنى عبید ، ص ١٩) . وما ذكره ابن حماد فيه الكثير من التحنى على أبى يزيد ، وواضح فيه تعصبه للفاطميين ، وخالف فيه غيره من المؤرخين ، ولا غرو فان ابن حماد شيعى اسماعيلى ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٣) .

(٧٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٣ ، ويذكر الدرجيني تفاصيل كثيرة عن ما فعله فرسان زناتة لاطلاق سراح أبى يزيد من سجن توزر ، وهى الى الأسطورة أقرب ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤) .

(٧٧) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٣ ، الا أن أحد المستشرقين يذكر أن أبا يزيد عمل على اقناع أهل جبل أوراس أنه نبي مرسل من عند الله ، (انظر ، Osborn, Op. Cit., P. 236 ، وهذا تجن واضح ، ولم يحدد لنا المصدر

الذى اعتمد عليه في هذا التجنى ، أما بروكلمان فيذكر أن أبا يزيد كان يظهر بين الناس راكباً جماره على طريقة الأنبياء القدماء ، (انظر ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٥٢) ، أما الزاوى فيذكر أن أبا يزيد ادعى أنه ابن المهدي ، وأنه أعلن ثورته من طرابلس ، (انظر ، تاريخ الفتوح العربى ، ص ٦٩) ، ويبدو أن الزاوى قد خلط بين أبى يزيد مخلص الزناتى وبين ابن طالوت القرشى الذى ثار في طرابلس سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، بعد وفاة المهدي الفاطمى ، وزعم أنه ابن المهدي ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٩٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٩ ، بيجرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٤٩) ، كما أن البعض يذكر تواريخاً أخرى لخروج أبى يزيد على الفاطميين ، فيذكر المقرئى أن خروج أبى يزيد على الفاطميين كان سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ، (اتعاض ، ص ١٠٩) ويذكر الحجى

ويذكر الدرجيني أن جيوش الخلافة الفاطمية حاصرت أبا يزيد بجبل أوراس سبع سنوات قبل اعلان ثورته على الفاطميين (٧٨) . وذلك يعني أن أبا يزيد كان محاصرا في جبل أوراس منذ أطلق فرسان زناتة سراحه عنوة من سجن توزر سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، حتى اعلان ثورته سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م . وهذا احتمال ليس ببعيد عن الحقيقة ، إذ أن هذه المنطقة صعبة المسالك ولم يكن من السهل اقتحامها ، وكانت خروجه على طاعة الفاطميين حتى ذلك الوقت ، لأن أول من أخضعها لطاعة الفاطميين الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٧٩) .

وقد اختلف المؤرخون حول الاتجاه المذهبي للثورة ، فقليل انهما سنية (٨٠) ، أو أنهارد فعل للاباضية في مواجهة الشيعة الاسماعيلية (٨١) ، إذ كان أبو يزيد اباضيا . إلا أن غالبية المؤرخين لتفقوا على أن هذه الثورة

== ومحمد بن تاووت أن أبا يزيد خرج على الفاطميين سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، (محقق ، المقتبس ، ص ٣٥ هامش ، محقق ، التعريف ، ص ١٦٤ هامش ٦) ، وكلا من التاريخين لا تؤيده الحواشي ، إذا كان المقصود هو اعلان الثورة على الفاطميين ، كما لم تشر اليهما المصادر الأخرى .

(٧٨) طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، ويذكر الدرجيني تفاصيل كثيرة عن حيل أبي يزيد الزناتى لفك الحصار ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤ وما بعدها) .
(٧٩) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، المقرئ ، اتعاظ ، ص ١٣٤ ، انظر ، حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٣ .

(٨٠) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ٨ م ، يذكر الفصولي أن أبا يزيد كان سنيا يدعو إلى مذهب مالك ، (انظر ، الدولة الأموية ، ١ ص ١١٧) ، ومن المعروف أن أبا يزيد كان من الخوارج الاباضية ، ولم يكن سنيا .

(٨١) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٧ ، إلا أن غالبية المؤرخين لم يذكروا قبائل نفوسة - وهي أكبر معقل الاباضية في افريقية والمغرب - ضمن القبائل التي شاركت في الثورة ، إلا بعد أن استولى أبو يزيد على معظم مدن افريقية وضرب الحصار حول المهديّة ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، المقرئ ، اتعاظ ، ص ١٢٤) ، رغم أن أبا يزيد أرسل اليهم يحرضهم على الثورة ضد الفاطميين قبل أن يعقلها حربا عليهم بسنوات ، (الدرجيني ، طبقات ، ورقة ٤٣) .

قامت على اكتاف قبيلة زناتة التي كانت عصب الثورة (٨٢) ، وان كانت هذه الثورة في ظاهرها حربا بين الخوارج والشيعة ، فانها في حقيقتها صراع بين أهل البداوة من البتر وعلى رأسهم زناتة ، وبين أهل الزراعة والاستقرار من البرانس ومنهم كتامة وصنهاجة (٨٣) ، ولذا كانت ثورة أبي يزيد سببا في التفاف كتامة البرنسية من جديد حول الفاطميين بسبب العداء بين قبيلة كتامة وقبيلة زناتة (٨٤) ، التي اعتمد عليها أبو يزيد في ثورته (٨٥) ، وسببا في انضمام قبيلة صنهاجة البرنسية الى جانب الفاطميين ، لأن أبا يزيد كان زناتيا ، وتأييده قبيلة زناتة المنافسة لها (٨٦) ، بالرغم من أن قبيلة صنهاجة لم تكن من القبائل التي أخذت بالدعوة الاسماعيلية وقت قيام الخلافة الفاطمية بأرض المغرب (٨٧) .

ومما يؤكد أن قبيلة زناتة كانت عصب ثورة أبي يزيد ، أن الذين أشعلوها هم بنو واركوا احد بطون بني يفرن الزناتيين الضاربين في جبل أوراس ، وهم للبطن الزناتى التى يقتضى اليها أبو يزيد (٨٨) ، ثم انضم اليه العديد من بطون زناتة رغم اختلاف مذاهبهم ، فانضم اليه بنو زنداك

(٨٢) انظر ،

Terrasse, Op. Cit., P. 185; O'leary, Op. Cit., P. 89; Vatikiotis, Op. Cit., P. 137.

(٨٣) انظر ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٣ ، السيد عبد العزيز

Julien, Op. Cit., P. 63

مسالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٢٧ ،

Vatikiotis, Op. Cit., PP. 135 — 136

(٨٤) انظر ،

(٨٥) انظر ، ملجود ، ظهور ، ص ٩٩ ، العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس

ص ٢٠٥ .

(٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص

٣٦٢ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ ، ٢٤١ ، العبادى ، سياسة الفاطميين ،

ص ٢٠٢ ، في التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٢٣٣ ، السيد عبد العزيز مسالم ،

المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٢٧ .

(٨٧) اليماني ، سيرة جعفر ، ص ١٢٦ ، كما أن بطون صنهاجة الضارب

حول مدينة تكور بالمغرب دخلت دعوة الشيعة مرغمة سنة ٣٠٥ هـ ، (البكرى ،

للمغرب ، ص ٩٢ - ٩٧ ، ابن عذارى البيان ، ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٨٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٦٢ ، ٢٤ ، انظر ، تومز ، تاريخ المغرب

الكبير ، ٣ ص ٤٦٠ .

أحد بطون مغراوة الزناتية (٨٩) ، وبنو خزر أقوى بطون مغراوة وأمرائها ، وكان أميرهم محمد بن خزر الزناتى من أعيان أصحاب أبى يزيد (٩٠) ، رغم أن أفراد مغراوة الزناتية كانوا على مذهب أهل السنة (٩١) ، ورغم القطيعة التى كانت بين زناتة المغرب الأوسط ، وزناتة افريقية بعد أن تخلى أبو قرة اليفرنى — زعيم زناتة المغرب الأوسط ، وأمير تلمسان فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى (٩٢) — عن زناتة افريقية فى حصار مدينة طبنة (٩٣) ، كما انضم إلى أبى يزيد بنو برزال الزناتيون (٩٤) وغيرهم من البطون الزناتية (٩٥) ، ووقفوا إلى جانبه حتى بعد أن تخلى عنه الكثير من أهل مذهبه مثل هواره وبنى كملان (٩٦) ، وقد عبر ابن خلدون فى اختصار عن انضمام بطون زناتة إلى أبى يزيد قبل اعلان ثورته بقوله « واجتمع إليه القرابة » (٩٧) . وخلاصة القول ، أن بطون زناتة انضمت إلى أبى يزيد على اختلاف مذاهبها بدافع العصبية ، لأن العصبية التى تقوم أساسا على رابطة النسب والنسب والنسب على ذوى القربى (٩٨) ، يكون لها الغلبة على المذهب الدينى (٩٩) ، ولذلك

(٨٩) نفسه ، ص ٥٧ .

(٩٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ .

(٩١) ابن حزم ، جمهرة ، ٤٩٨ .

(٩٢) انظر ، قبله .

Gautier, Op. Cit., P. 389.

(٩٣) انظر ،

(٩٤) ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص ٢٧ ، ابن حيان ، المقتبس ،

ص ١٩٢ ، ابن خلدون العبر ، ٧ ص ٥٣ .

(٩٥) ومن هذه البطون الزناتية : مرنجيسة ، واركلا ، واغمرت ، (ابن

خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٣ ، ١٣ ، ٥١ ، ٥٠) .

(٩٦) المقرئى ، اتعاض ، ص ١٢٤ .

(٩٧) العبر ، ٧ ص ١٣ .

(٩٨) انظر ، الجابري ، العصبية والدولة ، ص ٢٥٧ .

(٩٩) انظر ، النص ، العصبية ، ص ٣٥٤ ، ومما يؤكد أن العصبية لها

الغلبة على المذهب الدينى أن زناتة افريقية تخلوا عن أبى الخطاب عبد الأعلى

ابن السمح المعافرى ومن معه من هواره فى حربه مع ابن الأشعث القائد العباسى ،

بسبب قتيل من زناتة اذهموا فيه جند هواره ، رغم أن زناتة افريقية وهواره

كان كلاهما خوارج اباضية فى مواجهة الجيش العباسى السنى ، (ابن الأثير ،

الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢) .

عاضدت بطون زناتة أبا يزيد معاضدة قوية (١٠٠) ، فبلغ الخطر الزناتى على الفاطميين أقصاه فى هذه الثورة (١٠١) ، التى اتخذت من المذهب الدينى ستاراً لها (١٠٢) ، وربما كان انضمام بطون زناتة الى أبى يزيد بسبب كراهيتهم للفاطميين (١٠٣) ، وللانتقام من البرانس الذين انضموا الى الفاطميين ، واستطالوا بهم على قبيلة زناتة (١٠٤) .

ومما يزيدنا تأكيداً بأن فرسان زناتة كانوا عصب ثورة أبى يزيد ، أن أبا يزيد وصف بسوء السلوك وأبشع الصفات (١٠٥) ، ورغم ذلك لم يقتله أتباعه مثلما حدث من قبل مع ميسرة المطغرى الذى قىاد ثورة البربر فى أول أمرها سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (١٠٦) ، وعيسى بن يزيد الأسود الذى أسس مدينة سجلماسة ودولة الخوارج الصفرية سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م (١٠٧) ، ولكن أتباع أبى يزيد وقفوا الى جانبه ودافعوا عنه حتى نهاية ثورته (١٠٨) ، وذلك لأنهم من عصبيته ، ومن كانت له عصبية تسائده ، فإنها تمنعه اذا أخطأ (١٠٩) .

(١٠٠) انظر ، بونار ، المغرب ، ص ٢٢٠ .

(١٠١) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ .

(١٠٢) انظر ، Ency. of Isl. (Art Tunisia), led, t'4, P. 850.

(١٠٣) انظر ، Ency. of Isl. (Art Berbers), 2ed, V. 1, P. 1175.

(١٠٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٣ .

(١٠٥) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٠ ، مجهول ، الاستبصار ،

ص ٢٠٥ ، كتاب زهر المعاني ، ص ٧٩ .

(١٠٦) انظر ، قبله .

(١٠٧) انظر ، محمد بن تاويت ، نشأة دول الخوارج ، ص ٢٧٢ ،

محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٧ - ٨٨ ، وعن الخوارج الصفرية ، (انظر ،

قبله) ، وقد انتشر المذهب الصفرى فى بلاد المغرب فى القرن الثانى الهجرى

وأخذت به قبائل زناتة ومكناسة ومطفرة ، وشاركوا فى ثورة البربر أول

أمرها ، ثم انسحبت قبيلتنا مكناسة ومطفرة فى أول الثورة بسبب زمانيتها ،

واقاموا دولة الخوارج الصفرية - ، هى دولة بنى مدرار نسبة الى حكامها - فى

سجلماسة ، (انظر ، قبله ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٢ وما بعدها) .

(١٠٨) انظر ، بعده .

(١٠٩) الشماخى ، السيرة ، ص ١٤٠ .

وقد حاول بعض المؤرخين تفسير ثورة أبي يزيد على أنها تعبير عن نزعة الاستقلال عند البربر (١١٠) ، أو أنها ذات صفة قومية ضد السيادة الفاطمية (١١١) ، فان كان ذلك حقيقة ، فمما لا شك فيه أن أصحاب هذه النزعة أو الصفة هم قبائل البتر ، وبخاصة زناتة بعد أن خضعت قبائل البرانس للدولة الفاطمية ، وايدوها ودامعوا عنها ، ونالوا بها الملك والسيادة . وان صور أحد المستشرقين ثورة أبي يزيد على أنها جزء من الصراع بين الفاطميين بالمغرب والامويين بالأندلس (١١٢) فلم يبعد كثيراً عن أن زناتة كانت عصب هذه الثورة — أي زناتية الثورة — لأن الصراع بين الأمويين والفاطميين في المغرب لم يكن صراعاً مباشراً ، إذ لم تلتق قواتهما وجها لوجه على أرض المغرب ، وإنما استمال عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس زعماء زناتة (١١٣) ، التي أصبحت رأس حربته للأمويين في صراعهم مع الفاطميين (١١٤) . وبذلك يمكننا القول ، أن ثورة أبي يزيد كانت زناتية قادة وجنوداً ، وقامت تعبيراً عن رغبة زناتة في الاستقلال بالمغرب ، ومؤكدة عدائها للفاطميين الذين اختلفوا عن زناتة في المذهب الديني ، وعملوا على القضاء على استقلالها ، وساندوا البرانس على الاستطالة على بطونهما والنيل منهم .

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض القبائل البربرية انضمت إلى أبي يزيد في ثورته على الفاطميين ، وذلك بسبب الموقف المذهبي والسياسة المالية للخليفة القائم بأمر الله (١١٥) ، ولكن انضمام هؤلاء إلى أبي يزيد كان بعد أن حقق الكثير من الانتصارات على الفاطميين ، واستولى على معظم مدن إفريقية ، وخرج إلى حصار المهديّة عاصمة الفاطميين ، ولعل

Bel, La Religion Musulmane, P. 150

(١١٠) انظر .

(١١١) انظر ، للمبادئ ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٢٢٣ ،

سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٢ .

(١١٢) انظر .

Brunschvig, La Tunisie dans Le haut moyen age, P. 17

(١١٣) مجهول ، نبذ ، ص ٤ .

(١١٤) انظر ، The Cambridge History of Islam, Vol. 2, P. 219.

(١١٥) انظر ، قبله .

هذا ما يعنيه ابن خلدون بقوله « وانغمست أيدي البربر في الفتنة » (١١٦). وما لبث أن انفض هؤلاء عن أبي يزيد عند ما بدأت الهزائم تلاحقه ، فما أن فشل في الاستيلاء على المهدية حتى تخلى عنه أهل السنة ، والقبائل البربرية التي جاءت طمعا في الغنائم (١١٧) ، ثم تخلى عنه من هم على مذهبه ، وليسوا من عصبية ، مثل بنى كمالان (١١٨) ، وهواره (١١٩) ، أما قبائل زناتة الأوراس ، وهم عصبية القرية ، فقد ظلوا الى جانبه يحاربون معه حتى قبض عليه جريحا وقضى على ثورته (١٢٠) ، وكذلك بنو برزال الزناتيون الذين كانوا على مذهبه (١٢١) ، ثم انضموا الى ابنه فضل حينما أراد مواصلة الثورة على الفاطميين (١٢٢) وعلى كل حال ، فقد أعلن أبو يزيد ثورته على الفاطميين سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م ، واستمرت نحو من خمس سنين ، وكادت أن تقوض أركان الخلافة الفاطمية بالمغرب .

ونحن اذا تتبعنا ثورة أبي يزيد ، فانه يمكن أن نقسمها الى ثلاثة مراحل ، لكل منها سمة تميزها عن غيرها ، اذ بدأت وليدا نما واشتد عوده ، ولتلف حوله الأنصار والناقمين على الخلافة الفاطمية ، فانترع معظم مدن افريقية من سلطان الفاطميين ، ثم يأتي دور جديد يتسم بصمود الفاطميين في آخر معقلهم ، فكان التعادل بين الفريقين ، والحرب سجال ، ثم يتفرق الأتباع ، وتبدأ حركة الاسترداد من جانب الفاطميين ، وتكون الهزائم ، فيتخلى الأنصار ، وتتلاحق الهزائم ، ويفقد ما استولى عليه

(١١٦) العبر ، ٧ ص ١٤ .

(١١٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ،

ص ٦٠ .

(١١٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(١١٩) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، انظر ، محمود اسماعيل ،

الخوارج ، ص ١٨٦ .

(١٢٠) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٦ .

(١٢١) ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص ٢٧ ، ابن حيان ، المقتبس ،

ص ١٩٢ .

(١٢٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

من مدن ، ثم في النهاية حيته . وسوف نتتبع الحديث عن هذه المراحل فيما يلي :

المرحلة الأولى :

بعد أن اجتمعت بعض بطون زناتة الى أبي يزيد الزناتي ، وأخذت له البيعة على قتال الفاطميين أعلن أنه خرج غضبا لله سنة ٣٣٩ هـ / ٩٤٣ م (١٢٣) ، ظنا منه أن الفاطميين حرقوا في الشريعة ، وخرج الى مدينة باغاية (١٢٤) سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ - ٩٤٤) م ، وعندما علم الخليفة القائم بأمر الله بمسير أبي يزيد اليها ، أرسل الى واليها جيشا من كتامة (١٢٥) ، لمعاونته في صد أبي يزيد عنها ، الا أن أبنا يزيد استطاع هزيمة الجيش الفاطمي ودخول المدينة (١٢٦) ، ثم كتب الى بني واسين الزناتيين الضاربين حول قسطليلية (١٢٧) يأمرهم بحضارها فحاصروا قسطليلية وتوزر (١٢٨) ، ثم رحل الى مدينة تبسة (١٢٩) ، ودخلها

(١٢٣) الأزدي ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويري ، نهاية ،
٢٦ ورقة ٣٦ ، انظر ، الميلي ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ١٢٢ .
(١٢٤) وهي مدينة كبيرة بأقصى أفريقية بين مجانة وقسنطينة ، ياقوت ،
معجم البلدان ، ٢ ص ٤١ .

(١٢٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ - ١٤ ، ويذكر ابن حوقل أن مدينتي
نفايضى وكمونس الصابون كانتا في غاية الجمال سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م ، فأتى
عليهما أبو يزيد (صورة ، ص ٩٢) ، مما يوحى بأن أبا يزيد أعلن ثورته قبل
سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ - ٩٤٤ م) ، التي أجمع عليها غالبية المؤرخين .
(١٢٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ .

(١٢٧) وهي كورة بأفريقية في منطقة الزاب ، ياقوت ، معجم البلدان ،
٢ ص ٤٢٨ ، ٧ ص ٨٨ .

(١٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ ، الا أن ابن خلدون يذكر في
موضعين آخرين أن بني واسين حاصروا مدينة قسنطينة بناء على أمر أبي يزيد ،
العبر ، ٤ ص ٤١ ، ٧ ص ٥٨) ، الا أن الغالبية من المؤرخين على أنها قسطليلية ،
(ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقريري ، اتعاظ ، ص ١١٠) ، وتوزر وهي
أم كورة قسطليلية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(١٢٩) وهي مدينة بأفريقية بينها وبين قنصة ست مراحل ، وبينها
وبين سطيف ست مراحل أيضا ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٦٣ .

صلحا (١٣٠) ، وهدم جزءا من سورها (١٣١) ، ومنها انطلق الى مدينة مجانة (١٣٢) ، فدخلها وهدم سورها بعد أن أمن أهلها (١٣٣) ، ثم استولى على مرماجنة (١٣٤) ، وأهدى أهلها اليه حمارا أشهب ، فكان يركبه منذ ذلك اليوم حتى اشتهر به (١٣٥) ، وعرف بصاحب الحمار (١٣٦) ، وتسمى بشيخ المؤمنين (١٣٧) ، وكان يلبس جبة من الصوف قصيرة وضيقة الكمين (١٣٨) . وفي الوقت الذي كان فيه أبو يزيد يخوض معاركه ضد الفاطميين ، كان محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتية بالمغرب الأوسط يهاجم المدن الفاطمية القريبة من أملاكه ، فاستولى على مدينة بسكرة (١٣٩) وقتل عاملها الفاطمي زيدان الخصى (١٤٠) .

واصل أبو يزيد تقدمه ، وأرسل بعضا من جيشه الى مدينة

- (١٣٠) مجهول الاستبصار ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
 (١٣١) البكري ، المغرب ، ص ١٤٥ .
 (١٣٢) وهي مدينة بافريقية بينها وبين القيروان خمس مراحل ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٨٦ .
 (١٣٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ .
 (١٣٤) وهي قرية بافريقية بينها وبين الأربس مرحلة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٩ .
 (١٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، انظر ،
 Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163.
 (١٣٦) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢ ، انظر ، Julien, Op. Ci., P. 60 .
 (١٣٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، الا ان ابن حماد يذكر أن أبا يزيد تسمى بشيخ المسلمين ، (اخبار بني عبيد ، ص ٢٠) .
 (١٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، وكان أبو يزيد أعرجا وقبيح الصورة (أبو الفدا المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، المقريزي ، اتعاظ ، ص ١١٠) .
 (١٣٩) وهي مدينة بمنطقة الزاب المتاخمة للمغرب الأوسط ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٨٢ .
 (١٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

سببية (١٤١) ، ففتحها وصلب عاملها (١٤٢) ، وسار هو على رأس بقية الجيش الى مدينة الأربس (١٤٣) ، وهي على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان (١٤٤) ، وكان بها عسكر كتامة الذين ما أن علموا بخروج أبي يزيد اليهم ، حتى تركوا المدينة وغروا عنها فدخلها أبو يزيد (١٤٥) ، وكان استيلاء أبي يزيد على مدينة الأربس سببا في فزع أهل المهدية ، لأن مدينة الأربس باب افريقية (١٤٦) ، ولذلك جهز القائم بأمر الله الفاطمي ثلاثة جيوش في وقت واحد لتستطيع الوقوف أمام زحف أبي يزيد ، فأرسل أحد هذه الجيوش بقيادة خليل بن اسحق (١٤٧) الى مدينة القيروان (١٤٨) ، وجعل على الجيش الثاني أعظم قواده وهو ميسور

(١٤١) وهي مدينة من أعمال القيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣٢ .

(١٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ .

(١٤٣) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

(١٤٤) الأندلسي ، الحلال السنخسية ، ١ ص ٥٢٦ ، ومدينة القيروان اعظم مدن افريقية ، ولشاهما عقبة بن نافع وعمرت المدينة سنة ٥٥ هـ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٣ - ١٩٥ ، انظر ،

Op. Cit. PP. 91 — 94. انظر وكلمة القيروان في اللغة تعنى معظم العسكر ، وربما اخذت عن الكلمة الفارسية كاريوان ، وتعنى جماعة من الناس أو القافلة ، (ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٥٢) .

(١٤٥) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٤ .

(١٤٦) المقرئزي ، لتعاط ، ص ١١٠ ، اذ قال أهل المهدية للخليفة القائم بأمر الله تعبيرا عن فزعهم « الأربس باب افريقية » ، ولما اخسخت زالت دولة بني الأغلب » ، (نفس المصدر والصفحة) .

(١٤٧) كان خليل بن اسحق عاملا لعبيد الله المهدي يصرفه في الأعمال وجبايات الأموال ، ومحاسبة الحوابين ، وهو الذي عذب أهل طرابلس عندما ثاروا على المهدي سنة ٢٩٩ هـ ، ثم أبغضه المهدي ، وكاد أن يقتله لولا تدخل ابنه وولى عهده أبي القاسم ، وبعد أن ولى أبو القاسم القائم أمر الخلافة ، أرسل خليل بن اسحق واليا على صقلية ، ثم ما لبث أن استدعاه الى افريقية سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م ، فكان يفخر بما ارتكب من ظلم وما قتل من الأنفس حين كان واليا على صقلية ، (ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٢ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٥) .

(١٤٨) ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٢ .

الفتى ، وعسكر هذا الجيش بالقرب من مدينة المهديّة عاصمة
الفاطميّين (١٤٩) ، أما الجيش الثالث فقد أرسله الخليفة القائم بأمر
الله بقيادة مولاة بشرى الصقلّى الى مدينة باجة (١٥٠) ، ليقف الى
جانب واليها في مواجهة أبى يزيد الذى خرج يقود جيوشه للاستيلاء عليها .
وصل بشرى بجيشه الى مدينة باجة قبل وصول أبى يزيد اليها (١٥١) ،
واستطاع أبو يزيد أن يجبر بشرى وجيشه على التراجع الى مدينة
تونس (١٥٢) ، ودخل أبو يزيد مدينة باجة (١٥٣) ، الا أن أهل
تونس ثاروا على بشرى الصقلّى ، وكتبوا الى أبى يزيد يطلبون الامان ،
فأمنهم وولى عليهم رجلا منهم يقال له رحمون (١٥٤) ، فاضطرّ بشرى
الصقلّى الى الرحيل الى مدينة سوسة (١٥٥) ، التى تبعد عن تونس
أربعين ميلا (١٥٦) ، أو ثلاثة مراحل (١٥٧) ، فأمدد الخليفة القائم
بأمر الله بالجيوش والأموال ، ليعود الى محاربة أبى يزيد من جديد ،
فأرسل اليه أبو يزيد قائده أيوب بن خيران الزويلي ، والتقى الجيشان

(١٤٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ .

(١٥٠) وهى بلد بافريقية بينها وبين تنس يومان ، ياقوت ، معجم
البلدان ، ٢ ص ٢٥ - ٢٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٠ .
(١٥١) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ،
ص ٥٨ .

(١٥٢) مدينة بافريقية على ساحل بحر الروم وبيها وبين القيروان حوالي
مائة ميل ، وبينها وبين المهدية نحو منه ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٢
- ٤٣٥ .

(١٥٣) التجاني ، رحلة ، ص ٢٤ - ٢٥ ، اماري ، المكتبة الصقلية ،
ص ٣٧٦ .

(١٥٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقرئ ، اتعاظ ، ص ١١١ ،
ويذكر القزويني أن أهل تونس موصوفون بالبخل واللؤم الشديد ، والشغب
والخروج على الولاة ، (آثار ، ص ١٧٤) .

(١٥٥) وهى مدينة صغيرة بافريقية ، تقع بين سفاقس والقيروان ، ويحيط
بها البحر من ثلاث نواح كما أن عليها سور حصين من صخر ، ياقوت ، معجم
البلدان ، ٥ ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(١٥٦) ابن بطوطة ، رحلة ، ١ ص ١٠ .

(١٥٧) المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٠ .

(م ١٤ - زفانة والخلافة الفاطمية)

بالخرب من مدينة سوسة عند قرية أهريقيلية (١٥٨) ، لهزم أيوب وقتل من جيشه أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، وأرسل بشرى الصقلي بالأسرى الى المهدية في السلاسل ، فقتلهم أهل المهدية (١٥٩) ، ثم ما لبث بشرى أن عاد بجيشه الى المهدية (١٦٠) .

خرج أبو يزيد من باجة متجها الى القيروان (١٦١) ، فاعترض طريقه جيش من كتامة ، فأجهز أبو يزيد عليه ، ودخل مدينة رقادة (١٦٢) ، وأسرع بارسال قائدة أيوب الزويلي الى القيروان ، قبل أن يصل ميسور الفتى في الجيش المرابض عند المهدية مددا لخليل بن اسحق الذي كان بالقيروان ، فافتتح أيوب الزويلي مدينة القيروان في صفر ٣٣٣ هـ / أكتوبر ٩٤٤ م (١٦٣) ، وأخذ خليل بن اسحق الى أبي يزيد فقتله (١٦٤) ، وخرج شيوخ القيروان من أهل السنة الى أبي يزيد ، وهو مازال في رقاده ، يطلبون الأمان فأمنهم (١٦٥) .

(١٥٨) التجاني ، رحلة ، ص ٢٥ ، اماري ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٧٦ ، واهر يقطيلية قرية تقع بالقرب من مدينة سوسة على سفح جبل مطل على البحر ، (التجاني ، رحلة ، ص ٢٤) .

(١٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ص ٤١ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٨ .

(١٦٠) اماري ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٧٧ .

(١٦١) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ص ١٣ .

(١٦٢) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٨ ، ١٥١ ، ويذكر ابن الأثير أن جيش أبي يزيد كان مائة ألف ، (الكامل ، ص ٨ ، ١٥١) ، أما ابن خلدون فيذكر أنهم مائتي ألف ، (العبر ، ص ٤١) ، ومائة ألف في موضع آخر ، (العبر ، ص ٧ ، ١٤) ، ومن المؤكد أن هذه الأرقام مبالغ فيها ، ورقادة كانت عاصمة الاغالبة منذ سنة ٢٦٣ ، وبينها وبين القيروان أربعة أميال ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(١٦٣) ابن عذاري ، البيان ، ص ١ ، ٢١٧ ، المقريزي ، اتعاظ ، ص ١١٢ .

(١٦٤) النعمان ، افتتاح ، ورقة ٢٠٣ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ .

(١٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٨ ، ١٥١ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٤١ .

ومما لا شك فيه أن سقوط القيروان في يد أبي يزيد كان نكبة على الخليفة القائم بأمر الله ، لذا أرسل قائده الصقلي ميسور الفتى في جيش كبير لاسترداد القيروان ، وكان بنو كملان (١٦٦) ضمن جيش ميسور الفتى ، فكاتبوا أبا يزيد في الغدر بميسور أثناء المعركة ، إلا أن القائم بأمر الله عرف ما يضمرون ، فكتب إلى قائده ميسور بطرد بني كملان من الجيش قبل معركته مع أبي يزيد ، فانضم بنو كملان إلى أبي يزيد ، وحثوه على سرعة الخروج للقاء ميسور (١٦٧) ، وتقدم ميسور صوب القيروان ، فخرج إليه أبو يزيد في جيشه ، والتقى الجمعان في موضع بين المهديّة والقيروان (١٦٨) ، يقال له الاخوان (١٦٩) ، فقتل ميسور ، وأنهزم الجيش الفاطمي في ربيع الأول سنة ٣٣٣ هـ / نوفمبر ٩٤٤ م (١٧٠) ، وكتب أبو يزيد بالبشرى إلى البلاد ، وطيف برأس ميسور في مدينة القيروان (١٧١) .

عاد أبو يزيد إلى مدينة القيروان ، وخير أهلها فيمن يختاروه لتطبيق الأحكام الشرعية ، فاتفق أهل القيروان على أحمد بن أبي الوليد ، الذي كان يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان ، وذلك لدينه وفضله (١٧٢) ، وخرج وفد من علماء القيروان برئاسة تميم ابن المحدث المشهور أبي العرب التميمي (١٧٣) إلى الناصر الأموي خليفة

-
- (١٦٦) وبنو كملان أحد بطون قبيلة هواره البربرية ، انظر ، قبله .
 - (١٦٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ .
 - (١٦٨) النعمان ، افتتاح ، ورقة ٢٠٣ .
 - (١٦٩) البكري ، المغرب ، ص ٢١ .
 - (١٧٠) نفس المصدر والصحة ، وفي هزيمة ميسور في هذه الموقعة يقول الشاعر :

هذا وكم من وقعة مشهورة ابنيتها مثلا لكل ممثل
بثنية الاخوان يوم تركتهم متوسدين وسايدا من جنـدل

- (١٧١) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٢ .
- (١٧٢) الحباغ ، معالم ، ٣ ص ٧٥ .

(١٧٣) وأبو العرب هو محمد بن أحمد بن تميم مؤلف كتاب طبقات رجال افريقية ، (الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ٢٣٦ - ٢٢٧ ، العجمي ، جوة ، ص ١٧١) ، وكان من فقهاء القيروان الذين خطبوا للناس وحثوهم على =

الأندلس في شوال سنة ٣٣٣ هـ / يونيه ٩٤٥ م ، ليخبروه بتغلب أبي يزيد على القيروان ورقادة وما جاورهما (١٧٤) ، ويطلبون منه العون والمساعدة على أن يدعوا أبو يزيد له على المنابر ويعترف بولايته (١٧٥) ، وقد رجع الوفد من عند الناصر الأموي بالقبول والوعد ، وإن لم تسفر هذه الاتصالات عن نتائج ايجابية (١٧٦) ، وخرج فقهاء القيروان يخطبون الناس ويحثونهم على قتال الفاطميين والانضمام الى أبي يزيد (١٧٧) ، الذي مدحه شاعر القيروان محمد بن

الانضمام الى أبي يزيد ومحاربة القائم الفاطمي ، وخرج مع أهل القيروان الذين انضموا الى أبي يزيد في حصار المهديّة ، فأسروا وقتلوا في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٣٣ هـ / السابع من يولييه سنة ٩٤٥ م ، (بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٢ ص ٧٩) .

(١٧٤) ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، انظر ، حسن ابراهيم ، المعز لدين الله ، ٣٦ ، Provincial, La Política, P. 372

الا أن د . العبادي يعتقد أنهما سفارتان ذهبت احدهما الى الأندلس سنة ٣٣٣ هـ ، والاخرى سنة ٣٣٤ هـ برئاسة تميم بن أبي العرب ، (انظر ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٤) ، وقول ابن عذاري في ذلك أن سفارة أبي يزيد الى الناصر وصلت في شوال سنة ٣٣٣ هـ ، وفي سنة ٣٣٤ هـ جلس الناصر لوداع رسل أهل القيروان وفيهم تميم بن أبي العرب ، (البيان ، ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩) ، فاذا أخذنا في الاعتبار أن سفارة أبي يزيد وصلت في شوال وهو في أواخر سنة ٣٣٣ هـ ، وإن ابن عذاري ذكر أن وداع الناصر لسفارة أبي يزيد في أول أحداث سنة ٣٣٤ هـ ، يتضح لنا أنها سفارة واحدة وليست سفارتين .

(١٧٥) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٤ ،

Provincial, Histoire, Vol. 2, P. 103

(١٧٦) انظر ،

Julien, Op. Cit., P. 61; Fournel, Op. Cit., P. 338;

Brunschwig, Op. Cit., P. 17.

، الا أن د . حسن ابراهيم يذكر أن الناصر الأموي أمد أبا يزيد بالجيش ، (المعز لدين الله ، ص ٣٦) .

(١٧٧) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، الدباغ ، معالم ، ٣ ص ٤٤ -

٤٥ ، ٧٥ ، انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيّات ، ص ٧٨ - ٨٠ ، على الشاذلي ،

نعيم اليافى ، محققا ، طبقات علماء أفريقية ، ص ١٩ - ٢٠ ،

Idris, Op. Cit., PP. 81 — 82.

عبد الله الفزاري (١٧٨) ، مما يدحض قول بعض المؤرخين ، بأن أبا يزيد أباح القيروان لجنوده ينهبون ويقتلون ، وماطل علماء القيروان في اعطائهم الأمان (١٧٩) ، وربما كان انضمام أهل القيروان وعلمائها الى أبي يزيد بسبب ما فعله القائم بأمر الله الفاطمي من تعذيب علماء أهل السنة وقتلهم (١٨٠) ، وما بدله فقهاء الشيعة في الشرائع (١٨١) ، وافتاء علماء أهل السنة بأن الشيعة زنادقة وكفرة ، وأن جهادهم أفضل من جهاد أهل الشرك (١٨٢) .

استقرت الأمور لأبي يزيد في القيروان ، فقام بسك عملة خاصة به في نفس السنة التي استولى فيها على القيروان (١٨٣) ، كما عمل الأخبية والبنود ، فكان له سبعة بنود كتب عليها الآيات القرآنية (١٨٤) ، وعمل على إخضاع المدن التي حول القيروان قبل خروجه لحصار المهدية عاصمة الفاطميين ، فأرسل قواته الى كل ناحية لهذا الغرض ، وافتتح مدينة سوسة بالقوة بعد أن استعصت عليه .

(١٧٨) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٢ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٢ ص ١٠٤ .
 (١٧٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤١ .
 (١٨٠) السيوطي ، تاريخ ، ص ٣٩٨ .
 (١٨١) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٥ .
 (١٨٢) الدباغ ، معالم ، ٢ ص ١٨٥ ، انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٩٧ .

(١٨٣) والعملة التي ضربها أبو يزيد عبارة عن دينار ، (انظر ، حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية ، ١ ص ٤٤٠) .
 (١٨٤) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، وهذه البنود : بندان أصفران مكتوب في أحدهما ، « البسملة ، ومحمد رسول الله » وفي الآخر ، « نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد ، اللهم ابصر وليك على من سب أوليائك » ، وبند آخر مكتوب عليه ، « قاتلوا أئمة الكفر ٠٠ الآية » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « البسملة ، ومحمد رسول الله وأبو بكر الصديق وعمر الفاروق » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « لا اله الا الله محمد رسول الله ان تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثلثي اثني اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٧ .

لحصانتها (١٨٥) ، ولما عرف عن أهلها من البأس والنجدة (١٨٦) ، وقتل جنود أبي يزيد كثير من رجال سوسة ، وأحرقوا المدينة (١٨٧) ، وربما كان دافعهم الى ذلك ما فعله أهل سوسة من مساندتهم لقائد الفاطميين بشرى الصقلي بعد أن ثار عليه أهل تونس وطرده من مدينتهم (١٨٨) ، وربما لأن هذه طبيعة الحرب وزهوة المنتصر .

المرحلة الثانية :

كان جيش ميسور الفتى أمل الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله في استرداد هبة الخلافة ، ووقف تقدم أبي يزيد ومن ناصروه من زناتة ، لذا كانت هزيمة ميسور ومقتله من أشد الأحداث التي أثرت على القائم بأمر الله وعظمت في نفسه (١٨٩) ، وأصبح الطريق الى المهديّة عاصمة الفاطميين خاليا من كل مقاومة أمام جيش أبي يزيد ، فخاف أهل المهديّة وأرباضها ، وأراد أهل زويلة (١٩٠) ربض المهديّة الانتقال الى المهديّة ليحتموا في حصانتها ، الا أن القائم الفاطمي منعهم من ذلك ، فعادوا الى زويلة واستعدوا للحصار (١٩١) ، وأمر القائم بأمر الله ببناء سور حول زويلة (١٩٢) ، وحفر خنادق حول أرباض المهديّة وزويلة (١٩٣) ، وكتب القائم بأمر الله الى زيّري بن

(١٨٥) اذ يحيط بها البحر من ثلاث جهات وعليها سور حصين من صخر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(١٨٦) التجاني ، رحلة ، ص ٢٧ .

(١٨٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ،

ص ٥٩

(١٨٨) أنظر ، قبله

(١٨٩) أنظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٨١

(١٩٠) وهي مدينة بافريقية بناها عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة

الفاطمية بالمغرب ، بالقرب من مدينة المهديّة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص

٤١٩

(١٩١) المقرئزي ، انماط ، ص ١١٢ .

(١٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، المقرئزي ، انماط ، ص ١١٤

أنظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٨٤

(١٩٣) للتجاني ، رحلة ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥

مناد زعيم صنهاجة (١٩٤) ، والى سادات كتامة يستنصرهم ، ويحثهم على اللحاق بالمهدية ، ويحرضهم على قتال أبي يزيد (١٩٥) ، اذ أن العداء بين البتر والبرانس كان قائما ، وبخاصة بين قبيلة زناتة وقبيلة صنهاجة (١٩٦) .

حين سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة لنصرة القوائم بأمر الله رحل الى المهدية ، ونزل على بعد خمسة عشر ميلا منها (١٩٧) ، في مكان يعرف بخربة جميل (١٩٨) ، وبث سراياه حول معسكره ليؤمن المكان ، فخرج اليه الجيش الفاطمي ، والتقى معه عند مكان يقال له الوادي الملح يقع بين المهدية وتماجر (١٩٩) ، فهزم الجيش الفاطمي وقتل الكثير من عساكره (٢٠٠) ، ثم جاءت الانباء الى القوائم بأمر الله أن جنود أبي يزيد قد تفرقوا للاغارة على ما حول المهدية من الأماكن ، ربما استعدادا لحصارها ، فأرسل جنود كتامة مع الجيش الفاطمي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / يناير ٩٤٥ (٢٠١) ، ليلحقوا بأبي يزيد وهو في قله من أصحابه ، فأرسل اليهم أبو يزيد ابنه فضل في عسكر من أهل القيروان ، ليعوقوا تقدمهم حتى يتمكن من تعبئة جنوده ، ويلحق بهم ببقية الجيش ، والتقى فضل مع جند كتامة وجيش القوائم بأمر الله عند الموضع

(١٩٤) عنه / انظر ،

Ency. of Isl. (Art Zirids), led, t. 4, P. 1229.

وعن بداية علاقة زيري بن مناد وقومه صنهاجة بالفاطميين ، انظر ، قبله .

(١٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، المقرئ ، اتعاط ، ص ١١٣ .

ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٩ ، انظر ،

Hassan Ibrahim, Relations, P. 57.

(١٩٦) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٢٤١

(١٩٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ .

(١٩٨) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٥ .

(١٩٩) البكري ، المغرب ، ص ٢٩ ، وتماجر تقع في وسط المسافة بين

المهدية والقيروان ، نفس المصدر والصفحة ، الا أن ابن حوقل يذكر أن وادي

الملح موضع بين المسييلة وأشير ، (صورة ، ص ٨٧) .

(٢٠٠) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٨ .

(٢٠١) المقرئ ، اتعاط ، ص ١١٣ .

المعروف بسوق الأحد ، فيما بين المهديّة ومعسكر أبي يزيد (٢٠٢) ، وعلى بعد ستة أميال من المهديّة ، فانهزم أهل القيروان قبل وصول أبي يزيد ببقيّة الجيش ، وما أن وصل أبو يزيد ، ورآه الكتّاميون حتى فروا من أرض المعركة ولحق بهم جنود القائم بأمر الله ، فطارهم أبو يزيد حتى أبواب المهديّة ، ثم عاد إلى معسكره (٢٠٤) .

ضرب أبو يزيد معسكره في ترنوط على ستة أميال من المهديّة (٢٠٥) ، وحفر خندقاً حول معسكره واجتمع إليه كثير من القبائل من الفريقيّة والزاب ونفوسة وأقاصى المغرب (٢٠٦) ، فخرج أبو يزيد في جيشه الكبير يريد الاستيلاء على المهديّة في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / فبراير ٩٤٥ م ، واقتحم السور المحيط بزويلة الذي أمر القائم بأمر الله بانشائه ، وحاول دخول المهديّة عن طريق البحر لصعوبة اقتحامها من البر (٢٠٧) ، فبلغ الماء صدور الدواب ولم يستطع متابعة التقدم ، فعاد إلى البر وحارب جيش القائم بأمر الله من العبيد ، واستطاع هزيمته ، ووصل إلى باب المهديّة (٢٠٨) ، بعد أن استولى على زويلة ربض المهديّة (٢٠٩) . ووصل المدد من صنهاجة في ذلك

(٢٠٢) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٥ .

(٢٠٣) المقرئ ، اتعاظ ، ص ١١٣ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢

(٢٠٥) البكري ، المغرب ، ص ٣١ ، إلا أن التجاني يذكر أن ترنوطاً على

خمسة أميال من المهديّة ، (رحلة ، ص ٣٢٥) ، ويذكر ابن عذاري أن أبا يزيد

كان يزحف من سلقطة على المهديّة ، وهي على بعد ثمانية أميال منها ،

وكانت محطته في ترنوط ، (البيان ، ١ ص ٢١٩) .

(٢٠٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، اتعاظ ، ص ١١٤ ، وهذه

أول مرة يذكر فيها اسم قبائل جبل نفوسة - معقل الإباضية - وانضمامها

إلى أبي يزيد .

(٢٠٧) وذلك لحصانة المهديّة الطبيعية من جهة البر ، وما أضافه

المهدي الفاطمي إلى ذلك من تحصينات ، انظر ،

Marçà's, L'Architecture Musulmane, PP. 88 Sqg.

Hill, Op. Cit., PP. 102 — 103 قبله ، الفصل الثالث .

(٢٠٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ .

(٢٠٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

الوقت ، اذ كان القائم بأمر الله قد أرسل إلى زيري بن مناد زعيم
صنهاجة يستنصره ويخبره بما فيه أهل المهدية من الجهد والغلاء ،
فبعث إليه زيري بن مناد بالموث والاقوات ، ومعها بعض فرسان
صنهاجة وخمسمائة من عبيده (٢١٠) ، فكانت هذه الامدادات أعظم
خدمات قدمها زعيم صنهاجة للفاطميين (٢١١) ، وحق لبعض المؤرخين
تسمية زيري بن مناد بمنقذ الخلافة الفاطمية (٢١٢) .

علم أبو يزيد بوصول جند صنهاجة ، فقصده أحد أبواب المهدية
ليأتيهم من الخلف ، ولكن أهل الأرباض خرجوا إليه مدافعين بعد أن
قويت نفوسهم بما وصل اليهم من امدادات ، وقطعوا عليه طريق
العودة ، وكاد أن يقع أسيرا بين أيديهم ، الا أن أصحابه خلصوه بعد
جهد كبير (٢١٣) . عاد أبو يزيد إلى معسكره ، وضرب الحصار
حول المهدية ، ومنع الناس من الدخول إليها أو الخروج منها (٢١٤) ، ثم
زحف إليها في العشر الأخيرة من جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / فبراير
٩٤٥ م ، وقا تل جيوش القائم بأمر الله حتى وصل إلى باب المهدية ، ولكنه
لم يستطع اقتحامها لاستبسال جنود القائم بأمر الله في الدفاع
عنها (٢١٥) ، فكتب أبو يزيد إلى عامله على القيروان ليمده بجنود
من أهلها ، وما أن وصل المدد إلى أبي يزيد حتى زحف بهم إلى
المهدية من جديد في آخر رجب من نفس السنة / مارس ٩٤٥ م ،
فدارت الدائرة على أبي يزيد ، وقتل كثير من جيشه (٢١٦) .

ويورد ابن عذاري قصة فحواه أن أبا يزيد هو الذي أراد أن
يقتل أهل القيروان في هذه المعركة ، فقال لجنوده قبل المعركة

(٢١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويري ، نهاية ، ٢٢

ورقة ٤٧ .

(٢١١) انظر ، Ency. of Isl. (Art Zirids), led, t. 4., P. 1229

(٢١٢) انظر ، Terrace, Op. Cit., P. 185; Julien, Op. Cit., P. 62.

(٢١٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٤ .

(٢١٤) نفس المصدر والصفحة .

(٢١٥) بيبرس ، زبدة ، ورقة ٥٤ .

(٢١٦) المقرئ ، اتعاظ ، ص ١١٥ .

« إذا التقيتم مع القوم - يقصد جيش القائم بأمر الله وأنصاره من كتامة وصنهاجة - فانكشفوا عن أهل القيروان ، حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم ، فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم » ، لأنه أراد الراحة منهم ، ولأنه ظن إذا قتل شيوخ القيروان وائمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم الى ماشاء فيتبعونه (٢١٧) . وهذه الرواية غير مقبولة منطقيا ، لأن أبا يزيد كان مازال محتاجا الى مساعدة أهل القيروان ، ولو أنه أراد البطش بهم ما منعه أحد يسوم أن استولى على القيروان ، وهو الذي اتهم بالبطش بالمدن ، ولماذا لم يفعل ذلك مع أهل جبل نفوسة ، وهم من الاباضية الوهبية ، كما كان معه الكثير من بطون زناتة التي على مذهب أهل السنة وغيره من المذاهب الأخرى ، فالغالب على الظن أن سبب قتل الكثير من أهل القيروان في هذه المعركة ، أنهم لم يكونوا جيشا منظما مدربا على القتال ، بل كانوا من المتحمسين للقتال دون تدريب أو نظام ، ومما يرجح ذلك قول المقرئ «بأنه قتل في هذه المعركة جماعة من أصحاب أبي يزيد ، وأكثر أهل القيروان » (٢١٨) ، كما أن رواية ابن عذاري مضطربة في ذكر أحداث هذه الثورة وأغفلت معظم أحداثها . فضلا عن أن بعض فقهاء القيروان ظلوا الى جانب أبي يزيد بعد ذلك ، فيذكر بروكلمان أن أبا العرب تميم المحدث المشهور ومقيه القيروان ، ظل الى جانب أبي يزيد حتى أسر وقتل في الثاني والعشرين من ذى القعدة سنة ٣٣٣ هـ / السابع من يولييه ٩٤٥ م (٢١٩) أي بعد حوالي أربعة شهور من المعركة التي قتل فيها أكثر أهل القيروان .

وأيا ما كان السبب في قتل الكثير من أهل القيروان ، فقد عاد أبو يزيد الى معسكره ثانية ليسترد أنفاسه ويعيد ترتيب قواته ، ثم زحف الى المهدية للمرة الرابعة في أواخر شوال سنة ٣٣٣ هـ / يونية ٩٤٥ م ولكنه فشل في اقتحامها (٢٢٠) ، فحضر الحصار حولها ، وأحكمه

(٢١٧) البيان ، ١ ص ٢١٨ .

(٢١٨) اتعاظ ، ص ١١٥ .

(٢١٩) تاريخ الأدب العربي ، ٣ ص ٧٩ .

(٢٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ .

حتى أكل أهلها الدواب والميثة ، وخرج منها أكثر السوقة والنجسار ، ولم يبق بها سوى الجنود (٢٢١) ، ففتح القائم بأمر الله الأهرام التي بها المؤمن ، لاسيما القمح ، التي أعدها عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية بالمغرب والمهدية من قبل ، ووزع ما فيها على جنده وعبيده (٢٢٢) ، وبفضل هذه الأهرام وما جمل (٢٢٣) الماء استطاع جند القائم بأمر الله الصمود أمام حصار أبي يزيد الزناتي ، ولولاها ما أطلقوا هذا الحصار (٢٢٤) .

ضاق أهل المهدية بالحصار ، فكتب الخليفة القائم بأمر الله خطبة أعطاها لأحد فقهاءه ، ويدعى أحمد بن محمد بن عمر المروزي ليخطب بها في كتامة ، ويثير حماسهم لحرب أبي يزيد (٢٢٥) ، واجتمعت قبائل كتامة في قسنطينة (٢٢٦) أكثر مدن أفريقية مناعة وحصانة (٢٢٧) ، لأمداد الخليفة القائم بأمر الله ، فأرسل اليهم أبو يزيد جيشا هزمهم وفرق شملهم ، فئس القائم بأمر الله من أمدادهم (٢٢٨) . ولم يعد أمام أبي يزيد سوى الاستمرار في حصار المهدية بعد أن فشل في اقتحامها مرات لحصانتها ، واستبسال من فيها في الدفاع عنها ، ولكن لم يبق معه من أنصاره الا القليل ، فقد انقلعت عنه قبائل البربر الذين

(٢٢١) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٥ ، انظر ،
Ency. of Isl. (Art Mahdiya), led, t 3, P. 121

(٢٢٢) ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦٠
(٢٢٣) ركان المهدي أنشأ بالمهدية ٣٦٠ ماجلا ماء المطر ، (انظر ، قبله)
والماحل هو المكان الذي يجتمع فيه الماء ، (ابن الشباط ، وصف الاندلس ، ص ١٥٩) وسدودها خزانات مكشوفة ليجمع فيها ماء المطر .

(٢٢٤) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٣ .
(٢٢٥) الجوزري ، سيرة ، ص ٥٤ - ٥٥ ، انظر الملاحق .
(٢٢٦) وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية ، ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها ، وهي على حدود أفريقية من جهة المغرب ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٨٩ .

(٢٢٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٥ .

(٢٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

انضموا اليه طمعا في الغنائم ، بعد أن أصاب الدمار افريقية ، ولم يبق بها ما يغتمون (٢٢٩) ، وانشقت عليه بعض قواته وانضموا الى القائم بأمر الله (٢٣٠) ، وعاد آخرون الى موطنهم (٢٣١) ، ولم يبق معه سوى أهل عصبته من زناتة الأوراس وبعض هواره (٢٣٢) .

ما أن علم القائم بأمر الله بأن أنصار أبي يزيد قد تفرقوا عنه ، حتى أرسل اليه جيشا في ذي القعدة سنة ٣٣٣ هـ / يولييه ٩٤٥ م - وهي المعركة التي أسر فيها أبو العرب تميم المحدث المشهور وفقهه النقيروان - وكانت الحرب بينهم سجالا (٢٣٣) ، فبعث أبو يزيد الى عصبته بجبل أوراس يستمدهم فأمدهم ، واستطاع بهم أن يهزم جند القائم بأمر الله ، ويعيد الحصار حول المهديّة الى ما كان عليه ، فهرب الكثير من أهل المهديّة الى صقلية وطرابلس ومصر (٢٣٤) ، واستمرت المعارك بين أبي يزيد وجند القائم بأمر الله حتى انفص عن أبي يزيد معظم أنصاره ، أما بسبب المنافسة فيما بينهم (٢٣٥) ، وأما بسبب المقاومة العنيدة من أهل المهديّة وجندها (٢٣٦) ، مما كان سببا في فتور حماس أتباع أبي يزيد (٢٣٧) ، فرحل أبو يزيد عن المهديّة دون حرب في صفر

(٢٢٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٣ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٥ .
(٢٣٠) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٦ ، ويبدو أن ذلك الانشقاق كان بسبب الخلاف بين العصبيات اذ يذكر المقرئزي « أنهم فروا الى المهديّة بسبب عداوة كانت بينهم وبين اقوام سعوا بهم اليه ، (اتعاظ ، ص ١١٦) .
(٢٣١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩١ .
(٢٣٢) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٦ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٨٤ .

(٢٣٣) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٥ - ١١٦ ، اذ يذكر عدة معارك كان النصر فيها قسمة بين الفريقين .
(٢٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٣ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٥ .
(٢٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ ، ويذكر ابن النديم أن أبا يزيد أظهر المذهب الاباضي فتفرق الناس عنه ، (الفهرست ، ص ٢٦٥) .
(٢٣٦) أنظر ، O'leary, Op. Cit., P. 89
(٢٣٧) أنظر ، Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84

سنة ٣٣٤ هـ / سبتمبر ٩٤٥ م (٢٣٨) ، وترك جميع أنقاه وخيامه ومعداته ، فاستولى أهل المهدية على معسكره ، وغنموا طعاما كثيرا ، فحسنت حالهم ورخصت الأسعار (٢٣٩) ، مما يبين لنا ما أعده أبو يزيد استعدادا لطول مدة الحصار ، إلا أن أتباعه خذلوه وتفرقوا عنه ، فلم يجد بدا من الرحيل عن المهدية .

وبعد أن تفرق عن أبي يزيد الكثير من أنصاره ، وبقيت معه عصبية من زناتة عاد إلى الفيوان ، فأراد أهلها أن يسلموه إلى القائم بأمر الله ، ولكنهم أخفقوا في سعيهم (٢٤٠) لوجود عصبية معه تحميه وتذود عنه ، وثارت معظم مدن أفريقية : سوسة ، وتونس ، وثبسة ، ومجانة ، والأربس ، ورقادة (٢٤١) ، على أبي يزيد ، ودخلت في طاعة القائم بأمر الله الفاطمي (٢٤٢) ، إلا أن مدينة باجة - الواقعة بالقرب من تونس وعلى الطريق بين المهدية وقسنطينة (٢٤٣) - ظلت على ولائها لأبي يزيد ، فأرسل ابنه أيوب إليها لحمايتها ، وينتظر وصول المدد ، فجاءت الأنباء إلى أيوب بأن علي بن حمدون الأندلسي وإلى مدينة المسيلة من قبل الفاطميين ، في طريقه إلى المهدية بجيش من أهل قسنطينة وسطيف (٢٤٤) وهم من قبائل كتامة لأمداد القائم بأمر الله ، فكمن له أيوب في الطريق وأخذه على غرة ، وبدد شمل الجيش ، وغنم أثقالهم ، وفر علي بن حمدون الأندلسي بنفسه ناجيا (٢٤٥) .

(٢٣٨) أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ .

(٢٣٩) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

(٢٤١) لم يذكر أحد من المؤرخين أسماء المدن التي خرجت على أبي يزيد ودخلت في طاعة القائم بأمر الله ، إلا أن هذه المدن هي التي رفضت أن يدخلها أبو يزيد بعد تخليه عن حصار المهدية .

(٢٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ .

(٢٤٣) انظر ، ما جد والبنا ، الأطلس التاريخي ، خريطة رقم ١٠ .

(٢٤٤) وهي تقع في جبال كتامة بين تاهرت والفيوان ، ياقوت ، معجم

البلدان ، ٥ ص ٨٢ .

(٢٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢ .

وبعث أبو يزيد قائده مستويه الخارجى الفكارى مثله لاعادة تونس الى الطاعة (٢٤٦) ، ودخلها عنوة في صفر سنة ٣٣٤ هـ / سبتمبر ٩٤٥ م (٢٤٧) ، فأرسل القائم بأمر الله جيشا لمساعدة أهل تونس ، وخرج مستويه اليه والتقى به خارج المدينة ، واستطاع هزيمته ومن معه من كتامة هزيمة منكرة ، الا أن مستوية جرح وهو يطارد فلول الجيش الفاطمى (٢٤٨) ، فكر الجيش الفاطمى عليه وهزمه واستعاد تونس في ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ / أكتوبر ٩٤٥ م (٢٤٩) ، فأرسل أبو يزيد ابنه أيوب لاستعادة تونس ثانية ، ونجح في مهمته وأخضع تونس للطاعة ، الا أن القائم بأمر الله الفاطمى لم يتخل عنها ، وأرسل اليها جيشا تلو الآخر ، فكسب أيوب المعارك الاولى ، ولكنه هزم في النهاية (٢٥٠) وترك تونس الى مدينة باجة التى خرجت على الطاعة ، فاستردها وأضرم فيها النيران (٢٥١) ، ثم عاد الى القيروان في آخر ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ / نوفمبر ٩٤٥ م (٢٥٢) .

وفي الوقت الذى كان فيه أبو يزيد يحاول استرداد المدن القريبة من المهدية مثل تونس وباجة لطاعته ، كان على بن حمدون الافدلسى والى المسيلة من قبل الخليفة القائم بأمر الله ، ومن انضم اليه من جنود كتامة يغيرون على مضارب القبائل التى انضم فرسانها الى أبي يزيد (٢٥٣) حتى يرغمه على ارسال جيوش لحمايتها ، أو ينفذ عنه بعض أصحابه

(٢٤٦) التجانى ، رحلة ، ص ٢٢ .

(٢٤٧) المقرئى ، انعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٤٨) التجانى ، رحلة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٤٩) المقرئى ، انعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٥٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، ابن أبى ديفار ، المؤنس ،

ص ٦٠ - ٦١ .

(٢٥١) المقرئى ، انعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٥٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ .

(٢٥٣) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٢ .

لحماية مضاربهم وذويهم ، فتضعف قوة أنصاره ، لذا ما أن عاد أيوب الى القيروان حتى بعثه ابو يزيد لقتال على بن حمدون الأندلسي ، فانتصر على بن حمدون عليه وعلى كل الجيوش التي أرسلها اليه أبو يزيد ، واسترد مدينتي باغاية وتيجس لطاعة الفاطميين (٢٥٤) ، وقد أعانه على ذلك أن غالبية سكان تيجس من كتامة (٢٥٥) * وقد أبلى على ابن حمدون الأندلسي أحسن البلاء في حربه مع أبي يزيد حتى سقط به فرسه فصدق عنقه في ربيع الآخر سنة ٤٣٣هـ / ديسمبر ٩٤٥ م ، وخلفه ابنه جعفر في رئاسة المسيلة وفي حرب أبي يزيد الزناني (٢٥٦) .

ويبدو أن أهل سوسة كانوا من المتعصبين لأهل السنة (٢٥٧) ، اذ ثاروا على أبي يزيد بعيد أن شاركه أهل القيروان ، وقبضوا على ولاته

(٢٥٤) نفس المصدر والصفحة ، ويذكر ابن الأثير تفاصيل كثيرة عن حروب على بن حمدون مع الجيوش التي أرسلها أبو يزيد للدفاع عن مضارب القبائل التي ظلت على ولائها لأبي يزيد وهم زناتة افريقية وبعض هوار ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٥) ، لا أن ابن حماد يذكر أن أيوب بن أبي يزيد هزم على بن حمدون ، (أخبار بني عبيد ، ص ١٩ - ٢٠) .

(٢٥٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٧ .

(٢٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٥ ، انظر ، شعيرة ومحمد حسين .
محققا سيرة جعفر ، ص ١٧٥ .

(٢٥٧) اذ اشتهر من مدينة سوسة الكثير من الفقهاء والمحدثين ، (ابن الفيسراني ، الأنساب ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ابن الأثير ، اللباب ، ١ ص ٥٧٧) ، وعلى مقربة منها يوجد المنستير حيث يجتمع عباد افريقية ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٢٠) ، وبداخلها وحولها محارس وروابط ومجامع الاولياء والصالحين ، (البكري ، المغرب ، ص ٣٥) ، لذا فان بعض الشعراء شبهوا سوسة بالمدينة المنورة ، ومن ذلك يقول احدهم :

التم بسوسة وبغى عليها	ولكن الاله لها لصير
مدينة سوسة للغرب ثغر	يدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها	كما لعنت قريظة والنضير .

(ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٩) .

وأتباعه بالمدينة ، وبعثوا بهم الى المهديّة (٢٥٨) ، مما أثار غضب أبي يزيد على أهل سوسة ، مجد حينئذ في أمره وجمع العساكر حتى بلغ فرسان جيشه ثمانين الفا (٢٥٩) ، وسار الى مدينة سوسة في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ / يناير ٩٤٦ م ، وبهبا جيش القائم بأمر الله ، وضرب حولها الحصار (٢٦٠) ، ونصب عليها الدبابات والمنجنيقات والآلات الحصار (٢٦١) ، ودارت الحرب سجالا حول سوسة ، اذ وقفت مناعة المدينة - التي يحيط بها البحر من ثلاث جهات وعليها سور من صخر محكم ومتقن البناء ، الى جانب ما عرف عن أهلها من الشدة والبأس (٢٦٢) - أمام غضبة أبي يزيد وكثرة جيشه وقوة معداته ، ومن ثم استطاعت أن تصمد للحصار طويلا .

وتوفي الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أثناء حصار أبي يزيد لمدينة سوسة ، ليس أثناء حصاره لمدينة المهديّة كما اعتقد بعض المؤرخين (٢٦٣) ، اذ توفي يوم الاحد لثلاث عشرة مضت من شوال ٣٣٤ هـ / التاسع عشر من مايو (٢٦٤) ، بعد أن بذل كل

(٢٥٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، الاندلسي ، الحلل السندسية ، ١ ص ٣٠٠ .

(٢٥٩) البكري ، المغرب ، ص ٣٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٤ ، وأن كان في هذا العدد مبالغة واضحة ، فانه يدل على كثرة الجيش الذي أعده أبو يزيد لحصار سوسة .

(٢٦٠) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٩ ، الا أن الأندلسي يذكر ان حصار أبي يزيد لمدينة سوسة كان سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ - ٩٤٤) م ، (الحلل السندسية ، ١ ص ٣٠٠) .

(٢٦١) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ .
(٢٦٢) البكري ، المغرب ، ص ٣٥ ، النجاني ، رحمة ، ص ٢٧ .
(٢٦٣) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، ابن خلكان ، وفيسات ، ١ ص ٧٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٩ ، الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٠٢ .

(٢٦٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٦٣ ، ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٨ ، الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، بيبرس ، زبدة ، =

من شوال ٣٣٤ هـ / انتاسع عشر من مايو ٩٤٦م (٢٦٤) ، بعد أن بذل كل اعداد الجيوش ، وأرسالها تباعا لتوقف تقدم أبى يزيد وأتباعه إلا انها منيت بالهزيمة ، وعمل على استنفار قبيلتي كتامة وصنهاجة ، وحثهم على قتال أبى يزيد ومن معه من زناتة ، فامدته كتامة بكل فرسانها ، أما زعيم صنهاجة وان أمد القائم بأمر الله بما أعانه واهل المهدية على الصمود للحصار ، إلا أنه لم يدخل بكل ثقله الى جانب الخليفة القائم بأمر الله .

وفي رأينا أن القائم بأمر الله لم يكن في مقدوره أن يفعل أكثر من ذلك أمام ثورة في بداية انطلاقها وتضم بطون زناتة التي عادت الفاطميين فضلا عن قبائل بربرية أخرى انضمت الى أبى يزيد وزناتة بسبب الاتجاه المذهبي للخليفة القائم بأمر الله وسياسته المالية الجائرة ، سوى أن يخرج بنفسه يقود جيوش الخلافة حتى يزيد من حماس جنده كما سيفعل خلفه اسماعيل المنصور بالله .

المرحلة الثالثة :

كان الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله قد فوض الخلافة الى ابنه وولى عهده اسماعيل في رمضان سنة ٣٣٤ هـ / ابريل ٩٤٦م (٢٦٥) ، وأشهد جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم على هذا التفويض (٢٦٦) ،

= الله ، انظر ، السيرطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٨ ، ٥٣٤ ، الدوادرى ، كنز ، ص ١٢٦ ، إلا أن بعض المؤرخين ذكروا تواريخا أخرى لوفاء القائم بأمر الله ، انظر ، السيرطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٨ ، ٥٢٤ ، الدوادرى ، كنز ، ٦ ص ١١٥ ، العيني ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٣٣٤ ، المقرئى ، انماظ ، ص ١٢٠ .

(٢٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٥ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص

٣٨٧ .

(٢٦٦) ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ ، ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢١ ، اذ جمع القائم بأمر الله الفاطمي جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم وقال لهم « هذا مولاكم ، وولى عهدي والخليفة من بعدى » ، (ففس المصادر والصفحات) .

(م ١٥ - زناتة والخلافة الفاطمية)

ودعى لاسماعيل على منابر افريقيه بعد توليته العهد (٢٦٧) ، وثوى القائم بأمر الله بعد ذلك بما يقرب من شهر ، فكتف اسماعيل - الذى اتخذ فيما بعد لقب المنصور بالله - خبر وفاة أبيه حتى لا يفت فى عضد أتباعه (٢٦٨) ، وخوفا من أن يعلم أبو يزيد الذى كان ما يزال على حصار مدينة سوسة (٢٦٩) ، ولذا لم يغير اسماعيل - الذى سنسميه بلقبه الخلفى - شيئا من رسوم الخلافة ، فلم يتسم بالخليفة ، ولم يغير الخطبة والبنود والسكة (٢٧٠) ، فكانت أول عملة ضربها باسمه سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م (٢٧١) ، أى بعد القضاء على ثورة أبى يزيد - وكان المنصور بالله شجاعا رابط الجأش جيد الحدس حاد الذهن (٢٧٢) ، خرج الى محاربة أبى يزيد بنفسه وجد فى مطارذته ، وبذل الاموال فى سقاء لاستمالة الرجال والقبائل .

(٢٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٨ .

(٢٦٨) لم يصرح المنصور بالله بموت أبيه الا بعد أن كاد يقضى على ثورة أبى يزيد ، اذ يذكر الجوزرى أن المنصور بالله صرح بموت القائم بأمر الله بعد انتصاره الحاسم على أبى يزيد واسترداد الفيوان ، (سيرة ، ص ٤٦) ، ويحدد ابن الآبار ذلك بيوم عيد الاضحى سنة ٣٣٥ هـ ، (الحلة ، ٢ ص ٣٨٨) .

(٢٦٩) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٦٩ .

(٢٧٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٦٣ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ٣ ص ٤٨ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٢٤ . وما يؤكد أن المنصور بالله لم يتخذ لقب الخلافة بعد موت والده مباشرة . ما ذكره الجوزرى بأن الكتب كانت ترد من المنصور الى جوذر نائبه على المهديّة ، وعليها اسم الخليفة القائم بأمر الله ، وذلك بعد وفاة القائم بأمر الله ، (سيرة ، ص ٤٤) ، انظر ، الملاحق .

(٢٧١) انظر ، Lace-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic ،

Coins in the British Museum, Vol. 4, P. 6 ، الا أن الدرجيني

بذكر أن أبى يزيد علم بوفاة الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله حين حدوثها ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤) .

(٢٧٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص

٢٩١ ، ابن ظافر ، اخبار ، ص ١٨ - ١٩ .

فما أن حمل المنصور بالله مسؤولية الخلافة - وإن لم يعلن عن ذلك - حتى جهز أمراؤه وشحنها بالمؤمن واعتاد وارجال بعد أن بذل بهم الأموال (٢٧٣) ، وجعل قيادة الأسطول الى رشيق الكاتب (٢٧٤) ، ويثبته الى سوسة ليعينها على الصمود لحصار أبي يزيد (٢٧٥) ، وأراد المنصور بالله أن يقود الجيش الذي خرج مع الأسطول بنفسه ، فمنعه أصحابه وخاصته خوفا عليه (٢٧٦) . وصلت جند المنصور بالله الى سوسة ، فانضم اليهم أهلها ، واستطاعوا هزيمة أبي يزيد ، واستباحوا معسكره ، ووضعوا السيف في جيشه ، ومن «سلم من السيف مات جوعا وعطشا في طريقه فارا الى القيروان» (٢٧٧) ، وقد أراد أبو يزيد دخول القيروان بعد هزيمته عن سوسة ، فثار أهلها عليه ومنعوه من دخولها (٢٧٨) ، فرحل الى سبيبة التي تقع على مسافة يومين من القيروان ، ولحق به من نجا من جيشه (٢٧٩) وأرسل ابنه أيوب الى عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس ، يطلب العون والمساعدة ، فوصل أيوب الى قرطبة سنة ٣٣٥ هـ / (٩٤٦ - ٩٤٧ م) (٢٨٠) .

(٢٧٣) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢١٩ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦١ .

(٢٧٤) وكل ما نعرفه عن رشيق الكاتب هذا ، انه كان كاتباً لجوهر ، وظل في خدمته حتى سنة ٣٥٠ هـ ، (الجوزي ، سيرة ص ٣٣) .

(٢٧٥) ابن خلدون ، العر ، ٤ ص ٤٣ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٢٤ .

(٢٧٦) التجاني ، رحلة ص ٢٢٧ .

(٢٧٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٥ ، المقريزي ، اتعاظ ، ص ١٢٠ .

(٢٧٨) التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٧ .

(٢٧٩) المقريزي ، اتعاظ ، ص ١٢٠ ، الا أن ابن عذاري يذكر أن أبا يزيد عاد الى المهديّة وحاصرها بعد هزيمته عن سوسة ، (البيان ، ١ ص ٢١٩) .

(٢٨٠) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٠ ، ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٢٣٠ ، انظر ، Provincial, Histoire, Vol. 2, P. 104; La Politique, P. 372 .

جاءت الانبياء انى المنصور باللب بهريمه ابى يزيد ورحيله
عن سبوسه ، فعقد العزم على الخروج بنفسه للقضاء على هذه
العورة ، وترك المهديه فى اجر سوال سنة ٢٣٤ هـ / مايو ٩٤٦ م (٢٨١) ،
بعد ان استخلف مولا جوذر (٢٨٢) ، على العاصمة وسائر البلاد
وأعطاه مفاتيح بيت النمل (٢٨٣) ، ونزل بجيشه غربى القيروان (٢٨٤) ،
وأمن أهلها وعما عنهم لما كان منهم من طرد أبى يزيد عن مدينتهم (٢٨٥) ،
وحفر خندقا حول معسكره (٢٨٦) ، وأرسل أبو يزيد سرية من جيشه
يتحسسون الاخبار ، وعلم المنصور بالله خبرها فأرسل جيشا للقضاء
عليها ، فكمن بعض أصحاب أبى يزيد ، والتقى الباكون مع جيش المنصور
بالله ، وانهزموا أمامه يستدرجونه ، وخرج الكمين عليهم ، فهزموا جيش
المنصور بالله وقتلوا الكثير منهم (٢٨٧) . عادت الثقة الى أبى يزيد
وأتباعه ، وخرج يريد استرداد القيروان ، وتعددت المعارك بين الفريقين ،

(٢٨١) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ ، المقرئى ، انعطاف ، ص ١٢٠ .
(٢٨٢) وجوذر هذا عمل فى خدمة الخليفة الفاطمى المهدي ، وكان بيديه
اموال وأمر قصر المهدي ، وقد قلده المهدي الفاطمى هذا المنصب لعلمه
باخلاص جوذر فى طاعتهم . وقد خدم جوذر من الخلفاء الفاطميين المهدي
والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز ، كتاب زهر المعاني ، ص ٧٠ -
٧١ .

(٢٨٣) الحوذنى ، سيرة ، ص ٤٤ .

(٢٨٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٤ .

(٢٨٥) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ .

(٢٨٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٣ .

(٢٨٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٦ ، لقد استخدم أبو يزيد
الكمان فى كثير من معاركه مع الفاطميين ، وعمل الكمين عرفت به فرسان
زناتة الذين اعتمدوا فى حروبهم على سرعة الكروايفر ، فقد استطاع
خالد بن حميد الزناتى هزيمة كلثوم بن عياض القشيري بالكمين سنة ١٢٣ هـ ،
وحاول أبو قررة البفرنى الزياتى استدراج الاغلب بن سالم والى العباسيين
على افريقية سنة ١٤٨ هـ ، فهرب أمامه ، وعمل محمد بن خزر أمير زناتة
المغرب الأوسط على تنفيذ فكرة الكمين فى حروبه مع عبيد الله المهدي ، انظر
قبله .

وكانت الحرب سجالاتا بينهما (٢٨٨) ، وفشل أبو يزيد في استرداد القيروان لاستماتة أهلها في الدفاع عنها إلى جانب المنصور بالله الفاطمي (٢٨٩) .

رحل أبو يزيد عن القيروان أخسر ذي القعدة سنة ٣٣٤ هـ / يوليو ٩٤٦ م ، بعد أن رأى امتناعها عليه (٢٩٠) ، وأرسل إلى المنصور بالله في حرمه وعياله الذين تركهم بالقيروان ، على أن يدخل في طاعته بعد أن يؤمنه هو وأصحابه فأجابه المنصور بالله إلى مطالبه ، ولكن أبا يزيد أعاد الكرة على القيروان في المحرم سنة ٣٣٥ هـ / أغسطس ٩٤٦ م ، فهزمه المنصور بالله وقتل كثيرا من أنصاره (٢٩١) . وما أن وصل المدد إلى المنصور بالله حتى عقد العزم على القضاء على الثوار ، وخرج إلى لقاء أبي يزيد وعلى ميمنته أهل القيروان ، وعلى ميسرته كتامة ، وهو وعبيدة وخاصة في القلب (٢٩٢) ، والتقى الجمعان في سابع المحرم سنة ٣٣٥ هـ / التاسع من أغسطس ٩٤٦ م ، فكافت الهزيمة الساحقة لأبي يزيد ومن معه ، وفقد على أثرها القيروان نهائيا ، ولم يحاول استردادها ثانية ، وعرفت هذه الموقعة ، الفاصلة بموقعة يسوم الجمعة (٢٩٣) ، وفقد أبو يزيد على أثرها شاركا أثقاله واسلحته (٢٩٤) .

(٢٨٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٦ ، ويذكر ابن الأثير تفاصيل كثيرة عن هذه المعارك وهي إلى الأسطورة أقرب ، ويردد المقرئزي وابن الخطيب أقوال ابن الأثير ، (اتعاظ ، ص ١٢١ ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٤) .

(٢٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٢٩٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٣ .

(٢٩١) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١٢٢ .

(٢٩٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٦ .

(٢٩٣) الجوزري ، سيرة ، ص ٤٤ - ٤٦ ، ويورد الجوزري نص رسالة المنصور إلى مولاة جردج بعد انتصاره على أبي يزيد في هذه الموقعة ، وبها وصف المعركة ، (انظر ، الملاحق) ، إلا أن ابن الأثير والمقرئزي يذكران أن هذه الموقعة كانت في منتصف المحرم من سنة ٣٣٥ هـ ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٦ ، اتعاظ ، ص ١٢٢) .

(٢٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ ، المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١٢٢ .

لم يمهل المنصور بالله أبا يزيد حتى يسترد أنفاسه ، فاستخلف على القيروان مداما الصقلي (٢٩٥) ، وطارد أبا يزيد الذي ضرب الحصار حول باغاية ، ولكنه ترك حصارها حين علم بقُدوم المنصور بالله إليه ، وأراد أبو يزيد أن يتحصن بغيرها ، فكان المنصور بالله يسبقه الى كل مدينة يقصدها (٢٩٦) . وما أن وصل المنصور بالله الى مدينة طَبنة (٢٩٧) التي تبعد عن باغاية بأربعة مراحل (٢٩٨) ، حتى وصلتة رسل محمد بن خزر - أمير مغراوة الزناتية والمغرب الأوسط ، والذي كان من أعيان أصحاب أبي يزيد - بالاستعداد لمساندته ، فأكرم المنصور بالله رسله ، وكتب اليه باقتفاء أثر أبي يزيد (٢٩٩) ووعد به عشرين حملا من المال اذا ما قبض عليه (٣٠٠) ، الا أن معبد ابن خزر الزناتي - أخ محمد بن خزر أمير مغراوة - أبي التخلي عن أبي يزيد ، وظل على مساندته في بعض مغراوة الزناتية حتى نهاية ثورته (٣٠١) . والغالب على الظن أن محمد بن خزر الزناتي تخلى عن أبي يزيد الزناتي بعد أن أيقن من هزيمته - وبخاصة أنه ليس من عصيته القربية ، وليس علم مذهب النكاري - وهو ما عير عنه جوتيه « بان زناتة المغرب الأوسط انسحبت من مساندة أبي يزيد في

(٢٩٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ .

(٢٩٦) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢٩٧) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢٨ .

(٢٩٨) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٧٧ .

(٢٩٩) الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، انظر .

Gautier, Op. Cit., P. 384

(٣٠٠) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٦ ، ٢٦ ، وينفرد ابن حماد بأخبار لم يذكرها غيره بأن محمد بن خزر الزناتي أرسل الى المنصور بالله الفاطمي بأنه اقام دعوته بأعماله ، وسأله ان يبعث اليه بالخطبة والسكة ، ليضربها على اسمه ، فبعث اليه المنصور بالله ما طلب ، ثم كتب المنصور بالله الى زناتة بالانغارة على بعض أنصار أبي يزيد ففعلوا ، (أخبار بني عبيد ، ص ٣٠) ، وما ذكره ابن حماد لايحتاج الى تطبيق اذ كان اسماعيليا شيعيا ومن قبيلة صنهاجة .

(٣٠١) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٢٦ .

الوقت المناسب « (٣٠٢) .

بعد أن تخلت مغراوة الزناتية ، وزعيمها محمد بن خزر عن أبي يزيد ، لم يعد معه سوى أهل عصبته من بنى يفرن ، والبطون الزناتية التي أخذت بمذهبه ، ففر يعتصم ببني برزال الزناتيين الذين دانوا بمذهب النكار (٣٠٣) ، وكانوا أهل بأس ونجده (٣٠٤) ، فاجتمعوا اليه وكمن بهم في طريق المنصور بالله حتى يأخذه على غرة ، ولكن المنصور بالله الذي فطن الى طريقة أبي يزيد في عمل الكمائن ، حذر جيشه في الوقت المناسب ، وهزم أبا يزيد (٣٠٥) ، وهي المعركة التي عرفت بموقعة قصور الحيتان (٣٠٦) ، وفر أبو يزيد الى جبل سالات مضارب بنى برزال الزناتيين (٣٠٧) وغيرهم من البطسون الزناتية (٣٠٨) ، فلم يستطع المنصور بالله مطاردته لوعورة الجبال ، وقلة الزاد (٣٠٩) ، وعاد الى بلاد صنهاجة (٣١٠) .

ومن الواضح أن زيري بن مناد وقومه صنهاجة لم يشاركوا الفاطميين في القضاء على ثورة أبي يزيد منذ أن أمدوا القائم بأمر الله الفاطمي بالمؤن والفرسان أثناء حصار المهديّة وحتى خروج المنصور

Le passé de L'Afrique du Nord, P. 394

(٣٠٢) انظر ،

(٣٠٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ص ٥٣

(٣٠٤) نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٣٠٥) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٨ ص ١٥٧ .

(٣٠٦) الجوزري ، سيرة ، ص ١٢٧ ، وقد انشد المنصور بالله بعد

انتصاره في هذه المعركة .

أرونى متى يغنى غنائى ومشهدى اذا رهج الوادى لوقع الحوافر

انا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفى أقد الهام تحت المغافر ،

نفس المصدر والصفحة

(٣٠٧) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ .

(٣٠٨) ابن خلدون ، العبر ، ص ٤٤ ، ص ٧ ص ١٦ .

(٣٠٩) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٢٣ .

(٣١٠) أبو الفدا ، المختصر ، ص ٢ ص ٩٢ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ،

ص ٧٤ .

بالله لمطاردة أبي يزيد ، وما أن استعصى على المنصور بالله القبض على أبي يزيد لو غورة المنطقة التي لجأ إليها أبو يزيد ، حتى كاتب زيري ابن مناد الصنهاجي ، « وبعث إليه أموالاً جمة ، ومن الذهب والتحف والطرف ما استمال به النفوس ، واستلان به القلوب » (٣١١) ، لأن زيري بن مناد كان على عداوة مع قبيلة زناتة ، وقام بالآغارة على مضاربها بافريقية والمغرب الأوسط (٣١٢) ومن الضروري أنه كان يعرف المنطقة التي لجأ إليها أبو يزيد ، فأراد المنصور بالله الاستعانة به في مطاردة أبي يزيد . وبالفعل انضم زيري بن مناد في عساكر صنهاجة إلى المنصور بالله « فأفاض عليه وعلى كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال ، أفاضه استسلم بها قلوبهم ، وصفت نياتهم ، وخلعت طوياتهم » (٣١٣) .

في الوقت الذي انضم فيه زعيم صنهاجة وقومه إلى المنصور بالله تخلى فيه بنو كملان عن أبي يزيد وطلبوا الأمان من المنصور بالله فأمنهم (٣١٤) ، إلا أن المنصور بالله أصابه المرض ، واشتد عليه حتى يئس من نفسه (٣١٥) ، واستمر مرضه لمدة شهرين ، وعميت عليه أخبار أبي يزيد ، وعزم على السير إلى تاهرت (٣١٦) ، لاستردادها من أيدي زناتة المغرب الأوسط الذين استغلوا فرصة انشغال الفاطميين بثورة أبي يزيد الزناتية واستولوا على تاهرت وطردها وإليها الفاطمي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ / يناير ٩٤٥ م (٣١٧) . وبلغ أبا يزيد ما اعتزمه المنصور بالله فحضر الحصار حول مدينة المسيلة ، بيد أن المنصور بالله

(٣١١) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٧ .

(٣١٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ ، انظر ،

Cherbonneau, Op. Cit., P. 485

(٣١٣) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٩ .

(٣١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٣١٥) النعمان ، المجالس ، ٢ ورقة ٦٥٢ .

(٣١٦) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٩ .

(٣١٧) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧

ص ٢٦ .

لم يمهله وكر راجعا اليه وأزاحه عنها في رجب سنة ٣٣٥ هـ لا ينافس
٩٤٧ م (٣١٨) ، لأن مدينة المسيلة كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة الى
المنصور بالله في تلك الظروف ، فقد كان بها الطعام مخزونا مند بنائها ،
وكانت عساكره تستمد منها الاقوات وتمتاد ، لانها لم يكن في تلك المنطقة
مدينة سواها (٣١٩) .

هرب أبو يزيد الى بلاد كيانة (٣٢٠) ، وعاد المنصور بالله الى
المسيلة ، ووجه أحد قواده الى سطيف لاستتفار كتامة
وآخر الى ميله (٣٢١) لنفس الغرض (٣٢٢) ، وما أن جاءت الامدادات
حتى خرج لمطاردة أبي يزيد في شعبان سنة ٣٣٥ هـ / مارس ٩٤٧ م ،
ودارت رحى معركة أبلت فيها صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد أحسن
البلاء ، وكانت غاية زيري بن مناد الصنهاجي قتل أبي يزيد ، الا
أن استماتة أصحاب أبي يزيد في الدفاع عنه ، وقفت حائلا أمام
تصميم زيري (٣٢٣) ، وتقهر أبو يزيد الى قلعة بجبل كيانة (٣٢٤) ،
على بعد اثني عشر ميلا من المسيلة (٣٢٥) ، ليتحصن بها من مطاردته ،

(٣١٨) المقرئ ، اتعاط ، ص ١٢٣ .

(٣١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن حماد ، أخبار بني

عبيد ، ص ١٣ .

(٣٢٠) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٢٢٠ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة

كتامة ، ص ٥٩ .

(٣٢١) وهي مدينة صغيرة باقصى افريقية بينها وبين بجاية ثلاثة

ايام وبينها وبين قسنطينة يوم واحد ، وأهلها من قبيلة كتامة ، ياقوت ،

معجم البلدان ، ٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣٢٢) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٣٠ .

(٣٢٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤

ص ٤٤ .

(٣٢٤) الجوفري ، سيرة ، ص ٤٨ ، التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٧ ، انظر ،

O'leary, Op. Cit., P. 91 ، ويذكر النعمان أن المنصور بالله أرسل

الى أبي يزيد وأصحابه بالامان وهو محاصر لهم بقلعة كيانة ، فردوا رسالته ،

(المحال ، ٢ ورقة ٥١٥) .

(٣٢٥) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٣ .

ولم يستطيع المنصور بالله اقتحام القلعة ، فأضرم النيران في الشعراء
الميحطة بها ، ثم اقتحمها جند المنصور بالله وحاول أبو يزيد الهرب ،
فوقع مثخنا بالجراح في قبضة جند المنصور بالله (٣٢٦) ، فحملوه الى
المنصور بالله لخمس بقين من المحرم سنة ٣٣٦ هـ / السابع عشر
من أغسطس ٩٤٧ م ، فسجد المنصور بالله لله شكرا (٣٢٧) .

وكان أبو يزيد أرسل ابنه أيوب الى عبد الرحمن الناصر لدين الله
خليفة الأندلس ، فوصل الى قرطبة في ربيع الأول سنة ٣٣٥ هـ /
أكتوبر ٩٤٦ م ، فأحسن الناصر لدين الله استقباله وأنزله قصر
الرصافة (٣٢٨) ، وظل أيوب في ضيافة الناصر لدين الله حتى جاءتته رسل
أبي يزيد ، أثناء حصاره لمدينة المسييلة ، يتعجل ارسال الممدد
الذي جاء أيوب الى الناصر لدين الله من أجله ، فتعال الناصر لدين الله
ووعدهم خيرا ، وأجل امداد أبي يزيد حتى يرى نتيجة ثورته (٣٢٩) .
ويبدو أن رأى الناصر لدين الله لستقر في النهاية على امداد أبي يزيد
بالمساعدة ، اذ يذكر البعض أن الناصر لدين الله الأموي أرسل
أسطوله بقيادة ابن رماح لمساندة أبي يزيد ، الا أن الأنبياء
جاءت الى قائد الاسطول بهزيمة أبي يزيد ، وتقهقره أمام قسوات
الفاطميين ، فعاد ثانية الى الأندلس (٣٣٠) .

وبعد أن قبض على أبي يزيد ، ظل في الاسر أياما ، ثم كانت وفاته
في آخر المحرم سنة ٣٣٦ هـ / ٢٢ أغسطس ٩٤٧ م ، من أثر ما أصيب

(٣٢٦) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧
ص ١٦ .

(٣٢٧) ابن ظافر ، اخبار ، ص ١٨ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ .

(٣٢٨) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٠ ، ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص
٢٣٠ ، انظر

Provincial, Histoire, Vol. 2, P. 104; La Politique, P. 372.

(٣٢٩) نفس المصدر والصفحة

(٣٣٠) انظر ،

Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163

به من جراح (٣٣١) ، ومثل المنصور بالله بجثته بعد موته (٣٣٢) ، اذ أمر بسلخ جلده وحشوه تبنا أو قطنا ، واتخذ له قفصا أدخله فيه مع قردين يلعبان عليه ، وطيف به من جبال صنهاجة بالمغرب الأوسط حتى المهدية ، ثم صلب على سور المهدية حتى نسفتسه الرياح (٣٣٣) ، وكان المنصور بالله قد أمر بارسال الكتب الى جميع عماله ببلاد شمالي أفريقية بانتصاره على أبي يزيد ، وبما أفاء الله عليه من فتح (٣٣٤) ، وجاءت الوفود الى المنصور بالله مهنئين ، والشعراء مادحين بالقضاء على ثورة أبي يزيد (٣٣٥) .

وبذلك أخففت ثورة أبي يزيد مخلص بن كيداد الزناتى بعد أن حقق الكثير من الانتصارات على الفاطميين ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من القضاء على خلافتهم ، اذ استولى على كل أفريقية فيما عدا المهدية عاصمة الخلافة الفاطمية (٣٣٦) ، وبلغ الخطر الزناتى على الفاطميين أقصى مداه (٣٣٧) ، ولكن حالت عوامل عدة دون تحقيق الهدف ، ومن المحقق أن استبسال كنامة وصنهاجة في الدفاع عن الفاطميين كان من

(٣٣١) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ ، ويذكر رزق الله منقريوس ، أن الذى قتل أبا يزيد هو أحد أصحابه ، ثم أحضر رأسه الى المنصور بالله ، (دول الاسلام ، ١ ص ٣٢٧) ، وربما خلط بين أبي يزيد وابنه فضل ، انظر ، بعده .

(٣٣٢) ابن الخطيب ، ٣ ص ٥٤ ، ابن خلدون ، ٤ ص ٤٤ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ .

(٣٣٣) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ، أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦١ ، مع اختلافات بسيطة في التفاصيل ، أما ابن عذارى فيذكر أن أبا يزيد وضع في قفص وهو مازال حيا ، وجيء به الى المنصور بالله بالمهدية ، فمقله وصلبه على باب المهدية ، ثم أمر بسلخه وحشو جلده قطنا وصلبه ، (البيان ، ١ ص ٢٢٠) .

(٣٣٤) الجوزى ، سيرة ، ص ٥١ ، أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٣ .

(٣٣٥) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، انظر .

Cherbonneau, Op. Cit., P. 498

(٣٣٦) ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص ٢٠ .

(٣٣٧) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ .

أهم العوامل التي سببت فشل زناتة في إسقاط الخلافة الفاطمية ، وكان الخليفة الفاطمي المنصور بالله الذي قاد جيوش الخلافة بنفسه ، واشترى ولاء صنهاجة وعجيسة من البرانس بما أغدقه عليهم من أموال (٣٣٨) ، سببا في القضاء على الثورة ، وقتل زعيمها الذي التفت حوله بطون زناتة افريقية •

وتحامل غالبية المؤرخين من سنة ومتعاطفين مع العلويين وشيعة على أبي يزيد ، فاتهمه ابن الأثير وابن الخطيب وغيرهما ، بأن مذهبه كان تكفير أهل السنة ، وأنه كان يستحل دماء وأموال المخالفين لمذهبه (٣٣٩) ، كما كان يستحل نساءهم وأعراضهم (٣٤٠) ، وأنه كلما دخل بلدا قتل الرجال وسبى النساء والأطفال ، وقطع الأعضاء وبقر البطون (٣٤١) ، وأنه ترك جنده يقتلون وينهبون القيروان بعد أن استولى عليها حتى خربت (٣٤٢) ، ويردد المتعاطفون مع العلويين من المؤرخين ذلك (٣٤٣) ، أما مؤرخو الشيعة فمن الطبيعي أن يرددوا نفس الاتهامات بل ويزيدوا عليها ، فهو في نظرهم مارق عن الدين (٣٤٤) ، وتخلّى عن المبادئ التي ثار من أجلها (٣٤٥) ، وكان يعمل من رعوس

(٣٣٨) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٧ ، ٢٩ •
(٣٣٩) الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٣ - ٥٤ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ •

(٣٤٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، التجاني ، رحلة ، ص ٣٢٨ •
(٣٤١) التجاني ، رحلة ، ص ٢٧ ، باقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٢٥ - ٢٦ ، ٤٣٣ •

(٣٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ •
(٣٤٣) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٠ ، ويضيف ابن خلدون أن أبا يزيد كان يجاهر بالمحرمات ، (نفسه ص ٤٢) •

(٣٤٤) اذ يذكرون أنه كان يرى الجمع بين الأحثين بملك اليمين ، (ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٠) ، ويفض الأخوة الأبكار في فراش واحد ، ابن النديم ، المهرست ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، كتاب زهر المعالي ، ص ٧٩ •
(٣٤٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ٢٠ •

القتلى أكواما ويأمر المؤذنين بالأذان عليها (٣٤٦) .

وليس من شك في تجنى هؤلاء المؤرخين على أبى يزيد ، ويستشف ذلك مما ذكروه من أخبار عنه ، فقد تعلم انقران وعلمه (٣٤٧) ، ودرس الفقه ومذاهب الإباضية المختلفة حتى رأس في الفتن (٣٤٨) ، وكان من مشاهير حملة العلم في البربر (٣٤٩) ، وأحد أئمة الإباضية النكار (٣٥٠) ، بل تفرد بإمامة الإباضية النكارية في عصره (٣٥١) ، والمذهب الإباضى أقرب المذاهب الإسلامية لاهل السنة (٣٥٢) ، اذ أنه لا يستحل الدماء والأموال والفروج لمخالفهم ، ولم يستحلوا من أموالهم سوى الخيول والسلاح ، أما الذهب والفضة فتد إلى أصحابها (٣٥٣) ، كما أن الخوارج على وجه العموم مشهورون بالزهد ، لأنهم أهل عبادة ونسك (٣٥٤) ، وكان أبو يزيد مثالا لهم (٣٥٥) ، فقد خرج غضبا لله (٣٥٦) ، ولم يكن يلبس الا الخشن من الصوف ، ولا يركب الاحمارا (٣٥٧) ، وكرس حياته لدعوته ، فكان مثالا

-
- (٣٤٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٦ .
 - (٣٤٧) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ .
 - (٣٤٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ .
 - (٣٤٩) نفس المصدر والصفحة .
 - (٣٥٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٦ ، السطر الأخير .
 - (٣٥١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ .
 - (٣٥٢) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٤٢ ، مغربيات ، ص ٧٨ .
 - (٣٥٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ١ ص ٨٢ ، انظر ، البشبيشى ، الفرق الإسلامية ، ص ٤٧ - ٤٩ .
 - (٣٥٤) انظر ، العبادى ، في التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٢٣٣ ، البشبيشى ، نفس المرجع ، ص ٥٢ .
 - (٣٥٥) اذ كان أبو يزيد كثيرا ما يتمثل قول الشاعر .
 - إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بصائر
 - (ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢١) .
 - (٣٥٦) الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويرى ، نهاية ، ورقة ٢٦ .
 - (٣٥٧) نفس المصادر والورقات ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 382

للرجل العظيم (٣٥٨) ، فقد أخذ نفسه بالاحتساب على الناس والولاية وجباة الضرائب في أعمالهم وأفعالهم حتى صار له جماعه يعظمونه قبل الفياض بثورته (٣٥٩) ، وقام بتورته وهو في سن الثمانين وبعد أن بلغ الستين من العمر (٣٦٠) ، ولم يكن شاباً كما ذكر البعض (٣٦١) ، وقد أعطى أبو يزيد ، الذي عرف بشيخ المؤمنين (٣٦٢) ، الكثير من المدن التي فتحها الأمان ، ولم يلجأ إلى أساليب البطش إلا حين تعمدت عليه هذه المدن ، وانضمت إلى خصومه (٣٦٣) ، وهذه طبيعة الحرب ، فما فعله الجيش الفاطمي في أنصار أبي يزيد بعد أن استردوا مدينة سوسة في أول عهد المنصور بالله ، يفوق في قسوته كل ما وصف به أبو يزيد من بطش بالمدن . ومما يدحض أقوال المؤرخين عن استباحة أبي يزيد لمدينة القيروان بعد أن استولى عليها من أيدي الفاطميين ، انضمام فقهاء القيروان إليه بعد استيلائه على المدينة ، وخروجه لمحاربة الفاطميين ، واثارتهم لاهل القيروان بالخطب الحماسية ، لينضموا إليه في قتال الفاطميين ، وخروج أولياء القيروان وفقهائها معه وعلى رأسهم أبو العرب تميم المحدث المشهور (٣٦٤) ، الذي أسر وقتل في إحدى المعارك مع الفاطميين (٣٦٥) ، ثم خروج وفد من أهل

Provinçal, Histoire, Vol. 2, P. 103; Le Tourneau, Op. Cit., P. 123

(٣٥٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقرئ ، انعاظ ، ص ١٠٩ .

(٣٦٠) ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص ١٩ ، Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, Vol. I, P. 163 ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٣ ، بونار ، المغرب العربي ، ص ١٧٠ .

(٣٦١) أنظر ، النصولي ، الدولة الأموية ، ١ ص ١١٧ .
(٣٦٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ ، أنظر ، العبادي ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ .
(٣٦٣) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخولج ، ص ١٨٨ .
(٣٦٤) الدباغ ، معالم ، ٣ ص ٤٤ ، ٧٥ ، أنظر

Idris, Op. Cit., PP. 81 — 82

(٣٦٥) أنظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ٣ ص ٧٩ .

القيروان وعلى رأسهم تميم بن أبي العرب الى الناصر لدين الله الاموي خليفة الاندلس يطلبون منه مد يد العون والمساعدة الى أبي يزيد (٣٦٦) ، كما أن شاعر القيروان أبا القاسم محمد بن عبد الله الفزاري نفسه مدح أبا يزيد (٣٦٧) .

وقصارى الفول ، علينا ان نضع في الاعتبار « ان المنتصر دائما صاحب الحق ، وصاحب الصورة المشرفة ، بينما الويل كل الويل للمغلوب » (٣٦٨) ، ومما لا شك فيه أنه لو قدر لثورة أبي يزيد مخلد الزناتى النجاح ، لصار هو من مشاهير التاريخ (٣٦٩) .

وقد حاول فضل بن أبي يزيد الاستمرار بالثورة التى بدأها أبوه وراح صحتها ، فعمل على استنفار بطون زناته ، وذهب الى شيخى بنى واسين الزناتيين أبي القاسم وأبى خزر يستنصرهما ، فرفض الانضمام اليه (٣٧٠) ، لما كان بين القبيلتين الزناتيتين من حروب وثارات قديمة (٣٧١) ، الا أن معبد بن خزر انضم اليه فى بعض قومه مغرة الزناتية ، وأغاروا على الجيش الفاطمى فتصدى لهم زيرى بن مناد فى عساكر صنهاجة ، واستطاع ردهم على أعقابهم (٣٧٢) ، ثم أرسل المنصور بالله الفاطمى جيشا بقيادة مولايه شفيق وقيصر لمطاردة فضل بن أبي يزيد ومن معه من زناته ، فظلوا على مطاردتهم حتى انقطع أثرهم (٣٧٣) ،

(٣٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ٢٢٨ - ٢٢٩ ، انظر
Provinçal Histoire, Vol. 2, PP. 103 — 104.

العربى ، ٢ ص ١٠٤ .

(٣٦٧) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٢ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الادب

العربى ، ٢ ص ١٠٤ .

(٣٦٨) انظر ، ماجد ، العصر العباسى الاول ، ١ ص ٢٩٦ .

(٣٦٩) انظر ، Fournel, Op. Cit., P. 275

(٣٧٠) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٦ .

(٣٧١) الشماخى ، الصير ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٣٧٣) نفس المصدر والصفحة ، انظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ،

سيرة جوذر ، ص ١٨٠ .

وما إن عاد الجيش الفاطمي حتى عاد فضل ومن معه من زناتة ثانيه يغيرون على حورة قسطينيه ، فخرج المنصور بالله الفاطمي بنفسه في جيش عظيم ليرهبهم ، فتوغلوا في الصحاري هربا من مواجهته ، وظلوا بها حتى عاد المنصور بالله بجيشه الى القيروان (٣٧٤) ، ثم عاد فضل من جديد الى جبل أوراس ، وضرب الحصار حول مدينة باغايه ، الا أن بعض أصحابه غدروا به وقتلوه ، وخملوا رأسه الى المنصور بالله ، فطيف برأس فضل في القيروان (٣٧٥) ، وعاد المنصور بالله الى المهديّة مطمئن البال في رمضان سنة ٣٣٦ هـ / مارس ٩٤٨ م (٣٧٦) .

وبعد أن عاد أيوب بن أبي يزيد من قرطبه — وبعد مقتل أخيه فضل — عمل على إثارة عصييته من بني يفرن للأحد بنار زعيمها ، ولكنه اغتيل قبل أن يتم مهمته ، ادّاعناله عبد الله بن بكار اليفرنى ، وقدم رأسه الى المنصور بالله تقربا اليه (٣٧٧) ، وتتبّع المنصور بالله الفاطمي بطون زناتة بافريقية ، وبخاصه بنى يفرن الزناتيين ، بالسطوة والقهر ، وانزال العقوبات بالأنفس والأموال (٣٧٨) ، ولم تستطع بطون بنى يفرن بافريقية أن تتكاثر سوا أمام هذا الخطر المشترك ، فلم تصمد طويلا أمام هجمات المنصور بالله وصفهاجة ، لأنهم كانوا يعيشون متفرقين وغير مترابطين ، وليس تحت سقف خيمة واحدة مثل مغراوة الزناتية على حدّ تعبير جوتييه (٣٧٩) . ولم يفلت عبد الله بن بكار من قصاص زناتة إذ استطاع الخير بن محمد بن خزر زعيم مغراوة بالمغرب الأوسط القبض عليه وأرسله الى يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بنى يفرن

(٣٧٤) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٥ .

(٣٧٥) ابن حماد ، أخبار بنى عبّيد ، ص ٣٨ .

(٣٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٨ ، الدرجيني ، طبقات ٧٦ ورقة

٤٦ .

(٣٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٧

ابن حماد ، أخبار بنى عبّيد ، ص ٣٩ .

(٣٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٧ ، ٤٣ .

(٣٧٩) أنظر ، Le Passé, P. 388

الزناتيين بالمغرب الأوسط للثأر منه (٣٨٠) .

لقد كان قسمل ثورة أبي يزيد الزناتي ، انهيارا لبطون زناتة بافريقية (٣٨١) ، ولكنها اعطت الفرصة لزناتة المغرب الأوسط لاستعادة سلطانها عليه ، فما أن شغل الفاطميون بثورة أبي يزيد حتى خرجت مغراوة الزناتية يقودهم الخير بن محمد بن خزر وأخوه وعمه ، وبنو يفرن يقودهم زعيمهم يعلى بن محمد اليفرنى الى تاهرت واستولوا عليها عنوة (٣٨٢) وأخرجوا منها واليها الفاطمي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / يناير ٩٤٥ م (٣٨٣) ، وأرسل زعيم مغراوة الخير بن محمد بن خزر بالنصر الى خليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر نكاية في الفاطميين ، وأقام الخطبة على منابر تاهرت باسم الناصر الأموي (٣٨٤) ، ليتخذ حكمه صفة المشروعية ، فعقد الناصر الأموي لزعيم مغراوة على تلمسان وأعمالها ، ولزعيم بنى يفرن على بقية ولايات المغرب الأوسط (٣٨٥) . وبذلك خرج المغربان الأوسط والأقصى كليهما على طاعة الفاطميين ، وخطب للناصر الأموي على المنابر ما بين تاهرت وطنجة (٣٨٦) ، إذ كان أمراء الادارسة بالمغرب الأقصى خلعوا طاعة الفاطميين ، وأعلنوا ولاءهم لخليفة الأندلس (٣٨٧) .

(٣٨٠) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٢ ، ويبدو أن عبد الله بن بكار هذا لم يكن من عليه القوم أوروساء بنى يفرن ، بل كان فردا عاديا من هذه الممبيلة الزناتية ، إذ يذكر ابن عذارى أن أمير بنى يفرن يعلى بن محمد رفض أن ينتقله أخذا بالثأر لأنه ليس كفء لعبد ، ودفع به الى رجل من البربر كان عبد الله بن بكار قتل ابنه ، فقتله به ، (البيان ، ٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٣) Gautier, Op. Cit., P. 387

(٣٨١) أنظر

(٣٨٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

(٣٨٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ .

(٣٨٤) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ .

(٣٨٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، أنظر ،

O'leary, Op. Cit., p. 91

(٣٨٦) نفسه ، ص ١٧ .

(٣٨٧) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(م ١٦ - زناتة والخلافة الفاطمية)

ويبدو أن محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتية وأمير تلمسان شعر بنفسه قوة بعد أن استولت زناته على المغرب الأوسط ، وبالفاطميين ضعفا بعد أن أنهكتهم ثورة أبي يزيد فعاد سيرته الأولى ، وأغار على أراضي الخلافة الفاطمية المتاخمة للمغرب الأوسط سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ، فقاد المنصور بالله الفاطمي جيشا بنفسه ، وخرج معه جنود صنهاجة وكتامة ، والتقى مع محمد بن خزر ومن معه من زناته ، وتمكن من هزيمته ، واضطره الى التراجع (٣٨٨) ، والغالب على الظن أن هذه الموقعة التي انتصر فيها المنصور بالله الفاطمي على زناته المغرب الأوسط كانت دافعا الى العمل على استرداد مدينة تاهرت من أيدي بني يفرن الزناتيين ، فأعد العدة لذلك ، واجتمعت اليه عساكر صنهاجة يقودهم زيري بن مناد ، ورحلوا الى تاهرت واستخلصوها من أيدي بني يفرن الزناتيين قبل أن تنتهي سنة ٣٣٦ هـ / (٩٤٧ - ٩٤٨) م (٣٨٩) ، وولى عليها المنصور بالله الفاطمي مولاة ميسورا ، إلا أنه أساء السيرة مع أهلها فاستدعوا محمد بن خزر الزناتيين وابنه الخير ومن معهم من زناته ليخلصوهم من سطوة الوالي الفاطمي ، ورحب زعيم مغراوة بالفرصة وزحف على تاهرت في جمع كبير من زناته (٣٩٠) ، والتقى الجمعان وكادت زناته تفخر المعركة ، فكر فرسانها على ميسور ومن معه ، واستطاعوا هزيمة الجيش الفاطمي ، وأسر ميسور وكثير من أصحابه ، ودخل الخير بن محمد بن خزر مدينة تاهرت في ذي القعدة سنة ٣٣٨ هـ / أبريل ٩٥٠ م (٣٩١) ، ثم اضطرب أمر تاهرت على مغراوة الزناتية ، واستولى عليها يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بني يفرن من يد أبناء عمومته ، وظل واليا عليها حتى خرج جوهري قائد الفاطميين بحملته على المغرب الأقصى سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م (٣٩٢) .

(٣٨٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٨ .

(٣٨٩) ابن خلدون ، المعبر ، ٤ ص ٤٥ .

(٣٩٠) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٨ .

(٣٩١) ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٣٣٢ .

(٣٩٢) ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ١٩٨ .

ولم يحاول المنصور بالله استعادة المغرب الأوسط من أيدي زناتة ثانية ، واكتفى في مناوئتهم بأن رماهم بزعيم صنهاجة ، فتحول الصراع بين زناتة والفاطميين الى صراع قبلى بين زناتة وصنهاجة ، وأغار زعيم صنهاجة على مضارب زناتة ، فحاصرت زناتة مدينة أشير قصبة زيرى بن مناد زعيم صنهاجة ، ودارت معارك عديدة بين القبيلتين قتل فيها كثير من الفريقين (٣٩٣) ، ويبدو أن هذه المعارك كانت اغارة من جند صهاجة على مضارب زناتة ، فيرد فرسان زناتة بالاغارة لتثأر لنفسها ، أى أن معاركهم كانت من ذلك النوع من الصراع القبلى ، الذي تتحدد فيه غاية كل قبيلة في قتل فرسان القبيلة الأخرى ، وتخریب مضاربها .

أما معبد بن خزر الزناتى الذى ناصر أبى يزيد ، ولم يتخل عنه وقت الشدة مثلما فعل أخوه محمد بن خزر زعيم مغراوة ، ثم ناصر فضل بن أبى يزيد حتى أغتيل فضل ، وقضى على ثورة أبى يزيد نهائيا (٣٩٤) ، فلم يعد الى مضارب قومه بالمغرب الأوسط ، وإنما ظل يغير على أراضى الفاطميين ، ويفر الى الصحراء عندما تطارده قوات المنصور بالله الفاطمى ، حتى سقط أخيرا فى الأسر ومعه ابنه ، واقتيدا الى المنصور بالله ، فطيف بهما فى أسواق العاصمة ، ثم أمر المنصور بالله بقتلهما سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م (٣٩٥) .

ولم تقف آثار ثورة أبى يزيد الزناتى على الفاطميين عند حد خروج المغربين الأوسط والأقصى عن طاعتهم ، وخضوعهما لامراء زناتة ، وإنما كانت لها نتائج أخرى على سياسة الفاطميين الخارجية والداخلية ،

(٣٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ .

(٣٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

(٣٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٥ ، ويذكر ابن خلدون فى موضع آخر أن المنصور بالله استقطاع القبض على محمد بن خزر زعيم مغراوة سنة ٣٤٠ هـ ، وقتله ونصب رأسه بالقيروان ، (العبر ، ٧ ص ٢٦) ، إلا أن محمد ابن خزر ظل على قيد الحياة حتى خلافة المزمز الفاطمى الذى خلف المنصور بالله ، انظر ، بعده .

فقد كانت سببا في توقف الحملات الفاطمية على مصر (٣٩٦) ، اذ استنفذت كل جهود الفاطميين ، « وجعلت خزائنها خلوا من البيضاء والصفراء ، ولولاها لأتيح للفاطميين فتح مصر على أهون سبب » (٣٩٧) كما كان لها أثرها على اهتمام الفاطميين بالأسطول ، وحركة الفتح في البحر المتوسط (٣٩٨) ، فتوقفت هجمات الفاطميين على السواحل الأوربية حتى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م (٣٩٩) . والغالب على الظن أن الأسطول الفاطمي توقف هو الآخر عن العمل ، وتوقفت خطوط التجارة بين الفاطميين والدول الأخرى ، مما حدا بالمنصور بالله الفاطمي - وهو يطارد أبا يزيد - أن يرسل إلى مولاة جوذر نائبه على المهدي يطلب منه صنع السيوف بالمهدية ليستعملها في معاركة مع أبي يزيد بدلا من السيوف اليمانية والأفريقية التي كانت مستعملة في شمالي أفريقيا إلى ذلك الحين ، والتي كانت تستجلب من أفريقية واليمن مع التجارات المتبادلة بينهما (٤٠٠) .

ولأن الحياة الاقتصادية تتأثر بأقل الأحداث السياسية التي تحدث ذعرا في النفوس (٤٠١) ، فمثل هذه الثورة كانت سببا في أن تعطلت الزراعة وركدت حركة التجارة في شمالي أفريقيا ، هذا إلى جانب ما خربته الحرب من المدن ، وما دمرت من المحاصيل ، وما قتل من الأنفس ، ولعل هذا الدمار واضمحلال الموارد في شمالي أفريقيا كانا سببا في انضمام سكان المدن إلى الفاطميين والثورة على أبي يزيد ، لأنه كان عليهم أن يختاروا بين مساعدة الفاطميين لتحقيق الاستقرار والأمن ، أو يرتضوا الموت إذا ما استمرت

(٣٩٦) أنظر ، ماحد ، ظهور ، ص ٩٨ .

(٣٩٧) أنظر ، حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدي ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ،

المعز لدين الله ، ص ٢٤ .

(٣٩٨) أنظر ، دياب ، سياسة الدول الإسلامية ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣٩٩) أنظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ٢٣٥ .

(٤٠٠) الجوزدي ، سيرة ، ص ٤٧ ، أنظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ،

سيرة جوذر ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤٠١) أنظر ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٣ مامش .

الحرب (٤٠٢) • وليس هناك من شك فيما أفسدته هذه الثورة ، إذ قضى الخليفة الفاطمي المنصور بالله سنوات حكمه بعد القضاء على الثورة ، في تنظيم البلاد ، وإصلاح ما أصابها من الخراب والدمار والفساد (٤٠٣)

ورغم ما أفسدته الثورة ، فقد كان لها نتائجها الطيبة على الفاطميين ، إذ كان خروجهم ظافرين من هذه المحنة من أهم العوامل التي ساهمت في دعم نفوذهم ببلاد المغرب (٤٠٤) ، وسببا في انضمام قبيلة صنهاجة اليهم ، لأن أبا يزيد كان زناتيا وتؤيده قبيلة زناتة المنافسة لصنهاجة (٤٠٥) • ولا غزو فان انضمام قبيلة صنهاجة الى الفاطميين كان كسبا كبيرا لهم ، ساعدهم على دعم نفوذهم بأفريقية والمغربين الأوسط والأقصى ، وحمل عنهم معظم عبء حرب قبيلة زناتة ، حتى أنه يمكننا القول أن فترة حكم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في شمالي أفريقيا قامت على الصراع بين زناتة وصنهاجة ، « فكلما ثار أحد زعماء زناتة رماه المعز بقرينه زيري بن مناد الصنهاجي » على حد قول المؤرخ ابن خلدون (٤٠٦) •

كما كان لهذه الثورة أثرها على الاتجاه المذهبي والسياسة المالية التي اتبعتها الفاطميون مع رعاياهم ، فقد غير المنصور بالله ما اتبعه سلفه ، فبعد عن التعصب المذهبي ، وأظهر تعظيم الشريعة (٤٠٧) ، وعمل على التقرب من الفقهاء والصالحين من أهل السنة (٤٠٨) ،

Gautier, Op. Cit., P. 385

(٤٠٢) أنظر ،

(٤٠٣) أنظر ، حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٢ ، بونار ، المغرب

O'leary, Op. Cit., PP. 91 — 92

العربي ، ص ١٧٣ ،

(٤٠٤) أنظر العبادي ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ ٢٠٢ ، محمود

اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٨٨ •

(٤٠٥) أنظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ ، العادي ، في تاريخ المغرب

والاندلس ، ص ٢٠٥ •

(٤٠٦) العبر ، ٦ ص ١٥٤ •

(٤٠٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ •

(٤٠٨) الديباغ ، معالم ، ١ ص ٢٦ •

ويؤكد ذلك ما ذكره القاضي عبد الجبار من أن « اسماعيل المنصور بالله الخليفة الفاطمي الثالث قد تظاهر بعد هزيمة أبي يزيد بالعودة الى الاسلام، فقتل الدعاة، ونفى بعضهم الى الأندلس وإلى بلاد أخرى، وقال للعامة، من سمع منكم أحد يسب النبي فليقتله وأنا من ورائه، وقرب اليه الفقهاء والمحدثين، واستمع اليهم، كما خفض الضرائب، وأظهر ولعاً بالفقهاء » (٤٠٩)، كما عمد المنصور بالله الى تغيير السياسة المالية التي اتبعها سابقوه، فأبطل المظالم (٤١٠)، وأسقط الخراج عن الرعية حتى صلحت أحوالهم (٤١١)، وخفف من الضرائب. إلا أن ابن عذاري يسوق لنا من أخبار المنصور بالله الفاطمي ما لم يذكره غيره، اذ يذكر أن المنصور بالله بعد أن قضى على ثورة أبي يزيد عاد الى القيروان في نفس السفينة، وقتل من أهلها خلقاً وعذب آخرين، ولم يزل أهل القيروان معه في الامتحان الى أن هلك، ويضيف ابن عذاري أنه نقل هذا عن ابن حمادة (٤١٢) . وليس هناك من شك في أن ما ذكره ابن عذاري — الذي اعتدنا منه الاضطراب في أحداث ثورة أبي يزيد فقط — لا يصمد للنقد، اذ خالف فيه غالبية المؤرخين الذين تحاملوا على الفاطميين والذين دافعوا عنهم .

ولم يكن الطاهر اسماعيل قد غير شيئاً من رسوم الخلافة بعد وفاة القائم بأمر الله سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م، وحتى قضى على ثورة أبي يزيد ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م، فاتخذ لقب المنصور بالله (٤١٣)، وقام بسك

(٤٠٩) وهذا النص من كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد — مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا، وقد اقتبسناه نقلاً عن د . محمود اسماعيل من كتابه، الخوارج، ص ١٨٩ .

(٤١٠) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٩ .

(٤١١) الدباغ، معالم، ١ ص ٢٦ .

(٤١٢) البيان، ١ ص ٢٢٠ .

(٤١٣) الجوفري، سيرة، ص ٤٦، إلا أن د . مشرفة يذكر أن لقبه هو المنصور بنصر الله، (انظر، نظم الحكم، ص ٩) .

أول عمله باسمه سنة ٣٣٦ هـ / (٩٤٧ — ٩٤٨) م (٤١٤) ، واتخذ عاصمة جديدة للخلافة ، اذ سبق له أن أمر بإعادة تخطيط مدينة صبرة (٤١٥) ، وأمر فتاه مدام ببناء سور حولها ، وبناء قصر الخليفة بها ، في الوقت الذي كان يطارد أبا يزيد الزناتى ، وانتقل المنصور بالله الى عاصمته الجديدة في جمادى الآخرة سنة ٣٣٦ هـ / يناير سنة ٩٤٨ م (٤١٦) وأسمها المنصورية (٤١٧) ، ونقل اليها سوقة القيوان ، (٤١٨) وقد ظلت المنصورية ، التى تقع على نحو نصف ميل من القيوان ، (٤١٩) ، وعلى الطريق بين طرابلس وقابس (٤٢٠) ، دار ملك للفاطميين حتى انتقلوا الى مصر (٤٢١) .

(٤١٤) أنظر ،

Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum. Vol. 4, P. 6

(٤١٥) يذكر ياقوت أن المنصورية من بناء مناد بن بلكين وسميت بالمنصور بن يوسف بن زيرى بن مناد ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣٦ ، ولم يختلف المؤرخون والجغرافيون على أنها من بناء اسماعيل المنصور بالله . (٤١٦) ابن الأبار ، الرحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، ويذكر ابن حماد أن المنصور بدأ فى إعادة تخطيط صبرة سنة ٣٣٤ هـ ، (أخبار بنى عبید ، ص ٣٣) ، وانتقل اليها سنة ٣٣٦ هـ ، (نفس المصدر ، ص ٣٨) ، إلا أن التجانى يذكر أن انتقال المنصور بالله الى المنصورية كان فى أول سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ، (رحلة ، ص ٣٢٨) ، ويذكر آخرون أن المنصور بالله أنشأ عاصمته الجديدة موضع الموقعة التى أسر فيها أبا يزيد وانتقل اليها سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ، (ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٧ ، ابن ظافر ، أخبار ، ص ١٨) .

(٤١٧) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص

٣٨ .

(٤١٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٩ .

(٤١٩) نفس المصدر والصفحة .

(٤٢٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٧ .

(٤٢١) ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص ٢٣ ، التجانى ، رحلة ،

ص ٣٢٨ .

ومجمل القول ، ان بطون زناتة بافريقية خضعت لطاعة الفاطميين مرغمة ، وأراد القائم بأمر الله الفاطمي أن يكمل حصار مضارب زناتة المغرب الأوسط بأنصاره والخاضعين لطاعته حتى يسهل عليه لخضاعها ، اذ كانت ما تزال مستقلة بمضاربها في تلمسان وما حولها ، لكن زناتة افريقية اجتمعت حول زعيم ديني منها ، وأعلنت الثورة على الفاطميين واتخذت من المذهب الديني ستارا ، فانضم اليها بعض زناتة المغرب الأوسط ، وبعض القبائل الناقمة على الفاطميين ، وكادت هذه الثورة أن تقوض أركان الخلافة الفاطمية ، لولا صمود القائم بأمر الله ، واستبسال كتامة في الدفاع عنها ، وانضمام صنهاجة اليها ، وشجاعة المنصور بالله الفاطمي . ورغم فشل الثورة الا أنها أوقفت نشاط الفاطميين الخارجى نحو التوسع فى المشرق فترة من الزمن ، وأجبرتهم على تغيير سياستهم فى التعامل مع رعاياهم ، وان أخضعت زناتة افريقية بالسطوة والقهر ، فان زناتة المغرب الأوسط استعادت سيادتها عليه كلية . ولقد شغلت ثورة أبى يزيد الزناتى الخليفتين القائم بأمر الله والمنصور بالله (٤٢٢)، وقضى المنصور بالله البقية الباقية من حكمه فى تنظيم شئون الدولة واصلاح ما أفسدته هذه الثورة (٤٢٣) ، حتى كانت وفاته فى سلخ شوال سنة ٣٤١ هـ / التاسع عشر من مارس ٩٥٣ م (٤٢٤) ، ودفن فى قصره بالمنصورية (٤٢٥) ، واعتلى منصب الخلافة الفاطمية أحد ابنائه ويدعى معد ، واتخذ لقب المعز لدين الله ، وكانت فترة حكمه قمة ما وصلت اليه خلافة الفاطميين من عظمة (٤٢٦) .

(٤٢٢) انظر ،

Vatikiotis, Op. Cit., P. 137

(٤٢٣) انظر .

O'leary, Op. Cit., PP. 91 — 92

(٤٢٤) ابن حماد ، أخبار بنى عبید ، ص ٣٩ ، العيني ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٤٢٣ ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ١١٦ .
(٤٢٥) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ .

(٤٢٦) انظر ،

O'leary, Op. Cit., P. 93; Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84

الفصل الخامس

الصراع بين زناتة و صنهاجة

الامارات الزناتية بالمغربين الاوسط والاقصى — ظهور
صنهاجة وانضمامها الى الفاطميين — قيام جوهر الصقلي
باخضاع الامارات الزناتية بالمغربين الأوسط والاقصى
بمساعدة صنهاجة — ثورة أبي خزر الزناتى — المعز
لدين الله يعقد لزعيم صنهاجة على حرب زناتة — تشتت
زناتة المغرب الاوسط وفراؤها الى المغرب الاقصى —
قيام دولة صنهاجة بالمغرب — تشريد زناتة المغرب
الاقصى فى الصحارى •

كادت ثورة زناتة الكبرى ، متمثلة في ثورة أبي يزيد الزناتى ، تطيح بالفاطميين وتقضى على خلافتهم ، لولا أن ساندتهم قبيلة صنهاجة ، حيث هي وزناتة يعتبران من أكبر القبائل البربرية في المغرب فحينما تولى المعز لدين الله الفاطمى منصب الخلافة بعد المنصور بالله كان المغربان الاوسط والاقصى خارجين على طاعة الفاطميين وفي أيدي أمراء زناتة (١) ، بل كانت منطقة جبل أوراس في افريقية نفسها متمردة على طاعة الفاطميين (٢) ، اذ كانت ملجأ لكل الخارجين على طاعتهم (٣) ، لوعورتها وصعوبة ارتياد الجيوش لها .

ومما لا شك فيه أن انتصار الفاطميين السابق كان عاملا حاسما في الصراع بينهم وبين قبيلة زناتة ، الا أنه كان من الضروري اقتلاع جذور المخاطر ، بالقضاء على قوة زناتة ، ولذلك صمم المعز لدين

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، ويصور ابن خلدون حالة شمالى افريقيا حين ولى المعز لدين الله الفاطمى امر الخلافة بقوله « كان على أشير وأعمالها زيرى بن مناد الصنهاجى ، وعلى المسيلة جعفر بن على الاندلس ، وعلى باغاية وأعمالها قيصر الصقلى ، وعلى تاهرت وافكان بعلى بن محمد اليفرنى الزناتى ، وعلى فاس أحمد بن أبى بكر الزناتى ، وعلى سبلماسة محمد بن واسول المكناسى » ، (العبر ، ٤ ص ٤٦) ، كما كان على تلمسان وأعمالها بنو خزر الزناتيون ، (العبر ، ٧ ص ٢٦) ، وكان زيرى بن مناد مواليا للفاطميين ، أما جعفر بن على وقيصر الصقلى فكانا عمالا من قبل الخليفة الفاطمى .

(٢) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ .

(٣) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٣٤ .

الله على أن يجعل قبيلة صنهاجة تستمر في دورها في مساندة الفاطميين ، فاستغل العداء والمنافسة بينها وبين قبيلة زناتة لتحقيق هدفه ، وفتح تمرد بطون زناتة المستمر على الفاطميين ، ولذا اتسمت فترة حكم المعز لدين الله في المغرب بالصراع بين قبيلة زناتة التي عادت الخلافة الفاطمية ، وقبيلة صنهاجة التي والنهم ، وقد صور المؤرخ ابن خلدون - السدي أرخ لقبائل البربر بالمغرب - هذا الصراع في دقة حين ذكر بأنه « كلما ثار أحد زعماء زناتة رماه المعز بمنافسه زيرو بن مناد زعيم صنهاجة » (٤) .

ونذكر بأن بطون زناتة بالمغربين الاوسط والاقصى - أثنياء ثورة أبي يزيد الزناتي - قد بسطت سلطانها على المغرب الاوسط وجل المغرب الاقصى بمساعدة الخليفة الاموي في الاندلس عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وأقامت له الدعوة على المنابر (٥) ، ولا يعنى ذلك خضوع أمراء زناتة بالمغربين الاوسط والاقصى للخليفة الاموي بالاندلس ، وانما اقامتهم الدعوة له كانت حجة أو تكتة ليكتسب حكمهم مشروعيتها (٦) ، لانه في ذلك الوقت لا شرعية لحكم بدون مسند شرعى من خليفة ، وكان عبد الرحمن الناصر قد اتخذ لقب الخلافة في مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ / ١٦ يناير ٩٢٩ م (٧) ، ثم وصلت

(٤) العبر ، ٦ ص ١٥٤ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ .

(٦) انظر ، شعيرة ، المرابطون ، ص ٧١ .

(٧) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢١٢ ، انظر ، النصولى ، الدولة الاموية ١ ص ١١٣ ، الباشا ، الالقاب الاسلامية ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ، وقد اختلف المؤرخون حول السنة التي أعلن فيها عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة بالاندلس ، وحول الاسباب التي من أجلها اتخذ لقب الخلافة ، وعن ذلك انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٩٢ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٣ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١ ص ١٨٢ ، أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ١٠٢ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٥٢ ، وايضا انظر ، كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ٢ ص ٤٦٨ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٤ ،

Lewis, The Arabs, P. 124. Hassan Abraham, Relations, P. 53; Lane-Poole, The Moors, P. 122; Scott, Op. Cit., P. 586; Read, Op. Cit., P. 73.

الخلافة الاموية بالاندلس قمة عظمتها وقوتها في فترة حكمه (٦) ،
ولذلك حتى لابن خلدون القول « أن الملك والسلطة في المغرب لم يكن
للخليفة الأموي منها شيء » (٩) ، وإنما كان لامراء البطون الزناتية ،
مثلما كان لبنى خزر أمراء مغراوة الزناتية تلمسان وأعمالها ، ولأمير بنى
يفرن الزناتيين تاهرت وما والاها (١٠) وكلاهما بالمغرب الاوسط .

ولا شك أن قوة بنى يفرن الزناتيين بالمغرب الاوسط بالذات ، كانت
قد ضعفت وخفت صوتها قبيل قيام دولة الادارسة سنة ١٧٢ هـ /
٧٨٨ م ، حيث استولى زعيم مغراوة الزناتية آنذاك — وهو منافس لزعيم
بنى يفرن — على مدينة تلمسان من أيديهم ، ثم انضم الى طاعة الادارسة ،
وحارب بطون بنى يفرن لارغامها على الخضوع للادارسة (١١) ، الا أن
نجم بنى يفرن قد عاد الى الظهور ثانية بعد أن تولى زعامتهم يعلى بن
محمد اليفرنى ، الذى كان على ما يبدو شجاعا طموحا على المهمة ،
فاستولى على تاهرت مع مغراوة الزناتية أثناء ثورة أبى يزيد ، ثم
استخلصها لنفسه وقومه ، وأصبح واليا عليها من قبل الخليفة
عبد الرحمن الناصر الاموى (١٢) ليعطى حكمة نوعا من الشرعية .

وقد اجتمعت بطون بنى يفرن الزناتيين ، وبعض البطون الزناتية
الآخري الى يعلى بن محمد حتى كثر جمعة ، ولأن أهل تاهرت لم يكونوا
كلهم من زناتة ، وكثيرا ما ثاروا على أمرائها الزناتيين ، فقد عمد
يعلى بن محمد اليفرنى الى اتخاذ مدينة جديدة تكون مركزا لمارته ،
وتجتمع حولها البطون الزناتية التى دانت له بالولاء والطاعة ، وبدأ
فى تأسيسها فى سفح جبل يقع بين مضارب زناتة سنة ٣٣٨ هـ (٩٤٩ —

Hole, Andalus, P.P. 23 — 24, 86.

(٨) انظر ،

(٩) المقدمة ، ص ٣٧٤ .

(١٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

(١١) انظر ، قبله .

(١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ ، انظر ،

Terrasse, Op. Cit., P. 185.

٩٥٠ (١٣) ، وعلى بعد ثلاث مراحل شرق تاهرت (١٣) ، واسماها افكان (١٥) ، ثم انتقل اليها بعض أهالى المدن التى حولها ، وان ظل الزناتيون بها هم الأغلبية ، فعمرت المدينة وعظمت وتمدنت (١٦) ، وبنى بها جامع وحمامات وفنادق وقصور (١٧) ، وحولها سور غاية فى الارتفاع والعرض (١٨) ، واتخذها زعيم بنى يفرن الزناتيين معسكرا له ومركزا لامارته طوال حياته (١٩) ، لكونها بين أهله وعصبيته ، فتكون أكثر أمنا وحماية له ولأنصاره .

وقد كانت مدينة وهران (٢٠) الواقعة — بالقرب من افكان خاضعة

(١٣) البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ ، وينسب البعض خطأ بناء مدينة افكان الى يعلى بن عبد الله بن بكار ، (انظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢١) .

(١٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، وموقع مدينة افكان على بعد خمسة عشر كيلو مترا بالجنوب العربى للمعسكر المعروف اليوم باسم افكان بالجزائر الحالية ، (انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٧) .

(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٦ .

(١٦) البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ .

(١٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٦ .

(١٨) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ : الادريسي ، بزعة ، ٣ ص ٢٥١ .

Gautier, Op. Cit., P. 393.

(١٩) انظر

(٢٠) يذكر البكرى وابن عذارى ان الذى أسس مدينة وهران احد الاندلسيين ، ويدعى محمد بن أبى عون ومعه جماعة من الاندلسيين البحريين أصحاب القرشى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، (المغرب ، ص ٧٠ ، البيان ، ١ ص ١٣٦) ، الا ان الجيلالى ، احد مؤرخي المغرب المحدثين — يذكر نقلا عن أحد المؤرخين القدامى الذى لم يمكننا الحصول على كتاباته ، ويدعى المشرف ، وهو صاحب كتاب بهجة الناظر ، « أن الصحيح في تأسيس مدينة وهران انما يرجع الى ما يعرف عن خزر بن حفص المغراوي الزناتى ، فهو الذى أنشأ مدينة وهران وبنائها على سيف البحر الرومى كما أمره بذلك أمراؤه الأمويون بالاندلس ، حيث كان يرجع اليهم بالولاء ، (انظر ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٥١) ، وفي رأينا ، انه لا تعارض في ذلك ، اذ يبدو ان أمير الاندلس آنذاك ارسل جماعة من رعيته — ويؤكد ذلك ما ذكره البكرى وابن عذارى ان جماعة الاندلسيين كانوا من أصحاب القرشى اى أمير الاندلس — الى المغرب لبناء مدينة وهران ، وكتب في نفس الوقت الى أمير مغراوة، الذى =

وما حولها من القبائل لطاعة الفاطميين من سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م (٢١) ، ولكنها كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة الى خليفة الاندلس ، اذ كانت ميرة أهل ساحل الاندلس منها (٢٢) ، بالإضافة الى أنها تشكل خطرا على مدينة افكان ومن بهما ومن حولها من زناتة بخضوعها للفاطميين ، فانتهز يعلى بن محمد اليفرنى فرصة أن طلب الناصر الاموى منه اخضاع مدينة وهران ، وقاد جموع قومه من زناتة اليها ، وشنت شمل القبائل الضاربة حولها في منتصف جمادى الاول سنة ٣٤٣ هـ / ١٦ سبتمبر ٩٥٤ م (٢٣) ، ثم استولى على مدينة وهران وأضرها نارا (٢٤) ، بعد أن نقل أهلها الى مدينة افكان في ذى القعدة من نفس السنة / مارس ٩٥٥ (٢٥) ، وأجبرت القبائل الضاربة حول وهران على خلع طاعة الفاطميين (٢٦) .

ولم يقف دور أمراء زناتة المغرب الأوسط على الاستيلاء عليه من أيدي الفاطميين ، بل زحفوا بمن معهم من زناتة الى المغرب الأقصى لاختضاع أمراء الادارسة ، الذين خلعوا طاعة بنى أمية ، واعترفوا بسيادة الفاطميين (٢٧) ، وأرسل الناصر الاموى خليفة الاندلس

= كان صاحب السلطة الفعلية على المغرب الأوسط ، بمساعدة رجاله وتسهيل مهمتهم ، أو أن محمد بن أبى عون ومن معه من الاندلس كانوا هم البنائين والعارفين بتخطيط المدن ، مارس لهم أمير الاندلس لمساعدة أمير مغراوة الزناتية في بناء مدينة وهران بعد أن امره ببنائها .

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢٢) الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٢ .

(٢٣) البكرى ، المغرب ، ص ٧١ ، انظر ، أقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٧ ، الا أن صاحب كتاب الاستبصار يذكر ان هجوم بنى يفرن الزناتيين على مدينة وهران والقبائل المحيطة بها كان بسبب الثار ، (مجهول ، ص ١٣٤)

(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٥ ، ٧ ص ١٧ .

(٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ٧١ .

(٢٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٥ .

(٢٧) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٠ .

جيشاً الى المغرب الاقصى ليساعدهم في مهمتهم (٢٨) ، وبعد أن أخضعوا أمراء الادارسة طلب يعلى بن محمد زعيم بنى يفرن الزناتيين من الناصر الاموى أن يولى رجال من زناتة على أمصار المغرب الاقصى ليضمن ولائهم وطاعتهم ، فعقد الناصر الاموى لاحد أمراء زناتة على مدينة فاس أعظم مدن المغرب الاقصى (٢٩) ، فاستخلف الامير الزناتى على ولاية فاس ابن عمه احمد بن أبى بكر الزناتى (٣٠) ، الذى أصلح جامع القرويين في فاس وزاد فيه زيادة كبيرة ، واخط

(٢٨) الجزناتى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ ، نخب ، ص ٢٤ ، انظر .
 Provincial, Histoire, Vol. 2 وقد كان الصراع قائماً بين الفاطميين بالمغرب والامويين بالاندلس بعد قيام الخلافة الفاطمية ، وكان كل منهما يؤيد ويشجع الثوار القائمين على الآخر ، فقد ايد عبيد الله المهدي عمر بن حفصون الذى ثار على أمراء الاندلس ، (انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٨) ، وقد بدأ عمر بن حفصون ثروته على أمراء الاندلس ، سنة ٢٦٧ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١٠٦) ، واستمرت سنوات عديدة حتى قضى عليها سنة ٤٠٥ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٧٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٢ ص ٣١ - ٣٢) ، وايد الامويون قبيلة زناتة في صراعها مع الفاطميين ، ولم يقف الصراع بين الامويين والفاطميين عند حد تشجيع كل منهما الثوار على الآخر ، وإنما أرسل الفاطميون جواسيساً الى الاندلس ، (انظر ، مكى ، التشيع في الاندلس ، ص ١١١ - ١١٥ ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٥ وما بعدها . Scott, Op. Cit., P. 582) وأرسل الامويون كذلك جواسيسهم الى المغرب ، (انظر ، مكى ، التشيع في الاندلس ، ص ١٢٢ - ١٢٦) ، كما استولوا على بعض مدن المغرب الاقصى ، وبدعوا بمدينة سبتة سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، (البكرى ، المغرب ، ص ١٠٤ ، المقرئ ، نفح ، ص ٣٦٧) .

(٢٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٧ ، ابن زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣١ ، ويضيف السلاوى أن خليفة الاندلس ولي يعلى بن محمد اليفرنى على مدينة طنجة واحوازها ، فنزلها في قبائل بنى يفرن ، وامضى أمره ونهيه فيها سنة ٣٤٧ هـ ، (الاستقصا ، ١ ص ١٧٩) .

(٣٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٥ ، الجزناتى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ .

صومعته ، وانتهى من ذلك في سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م (٣١) .

وقد سعى الفاطميون الى الاعتماد على قوة منافسة لزنانة ، متمثلة في صنهاجة التي كانت قبيلة كبيرة مثل زنانة ، ولم تكن قبيلة صنهاجة حليفة للفاطميين بعد ، حين قامت دولتهم بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، كما لم يكن زعيمها زيري بن مناد قد اعتنق المذهب الشيعي الفاطمي آنذاك (٣٢) ، الا أن اجتماعهما على عداء قبيلة زنانة قرب بينهما . وفي الواقع لم تكن صنهاجة قوة يخشى بأسها بالمغرب قبل أن يتزعمها زيري بن مناد هذا ، وانما قوتها بدأت تظهر مع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بفضل هذه الزعامة ، فيذكر بعض المؤرخين أن زيري بن مناد كان أول زعيم ظهر لقبيلة صنهاجة (٣٣) ، وهو نفسه شخصية استطاعت أن تجمع اليها جميع بطون صنهاجة ، وحتى قبائل أخرى من البرانس (٣٤) ، ومما يؤكد صحة ما ذكره المؤرخون من أن ظهور صنهاجة كقوة لها وزنها بالمغرب مع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أنه لم يأت ذكر

(٣١) السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٠ ، نخب ، ص ٢٤ ، ويتفق غالبية المؤرخين على أن مسجد القرويين أنشئ بمدينة فاس سنة ٢٤٥ هـ ، (ابن أبي زرع ، الانيس ، ١ ص ٧٦ - ٧٧ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠) ، الا أن احد المؤرخين المحدثين عثر على نقش يؤكد أن بناء جامع القرويين بفاس كان سنة ٢٦٣ هـ ، (انظر ، النازي ، نظرية جديدة في بناء جامع القرويين ، ص ٢٨١) ، وعن الزيادات التي أدخلها أحمد بن أبي بكر الزناتي على جامع القرويين ، (ابن أبي زرع ، الانيس ، ١ ص ٧٩ - ٨٠ ، مجهول تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ، الجزائى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٥ ، السلاوي ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٠) .

(٣٢) اليماني ، سيرة جعفر ، ص ١٢٩ ، وكانت بطون صنهاجة الضاربة حول نكور لم تخضع للفاطميين حتى اخضعهم مصالة بن حبوس قائد الفاطميين سنة ٣٠٥ هـ ، (البكري ، المغرب ، ص ٩١ ، ٩٦) ثم مالبتوا ان أعلنوا التمرد ثانية بعد عودة مصالة مباشرة ، (البكري ، المغرب ، ص ٩٧) .

(٣٣) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٦ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٣١ .

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ .

(م ١٧ - زنانة والخلافة الفاطمية)

كثير لهذه القبيلة في كتب المؤرخين القدامى - الذين كتبوا عن تاريخ المغرب - طوال القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، فيما عدا تلك القوة القليلة التي شاركت منها في ثورات البربر على الولاة الامويين والعباسيين (٣٥) •

وعلى كل حال ، فان زيرى بن مناد الصنهاجى قاد الجموع التي خضعت له - وذلك في عهدي المهدي والقائم بأمر الله - وأغار بهم على مضارب من حوله من القبائل المتنافسة ، فنال النصر مرة بعد مرة (٣٦) ، الا أن زيرى بن مناد لم يكن يستطيع أن يهاجم مضارب زناتة الموجودة بالمغرب الاوسط ، لكثرة عدد فرسانها الذين يعتبرون من أشجع فرسان البربر (٣٧) ، لذا انتهاز فرصة وجود نزاع قبلى بين زناتة وقبيلة اسمها مغيلة (٣٨) ، وقيام بعض فرسان زناتة بالاغارة على مضارب مغيلة ، وهاجم فرسان زناتة على غرة ليلا وهم مطمئنون بأرض مغيلة ، فقتل منهم عددا كبيرا وغنم ما معهم (٣٩) ، وعندما شاع خبر انتصاره على فرسان زناتة في سائر المغرب ، وتسامع به الناس عظموا أمره ، وانضمت اليه الكثير من قبائل البرانس التي كانت تتردد في حلفهم أنها من نفس جذمه ، وانضوت تحت لوائه ، فكثر جمعه حتى ضاقت بهم مضاربهم (٤٠) •

ولما لم يكن لزيرى بن مناد زعيم صنهاجة قسبة يتخذها مركزا لامارته للوقوف امام زناتة ، فانه اختار موقعا حصينا على المنحدرات الجنوبية لجبل تترى Titteri الواقعة في آخر افريقية من جهة

(٣٥) انظر ، قبله •

(٣٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ •

(٣٧) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤ •

(٣٨) وهي إحدى قبائل البتر من البربر ، وكانت مضاربها بالمغرب الأوسط •

(٣٩) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ •

(٤٠) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ١٩٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢

ورقة ٤٧ •

الغرب (٤١) ، لبناء معسكر يكون مقره له ، ومركزا لتجمع أنصاره ، وأسماء
أشير (٤٢) ، وبدأ في بنائه سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٤٣) ، فأصبحت
مدينة أشير حاجزا بين بطون زناتة الضاربة في المغرب الأوسط ، والمناطق
الخاضعة للفاطميين بأفريقية ، والتي كانت بطون زناتة دائمة الاغارة
عليها (٤٤) ، مما كان سببا في زيادة حدة العداء والمنافسة بين زناتة
وصنهاجة (٤٥) .

ما أن ظهرت قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنها ، وكانت في عداوة مع
زناتة ، حتى حرصت الخلافة الفاطمية منذ عهد القائم بأمر الله على
التقرب من زعيم صنهاجة وكسب وده - إذ كان زعيم القبيلة في ذلك
الوقت يعنى القبيلة كلها ، لانهما تأتمر بأمره ولا تخرج على طاعته -
فمناء الخليفة القائم بأمر الله بأن يكون سنده في النيل من زناتة ،
والغلبة عليها (٤٦) ، وما أن علم بشروع زييري بن مناد في بناء
مدينة أشير ، حتى أمده بالبنائين والصناع ومواد البناء (٤٧) ، وربما
كان للقائم بأمر الله يد في اختيار المنطقة التي بنيت فيها مدينة
أشير (٤٨) .

أما الانضمام الفعلي من قبيلة صنهاجة وزعيمها زييري بن مناد

(٤١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٠ ، انظر

Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84

Ency. Of Isl. (Art Zīrids), led, t. 4, P. 1229.

(٤٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ .

(٤٣) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ .

(٤٤) ابن عذاري ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ .

(٤٥) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ .

(٤٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ١٥٥ .

(٤٧) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص

٢٦٤ ، انظر ، Julien, Op. Cit., P. 66

المميز لدين الله الفاطمي هو الذي أمر ببناء مدينة أشير ، (ابن عذاري

البيان ، ٣ ص ٢٦٢) ، ويقول ابن عذاري أخذ د . حسن ابراهيم ،

(انظر ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٥١) .

(٤٨) انظر ، قبله .

الصنهاجى الى الفاطميين ، فكان فى عهد المنصور بالله الفاطمى ، وأثناء مطاردته لآبى يزيد الزناتى • ويبدو أنه لم يكن هناك اتفاق سابق بينهما ، ولم تكن صنهاجة قد والت الفاطميين بعد ، وقد فطن احد المؤرخين المحدثين لذلك ، فذكر أن انضمام صنهاجة للفاطميين أثناء ثورة أبى يزيد كان « مدد على غير انتظار » (٤٩) ، مؤكدا أن انضمام صنهاجة الى الفاطميين لم يكن مع بداية قيام دولتهم ، وانما بعد أن استوثق ملكهم بأفريقية كما ذكر ابن خلدون (٥٠) ، ومن ثم عمل زيرى بن مناد الصنهاجى على أن يحكم مراقبة بطون زناتة بالمغرب الاوسط ، فجدد مدينة مليانة (٥١) ، التى تشرف على مضارب زناتة بالمغرب الاوسط ، وأسكنها ولده بلكين مع بعض قومه (٥٢) ، كما أقام سلسلة من الحصون فى أملاكه بين مليانة وأشير ، فاستطاع أن يرد عدوان الزناتيين عن أفريقية (٥٣) •

وإذا كانت قبيلة زناتة التى عادت الفاطميين قد استولت على المغربين الاوسط والاقصى كما ذكرنا انفا ، فإن ما قام به المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين يبرز مرحلة أخرى هامة فى الوقوف أمام زناتة والقضاء على قوتها حتى لا يكون للفاطميين مناوئ بالمغرب يؤرق مضجعهم ويهدد وجودهم ، ولا سيما أن المعز لدين الله وضع نصب عينيه تحقيق حلم أجداده بتقويض دعائم الخلافة العباسية بالشرق ، وانتزاع زعامة العالم الاسلامى منها ، فقد كان التوسع نحو المشرق غاية أمل سابقة من الخلفاء الفاطميين ، وكان هو أكثرهم اصرارا وتصميما فى نقل الخلافة من المغرب الى المشرق ، لذا كان عليه أن يقضى على كل مقاومة لسلطانهم فى المغرب حتى يتفرغ لتحقيق الهدف الذى من أجله أقاموا خلافتهم بالمغرب ، « فلا نزاع فى

(٤٩) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ •

(٥٠) العبر ، ٦ ص ١٥٣ •

(٥١) وهى مدينة تقع فى آخر أفريقية من جهة الغرب ، وبينها وبين

تنس اربعة أيام ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٥٥) •

(٥٢) البكرى ، المغرب ، ص ٦٩ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٣١ ، انظر

Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1039.

(٥٣) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ •

أن الفاطميين لم يرحلوا الى المغرب ، الا ليعودوا في قوة الى
المشرق » (٥٤) •

ولذلك ما أن تولى المعز لدين الله منصب الخلافة حتى عمل على
تأصيل العداء والمنافسة بين زناتة وصنهاجة واستغلاله ، فاعتمد على
قبيلة صنهاجة في اخضاع الخارجين على طاعته وحرب زناتة ، كما اعتمد على
نفسه في استمالة زعماء القبائل البربرية المعارضين للفاطميين
فعندما أراد اخضاع منطقة جبل أوراس بأفريقية - التي كانت ملجأ
للخارجين على طاعة الفاطميين ، ولم تكن دخلت في طاعة احد من الخلفاء
الفاطميين من قبل (٥٥) ليؤمن ظهر قواته اذا ما خرجت من افريقية
لاخضاع الامارات الزناتية بالمغربين الاوسط والاقصى - جهز بلكين بن
زيري بن مفاد الصنهاجي (٥٦) ، ووجهه الى جبل أوراس سنة ٣٤٢ هـ /
٩٥٣ م (٥٧) ، فهزم بلكين بن زيري القبائل المناوئة للفاطميين به ، وشتت
جموعهم ، فاضطروا الى الفرار الى بلاد الزاب وغيرها ، وخضعت المنطقة
لطاعة المعز لدين الله الفاطمي (٥٨) •

وقد عمل المعز لدين الله - الذي كان من أعظم الخلفاء
الفاطميين (٥٩) ، كما كان عالما فاضلا جوادا سمحا شجاعا ،
حسن السيرة ومنصفا للرعية (٦٠) - على استمالة زعماء القبائل البربرية
بأفريقية بالسياسة واللين ، بدلا من العنف والقهر ، فأمر عماله على
الولايات بالاحسان الى رعاياهم ، ومعاملتهم باللين ، فأنت سياسته ثمارها
وجائته وفود القبائل البربرية طائعة ، ولم يبق احد من افريقية الا وجاء

(٥٤) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ •

(٥٥) النويري ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ •

(٥٦) ابن حماد ، اخبار بني عبيد ، ص ٤٠ •

(٥٧) المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١٣٤ •

(٥٨) ابن حماد ، اخبار بني عبيد ، ص ٤٠ •

(٥٩) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٢٩١ ، انظر
Vatikiotis, Op. Cit., P. 137.

(٦٠) ابن أبي دنيار ، المؤسس ، ص ٦٣ •

الى المعز لدين الله وشمله احسانه ، كما يذكر بعض المؤرخين (٦١) •

ويذكر بعض المؤرخين أن محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتية بالمغرب الاوسط قدم على الخليفة الفاطمي المعز لدين الله يطلب الامان لنفسه سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، ففرح المعز لدين الله بقدومه عليه وأكرمه وأحسن اليه ، وأبقىه عنده بالقيروان حتى توفي بها سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م ، وقد نيف على المائة عام (٦٢) ، الا أن ذلك يدعونا الى التساؤل عن سبب ذهاب أمير مغراوة الزناتية مستأمنًا الى الخليفة الفاطمي ، مع ما عرف من عداة مغراوة الزناتية للدعوة الاسماعيلية ، وحروبها مع الخلفاء الفاطميين طوال امارة محمد بن خزر هذا وفي الوقت الذي أصبحت فيه مغراوة صاحبة السيادة على تلمسان وأعمالها بالمغرب الاوسط ؟ فاذا كان ما ذكره هؤلاء المؤرخون حقيقة ، فيكون وفود محمد بن خزر على المعز لدين الله ، أما نكاية في زعيم بنى يفسرن الزناتيين الذي استولى على مدينة تاهرت من أيدي أمراء مغراوة الزناتية بعد أن استخلصوها من سلطان الفاطميين سنة ٣٣٨ هـ / ٩٥٠ م (٦٣) ، وأما — وهو الأرجح في رأينا — حدث خلاف بين محمد بن خزر هذا وابنه الخير ، اذ يذكر ابن عذارى أن الخير بن محمد كان أمير زناتة وكبير أمراء الغرب سنة ٣٣٩ هـ / (٩٥٠ — ٩٥١) م (٦٤) ، كما أن محمد بن خزر قدم على المعز لدين الله يطلب الامان لنفسه ، وليس لقومه من مغراوة الذين لم يدخلوا في طاعة الفاطميين من قبل أو من بعد وفود محمد بن خزر على المعز لدين الله •

(٦١) الخويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ،
المقريزى اتعاظ ، ص ١٣٤ •

(٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧٩ ، الازدى ، اخبار الدول المنقطعة ،
ورقة ٤٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٦ ، ٧ ص ٢٦ ، انظر ،

Gautier, Op. Cit., P. 394. الا أن ابن الاثير يذكر أن ذهاب محمد بن

خزر الى المعز لدين الله كان سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ ، نفس المصدر والصفحة •

(٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٢ •

(٦٤) نفسه ، ص ٢٣٣ •

وأيا ما كان الامر ، فبعد أن أسلمت قبائل افريقية قيادها
للمعز لدين الله ، ولم يعد بها من يناوئه ، بدأ في اعداد المدة لاختصاع
المغربين الاوسط والاقصى ، وظل خمس سنين في تجهيز جيش كبير
لتحقيق هذا الغرض ، وجعل على قيادته جوهر الصقلي (٦٥) ، الذي
صار في رتبة الوزارة (٦٦) ، ومعه زيري بن مناد زعيم صنهاجة العدو
التقليدية لقبيلة زناتة (٦٧) ، على أن تكون اماره الجيش قسمة
بين القائد الفاطمي جوهر الصقلي ، وزيري بن مناد زعيم قبيلة
صنهاجة (٦٨) ، وخرج الجيش الفاطمي من افريقية فيما يزيد على عشرين
ألفا من قبيلتي كتامة وصنهاجة (٦٩) في السابع من صفر سنة ٣٤٧ هـ /
٣٠ مايو ٩٥٨ م (٧٠) ، متجها الى المغرب الاوسط ، فقصي في طريقة على
البقية الباقية من اماره بنى يربنات الزناتيين التي كانت حول مدينة

-
- (٦٥) وجوهر الصقلي رومي الاصل ، جلبه احد الموالى الذي يدعى صابر ،
ثم انتقل الى حوزة خفيف الخادم الذي وهبه الى الخليفة المنصور بالله ،
فظهر جوهر عنده ، (ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٤٠ ، ابن عذاري ،
البيان ، ١ ص ٢٢١) ، ثم عظم أمر جوهر عند الخليفة المعز لدين الله ،
وعلت مكانته حتى صار في رتبة الوزارة ، (المقرئ ، اتعاظ ، ص ١٣٤ -
١٣٥) ، وقد نال هذه الدرجة الرفيعة والرتبة العالية سنة ٣٤٥ هـ /
٩٥٦ م ، (ابن أبي حنار ، المؤنس ، ص ٦٣) .
(٦٦) المقرئ ، اتعاظ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .
(٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٢٤١ ،
حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٥١ .
(٦٨) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ ، انظر O'leary, Op. Cit., P. 99
ويذكر النعمان أن بنى كملان انصار أبي يزيد الزناتى في ثورته على الفاطميين
قدموا الى المعز لدين الله ، فعفا عنهم واخرجهم مع جيش جوهر الصقلي .
(المجالس ، ١ ورفات ٣٢ - ٣٣) .
(٦٩) ابن أبي زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٢ ، السلاوى ، الاستقصا ،
١ ص ١٨٠ .
(٧٠) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، المقرئ ، اتعاظ ، ص ١٣٥ ،
الا أن حسن حسنى عبد الوهاب يذكر أن غزوة جوهر الصقلي على المغرب
كانت سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، (خلاصة ، ص ١٠٤) ، ويبدو أنه خلط
بين الغزوة التي ارسلها المعز الفاطمي لاختصاع جبل اوراس بقيادة بلكين
ابن زيري الصنهاجى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، وبين هذه الغزوة التي نحن
بصحتها على المغربين الاوسط والاقصى .

هاز (٧١) ، اذ كان زيري بن مناد الصنهاجي قد خرب هذه الامارة حين أخذ بمبادئ دعوة الشيعة (٧٢) ، ولم يجد الكثير من فرسان بنى يرنين بدا من العبور الى الاندلس ، وعملوا في جيوش بنى أمية هناك ، فكانوا من أفضل جند الاندلس وأشدهم شوكة (٧٣) .

وصلت الاخبار الى يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بنى يفرن الزناتيين ، وأمير تاهرت وافكان بقدوم الجيش الفاطمى ، فخرج يعلى الى لقاء الجيش الفاطمى قبل أن يصل الى تاهرت ، بعد أن حشد قومه من بنى يفرن (٧٤) . والغالب على الظن أن يعلى لم يكن مقدرا لقوة الجيش الفاطمى ، أو أنه كان واثقا في شجاعته وبأسه وقوة قومه (٧٥) ، والتقى الجمعان ، ودارت بينهما رحى معركة أبليت فيها جموع زناتة احسن البلاء ، فلم يجد جوهر من وسيلة لهزيمة زناتة الا قتل زعيمها غيلة حتى تنفض جموعهم عندما لا يجدون من يلتفون حوله ، ولذا بذل الاموال لزعماء كتامة وصنهاجة لقتل زعيم بنى يفرن الزناتيين ، فبذلوا غاية جهدهم لتحقيق ما يريد جوهر الصقلى ، وقتلوا زعيم بنى يفرن واحترقوا رأسه ، وأتوا بها جوهرًا لليلتين بقيتا من جمادى الاولى

(٧١) انظر ، الجيالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٤٩ ، وعن امارة هاز ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ، ومدينة هاز تقع بين تاهرت والمسيلة ، (البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ - ١٤٤) .

(٧٢) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ .

(٧٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٩ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ،

٢ ص ٥١ هامش .

(٧٤) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، انظر ، حسن ابراهيم ، المعز لدين الله ، ص ٣١ ، الا أن ابن خلدون يذكر أن يعلى بن محمد اليفرنى خرج الى جوهر الصقلى مدعيا طائفا ، فقبل جوهر طاعته ، واضمر الفتنك به ، لذا اختلق جوهر نفرة في اعقاب الجيش ، فانطلق زعماء كتامة وصنهاجة وزناتة اليها ، وقبض على يعلى بن محمد اليفرنى ، وقتله رجال صنهاجة وكتامة بالرماح ، بناء على اتفاق سابق مع جوهر ، (العبر ، ٧ ص ١٨) .

(٧٥) مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، الا أنه يذكر أن لقاء جوهر الصقلى مع يعلى بن محمد اليفرنى بعد انتهاء جوهر من غزو المغربين الأوسط والاقصى واثناء عودته الى افريقية ، نفس المصدر ، والصفحة .

سنة ٣٤٧ هـ / الثامن عشر من أغسطس ٩٥٨ م (٧٦) ، فأرسلها جوهر الى الخليفة المعز لدين الله حيث طيف بها في القيروان (٧٧) .

وهزم بنو يفرن الزناتيون وتفرقت جموعهم بعد مقتل زعيمهم (٧٨) ، وتتبعهم جوهر الصقلي بجيشه الى مدينة أفكان ، ودخلها في جمادى الآخرة سنة ٣٤٧ هـ / أغسطس ٩٥٨ م ، فنهب المدينة وقصورها ، ثم أمر بهدمها واضرام النار فيها (٧٩) ، وأسر يدو بن يعلى ، وأرسله الى الخليفة المعز لدين الله (٨٠) . جد جوهر الصقلي وزيرى بن مناد الصنهاجى فى مطاردة بنى يفرن بالمغرب الاوسط (٨١) ، فهربت معظم بطونهم الى المغرب الاقصى ، وجاز كثير منهم الى الاندلس (٨٢) ، فكانت هزيمة بنى يفرن الزناتيين وتشريدهم من أكبر العوامل التى مهدت لنجاح غزوة جوهر الصقلي ، كما مكنت الفاطميين من الاستيلاء على تاهرت ، وكانت خطوة أولى لان يكون المغرب الاوسط - وهو مغرب زناتة - فى قبضة زعيم صنهاجة بعد ذلك (٨٣) .

خرج جوهر الصقلي بجيشه الى المغرب الاقصى لاسترداد مدينة فاس (٨٤) ، من أيدي الامير الزناتى احمد بن أبى بكر الزناتى ، فأغلق أميرها أبواب المدينة ، واستعد للقتال ، فحضر جوهر الحصار حول المدينة وقاتل أهلها ، فاستماتوا فى الدفاع عنها وعن

(٧٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٥٥ .

(٧٧) مجهول ، نبذ ، ص ٥ ، ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ .

(٧٨) نفس المصادر والصفحات

(٧٩) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٨٩ ، بيبيرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٦ ،

Gautier, Op. Cit., P. 393.

انظر ،

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، انظر ، رزق الله منقربوس ، دول

الاسلام ، ١ ص ٣٢٨ .

(٨١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٨ .

(٨٢) نفس المصدر والصفحة ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٥ .

(٨٣) انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٤ .

(٨٤) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٣٢٩ ، ٣٣١ .

واليهم الزناتى ، الذى كان من أهل الفضل والورع (٨٥) ، ولا غرو
فهو الذى جدد جامع القرويين وزاد فيه زيادات كثيرة (٨٦) ، فأشار
أصحاب جوهر عليه بالرحيل عن فاس الى مدينة سجلماسة (٨٧) التى
قطع أميرها محمد بن الفتح دعوة الفاطميين وخلع طاعتهم ، ودعا الى
نفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله (٨٨) ، وضرب السكة
باسمة ، وعرفت عملته بالشاكرية ، وكانت غايصة فى الطيب (٨٩) ، فخرج
جوهر الى سجلماسة وضرب الحصار حولها (٩٠) ، واستمر محاصرا لها
ثلاثة شهور ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها ، حتى هرب الشاكر لله
من المدينة بماله وأهله وخاصته الى حصن منيع بالقرب من سجلماسة (٩١)
فدخل جوهر المدينة وأمن أهلها (٩٢) ، وظل بها حتى غدر قوم من قبيلة

(٨٥) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ظهر .

(٨٦) انظر ، قبله .

(٨٧) وسجلماسة مدينة على طرف الصحراء بالمغرب الأقصى لا يوجد
قبليها ولا غربيها عمران ، اذ هي على الحد ما بين العمران والرمال من جهة
الجنوب ، (ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠) وقد أسسها بنو مدرار سنة
١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وأقاموا حولها دولة كانت سجلماسة عاصمتها ، ومذهب
الخوارج الصفرية عقيدتها ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٠ - ٢٠١) ،
عنها انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٤٢ .

(٨٨) النعمان ، المجالس ، ١ ورقة ٢٩٥ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، ابن
الخطيب أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٨ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٦ ، ويذكر
ابن أبى زرع ، أن الشاكر لله كان مالكي المذهب ، (الانيس ، ١ ص ١٣٣) ،
ولكنه كان خارجيا صنفيا ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، انظر ، محمود
اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٩) .

(٨٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، انظر

Lavoix, Catalogue des monnies

Musulmane de la Bibliothèque Nationale, t. 2, PP. 401 — 402.

Lane-Poole, Catalogue of the Collection of the Arabic Coins presented
in the Khidivial Library, P. 328.

(٩٠) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، المغربي ، الجمان ، ورقة

١٩٧ .

(٩١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٨ .

(٩٢) النعمان ، المجالس ، ١ ورقة ٢٩٦ .

مطفرة بالشاكر لله ، وقبضوا عليه ، وأتوا به الى جوهر أسيرا (٩٣) .
 بعد أن أخضع جوهر الصقلي مدينة سجلماسة لطاعة الفاطميين ،
 خرج يقود جيشه ، ويجوس في بلاد المغرب الاقصى يخضعها لطاعة
 الفاطميين حتى وصل في زحفه الى البحر المحيط (٩٤) ، ثم عاد
 ثانية الى مدينة فاس ، وضرب الحصار حولها ، وظل يقاتل أهلها من
 كل ناحية مدة ثلاثة عشر يوما دون أن يستطيع اقتحامها (٩٥) ، وربما
 أثار جوهر المنافسة والعداء في نفس زيري بن مناد زعيم صنهاجة على
 أمير فاس الزناتى ، إذ نرى زيري يختار أشجع فرسان صنهاجة ليصعدوا
 الى سور المدينة ليلا وأهلها آمنون ، ليفتحوا أبوابها للجيش الفاطمى (٩٦)
 فنجحوا في مهمتهم واستولى الجيش الفاطمى على مدينة فاس لعشر بقين
 من رمضان سنة ٣٤٨ هـ / ٢٤ نوفمبر سنة ٩٥٩ م (٩٧) ، وهرب أحمد
 ابن أبى بكر الزناتى ، ولكن ما لبث أن قبض عليه بعد يومين من
 فتح المدينة (٩٨) .

ولى جوهر على مدينة فاس واليا يدين بالطاعة للفاطميين ، وقساد
 هو الجيش الفاطمى ليفتح المعادل والحصون الباقية بالمغرب الاقصى ،
 ويطارد بطون زناتة به ، واضطرها الى الفرار أمامه (٩٩) ، وأخضع جوهر
 الصقلي ، ومعه زيري بن مناد وقومه صنهاجة المغرب الاقصى لطاعة

(٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٨٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ،
 ٣ ص ١٤٨ ، الا أن محقق هذا الجزء من كتاب أعمال الاعلام يذكر أن مطفرة
 قبيلة من زناتة ، (أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٨ هامش) ، ومطفرة ليست
 من بطون زناتة ، (انظر ، الفصل الأول ، بل كانت على عداء معها منذ
 ثورة البربر التي انتزعت زناتة زعامتها منها ، (انظر ، الفصل الثانى) .
 (٩٤) ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٧٠ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ١٠٤
 (٩٥) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ ، مجهول ، نبذ ، ص ٥ .
 (٩٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٨٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص

(٩٧) مجهول ، نبذ ، ص ٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، الازدى ،
 اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ ، الا أن ابن أبى زرع يذكر أن فتح فاس كان
 في رمضان سنة ٣٤٩ / نوفمبر سنة ٩٦٠ ، (الانيس ، ١ ص ١٣٤) .
 (٩٨) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ .
 (٩٩) ابن زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ .

الفاطميين ، فيما عدا مدينة سبتة التي ظلت خاضعة للامويين بالاندلس (١٠٠) .
وكان الناصر الاموي أرسل جيشا من وجوه الموالي بقيادة مولاة بدر
الفتى الكبير صاحب السيف للدفاع عن سبتة اذا ما حاول جوهسر الصقلي
الاستيلاء عليها ، وظل الجيش الاموي بها حتى انصرف القائد الفاطمي
بجيشه عن المغرب الاقصى (١٠١) ، ووصل رقادة لاثنتي عشرة بقية من
شعبان ٣٤٩ / ١٢ أكتوبر سنة ٩٦٠ م (١٠٢) ، ومعه أمير سجلماصة وأمير
فاس أحمد بن أبي بكر الزناتى ، وخمسة عشر رجلا من مشايخ فاس ،
وكلهم في اقفاص من خشب ، وطيف بهم في أسواق القيروان ثم حملهم
الى المعز لدين الله الفاطمي بالمهدية ، فحبسهم المعز لدين الله حتى
ماتوا في سجنها (١٠٣) ، وكافى الخليفة المعز لدين الله زيرى بن

(١٠٠) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٩ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص ١٠٢ ،
الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ ، ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٧٠
وكان الناصر الاموي قد استولى على مدينة سبتة سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م من يد
ولائها بنى عصام ، (ابن خلدون ، العمر ، ٤ ص ١٤١ ، المقرئ ، نفح ،
١ ص ٣٦٣) ، وبنو عصام احدى بطون قبيلة غمارة البربرية ، (عنهم
البكرى ، المغرب ، ص ١٠٤) ، وكانوا يؤدون الطاعة للادارسة ، (ابن
عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٣) ، وكان الناصر الاموي قد أمر والى مدينة
سبتة بتحصينها وبناء سور حولها سنة ٣٤٦ هـ ، وقد تم بناء هذا السور في
سنة ٣٥١ ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٢ ، ٢٢٧) ، وكان استيلاء
الناصر الاموي على مدينة سبتة لتأمين بلاد الاندلس من الخطر الفاطمي ،
لان قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب كان ينطوى على خطر مزدوج سياسى
ودينى بالنسبة للامويين فى الاندلس ، (Vatikiotis. Op. Cit., P. 131)
وعدو المغرب تعتبر قاعدة لغزو الاندلس وخط دفاعها الاول ، اذ ان بين مدينة
سبتة وما يقابلها من الاندلس مجاز ضيق لايتعدى العشرين ميلا ، (ابن خلدون
التعريف ، ص ٣٧٠) ، وتؤكد الاحداث التاريخية ان من ملك مدينة سبتة
فمن السهل عليه غزو الاندلس مثلما فعل المسلمون سنة ٩٢ هـ ، والمرابطون
والموحدون بعد ذلك .

(١٠١) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٩ .

(١٠٢) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ .

(١٠٣) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ ، السلاوى الاستقصا ،
١ ص ١٨١ ، يذكر النعمان ان المعز قد أمر بعمل عجلتين احدهما لاحمد بن
ابى بكر الزناتى والاخرى لابن واسول الشاكر لله ليطاف بهما عليهما ، (المجالس
١ ورقة ٣٦٤) ويضيف أن جوهسر الصقلي أحضر معه بعد قفوله من غزوته =

مناد زعيم صنهاجة على حسن بلائه في حرب زناتة ، بأن ولاية عسلى تاهرت بالمغرب الاوسط (١٠٤) .

ولقد أعاد جوهر الصقلي وزيرى بن مناد الصنهاجى المغربين الاوسط والاقصى لطاعة الفاطميين بعد أن استطاعا تشنيت شمل واحدة من أقوى البطون الزناتية بالمغرب الاوسط ، وهم بنى يفرن الزناتيين ، وبقيت بطون مغراوة الزناتية بالمغرب الاوسط فى تلمسان ، ووادى شلف (١٠٥) ، اذ لم يذكر احد من المؤرخين أن الجيوش الفاطمية قامت بغزو تلمسان أو محاولة الاستيلاء عليها ، ما يدعوننا الى التساؤل عن سبب ذلك . والغالب على انظن ، أن الجيوش الفاطمية لم تحاول غزو مدينة تلمسان مثلما لم تحاول غزو مدينة سبته لوجود قوات للناصر الاموى فى كليهما ، فقد كان أسطول الناصر الاموى مرابطا عند مدينة أفسلان التى كانت بمن عمل تلمسان ، وخاضعة لامراء مغراوة (١٠٦) ، وربما لم تحاول القوات الفاطمية ذلك حتى لا تدخل فى مواجهة مباشرة مع قوات الامويين بالاندلس ، اذ كانت المواجهة غير المباشرة هى سمة الصراع الاموى الفاطمى (١٠٧) . وعلى كل حال ، فقد اجتمعت بطون زناتة بالمغرب الاوسط الى محمد بن الخير بن محمد ابن خزر الزناتى ، الذى كان من أكبر أمراء زناتة جمعا ، وأخذ على

= أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائهم رهائن وبكل من يخاف جانبيه ، وفيهم جماعة من أمراء الادارسة ، (المجالس ، ٢ ورقة ٤٩٧) ، وعن معاملة المعز لكل من الشاكر لله واحمد بن أبى بكر الزناتى ، (النعمان ، المجالس ، اورقات ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٢ ورقة ٤٥١) .

(١٠٤) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص

٧٤ .

(١٠٥) ابن خلدون ، التعريف ، ص ٢٩ ، ٣٧٠ ، ووادى شلف Cheliff هو البسيط الممتد فيما بين مدينة مستغانم ومدينة الجزائر ، (انظر ، محمد بن تاويت ، محقق ، التعريف ، ص ٢٩ هامش ٥) .
(١٠٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٨ .

(١٠٧) انظر The Cambridge History of Islam, Vol. 2 P. 217.

عائقة مناوئة الفاطميين ومحاربتهم (١٠٨) ، إلا أن موت الناصر الاموى فى رمضان سنة ٣٥٠ هـ / اكتوبر ٩٦١ م (١٠٩) ، كان سببا فى وقف الامدادات والعون من الاندلس الى أمير زناتة بالمغرب الاوسط ، ولعل ذلك ما يعنيه بعض المؤرخين بقولهم ، « ان سياسة بنى أمية هدأت فى شمالى افريقيا بعد موت الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر » (١١٠) . ويبدو أن ذلك كان السبب فى أن أخذت زناتة المغرب الاوسط الى الهدوء ، والبعد عن مناوئة الفاطميين ، اذ لم يكن فى استطاعتها القيام وحدها فى وجه الخلافة الفاطمية وأنصارها من صنهاجة وكنامة ، وبخاصة بعد الذى نالها على يد جوهر الصقلى وقبيلة صنهاجة فى المغربين الاوسط والاقصى .

كان خروج زناتة من حلبة الصراع ضد الفاطميين سببا فى أن استقرت الامور للمعز لدين الله ، ودانت له شمالى أفريقيا بالطاعة ، فانتعشت الزراعة والتجارة مع استتباب الامن ، وجمع المعز لدين الله من الاموال للكثير ، مما ساعده على تجهيز جيش لفتح مصر (١١١) . وقد بدأ المعز لدين الله فى اعداد العدة لغزو مصر سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، وفى الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٣٥٨ هـ / ٥ فبراير ٩٦٩ م خرجت الجيوش الفاطمية يقودها جوهر الصقلى من افريقية (١١٢) ، وبها الكثير من جنود كنامة (١١٣) فدخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر آنذاك

(١٠٨) مجهول ، نبذ ، ص ٥ .

(١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٤٨ .

(١١٠) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٨٧ ،

Terrasse, Op. Cit., p. 186.

(١١١) المقرئى ، اتعاط ، ص ١٣٩ ، انظر ، لويس ، القوى البحرية ،

ص ٢٥٤ ، يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١ ص ١٠٢ .

(١١٢) ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٢٨ ، انظر ، محمد مختار ،

التوقيقات ، ص ١٧٩ .

(١١٣) المقرئى ، اتعاط ، ص ١٤١ .

في منتصف شعبان سنة ٣٥٨ هـ / أول يوليه ٩٦٩ م (١١٤) ، وأقام بها الدولة الفاطمية .

وتأتى مرحلة جديدة في الصراع بين زناتة وصنهاجة ، فبعد أن خرج الجيش الفاطمى الى مصر ، اعتقد زعماء زناتة أنه يمكنهم التغلب على الفاطميين ، والقضاء على خلافتهم بالمغرب ، الا أن المعز لدين الله كان قد أعد للامر عدته ، واستمال زعيم قبيلة صنهاجة كلية الى جانبه ، ليعتمد عليه في قمع تمرد الزناتيين في افريقية والمغربين الاوسط والاقصى ، وبخاصة بعد أن خرجت غالبية جنود كتامة - التي ناصرت الفاطميين منذ بداية دعوتهم في بلاد المغرب ، وأخلصوا في الولاء لهم - مع الجيش الفاطمى الى مصر .

فقد انتهزت بعض بطون زناتة بافريقية خروج الجيش الفاطمى الى مصر ، وأعلنت التمرد من جديد (١١٥) ، اذ ثارت هذه البطون الزناتية يتزعمهم أحد علماء زناتة الذى كان يدين بمذهب الاباضية الوهبية ويدعى أبو خزر الزناتى (١١٦) ، وقد أعلن هذا الزعيم الزناتى ثورته بعيد خروج الجيش الفاطمى الى مصر في سنة ٣٥٨ / ٩٦٩ (١١٧) . ومن الجدير بالذكر أن معظم المصادر السنية لم تشر الى هذه الثورة ، أما القلة التى ذكرتها ، فقد أشارت اليها في اختصار ، ولم تذكر شيئاً عن زعيمها الزناتى ، أما المصادر الاباضية فقد أفصحت في ذكر التفاصيل عن حياة زعيم الثورة واحداثها ، الا أنها يجب أن تؤخذ بحذر شديد لتمصّبها لعلماء الاباضية ، ولأنها مليئة بالاساطير والخرافات .

(١١٤) ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٢ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ١٠٧

(١١٥) انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٥٦ .
Ency of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed, V. 3, P. 656.

(١١٦) انظر
(١١٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، ويفهم ذلك مما ذكره الجوزرى ، (سيرة ، ص ١٠٨ - ١٠٩) ، الا أن البعض يذكر أن ثورة أبى خزر الزناتى قامت سنة ٣٥٩ هـ ، (انظر دياب ، سياسة الدولة الاسلامية ، ص ١٢٠) .

وأبو خزر زعيم هذه الثورة من قبيلة زناتة (١١٨) وينتمي الى بنى واسين الزناتيين (١١٩) ، وكان يعيش بالحامة (١٢٠) ، وهى من بلاد قسطنطينية (١٢١) ، وتقع بالقرب من مدينة توزر (١٢٢) ، وكان أبو خزر خارجيا يدين بمذهب الاباضية الوهبية (١٢٣) ، وهو المذهب الغالب على بلاد قسطنطينية مثل الحامة ونفطة وسماطة وبشرى (١٢٤) ، ولم يكن من الاباضية النكارية كما ذهب البعض (١٢٥) * وقد تلقى أبا خزر علومه مع أحد أبناء قومه من بنى واسين الزناتيين ويدعى أبو القاسم ، ونبغا في علوم الأصول والفقه واللغة والأعراب والسير حتى تصدرت حلقات العلم وهما في مرحلة الشباب ، « واشتهر أمرهما وعلا ذكرهما » كما يذكر مؤرخو الاباضية (١٢٦) * وكان أبو القاسم اكبر سنا وأكثر مالا من أبى خزر (١٢٧) ، كما كان له منزلة خاصة عند المعز لدين الله ، لذا ما أن غضب المعز على أهل الحامة ، وأرسل جنده اليها حتى خرج أبو القاسم اليه يستعفيه عن أهل الحامة ، فعفا المعز لدين الله عنهم

(١١٨) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، الشماخى ، السير ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(١١٩) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٣ .

(١٢٠) نفس المصدر والورقة ، عن الحامة ، انظر ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٣٤٤ .

(١٢١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٧ .

(١٢٢) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، وعنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(١٢٣) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ .

(١٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٣ ، وينسب ابن حوقل الاباضية الوهبية الى عبد الله بن وهب الراسبى ، ولكنهم نسبة الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، انظر ، قبله ، وعن نفطة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٤ ، وعن سماطة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١١٩ .

(١٢٥) انظر ، رزق الله منقربوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٣٣٠ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧٧ ، هامش .

(١٢٦) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٣ .

(١٢٧) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ .

اكراما لابي القاسم (١٢٨) *

ويبدو أن أبا القاسم كان يثير أهل الحامة وما حولها على الفاطميين اذ يذكر الشماخي أن المعز لدين الله تخوف من أبي القاسم بعد أن بلغه اعتزاه على الثورة ، وأرسل الى عامله على الحامة بقتل أبي القاسم (١٢٩) * وتصور المصادر الاباضية عامل الحامة الفاطمي متعاطفا مع أبي القاسم ، فيذكرون أنه أوعز الى أبي القاسم بالخروج من بلاد قسطلية ، ولكنه رفض ذلك ، وتقبل قدره راضيا وسلم نفسه الى القتل طائعا مختارا (١٣٠) *

بلغ خبر مقتل أبي القاسم الى ابي خزر الزناتي خليفته في زعامة بني واسين ومذهب الاباضية الوهبية في بلاد قسطلية ، فعزم على الثورة على الفاطميين والأخذ بثأر أبي القاسم ، وعمل على حشد القوى المعادية للفاطميين لتنضم الى بطون زناتة بافريقية حتى يتمكن من الانتصار على الفاطميين ، فأرسل الى اباضية نفوسة (١٣١)

(١٢٨) نفس المصدر والورقة ، ويذكر أبو زكريا أن المعز أرسل جنده الى الحامة يحملون الراية الحمراء دلالة سخط الخليفة ، فخرج أبو القاسم الى المعز الذي عفا عن الحامة وأهلها ، وأعطى ابا القاسم راية بيضاء دلالة الرضا بعد السخط ، نفس المصدر والورقة *

(١٢٩) الشماخي ، السير ، ص ٣٤٨ *

(١٣٠) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٨ ، الدرجيني ، طبقات ، ١ و رقات

٥٥ - ٥٦ ، الشماخي السير ، ص ٣٤٩ *

(١٣١) وجبل نفوسة بقع في افريقية وبينه وبين طرابلس ثلاثة ايام ، وبينه وبين القيرون ستة ايام ، وجميع أهله من الاباضية ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٥) ، وكان هذا الجبل معقل الاباضية ، ولذا كان حكام الدولة الرستمية الاباضية يستعينون بعلماء نفوسة ومرسانهم في المفاخرات والمساجلات الكلامية ، (أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٢٦ ، الشماخي ، السيرة ، ص ١٥٥) *

(م ١٨ - زناتة والخلافة الفاطمية)

واباضية جربة ، فاحتجا بضعضهما ولم يمدوه (١٣٢) ، وكتب الى الخليفة الأموي بالاندلس ليوقف بجانبه في ثورته على الفاطميين ، ولكن رسالته وقعت في أيدي جند المعز لدين الله الفاطمي ، ولم تصل الى الخليفة الأموي (١٣٣) . ويدعى مؤرخو الاباضية أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أرسل الى أبي خزر الزناتى عندما علم بنيته على الثورة ، كتابا يعده فيه بأن يكون له ولمن معه ولاية تاهرت ، ولكن الذين انضموا الى أبي خزر أبوا الامناصة الخليفة الفاطمي المراء ، والخروج لقتاله ، والأخذ بثأر زعيمهم أبي القاسم الزناتى (١٣٤) . وعلمت بطون زناتة بمنطقة الزاب بخروج أبي خزر على الفاطميين فاستعدوا للانضمام اليه ، ولكن أبا خزر لم ينتظر وصولهم وزحف بمن معه من قبيلة مزانة وبنى واسين الزنانيين ، وضرب الحصار حول مدينة باغاية ، فكتب واليها الى المعز لدين الله الفاطمي يستمده (١٣٥) .

خرج المعز لدين الله بنفسه على رأس جيشه للقضاء على هذا التمرد (١٣٦) ، رغم أنه كان يعد المدة للرحيل الى مصر ، اذ كان أمر مولاه جوذر بالخروج الى المهديّة وجمع ما في خزائنها من المال وشدّ الأمتعة الى المشرق . وما ان اقتربت جيوش المعز من مدينة باغاية التي ضرب

(١٣٢) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورفات ، ٥٦ - ٥٧ ، وجربة جزيرة مقابلة لأفريقية بالقرب من قابس ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤) ، وأهلها اباضية بعضهم وهابية ، وبعضهم نكار ، (انظر ، قبله) ، الا ان الادريسي يذكر ان أهل جربة خوارج نكار على مذهب الوهبية ، (نزعة ، ٣ ص ٣٠٦) ، وهذا خلط بين فرق الاباضية ، اذ ان الوهبية فرقة ، والنكارية أخرى .

(١٣٣) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٩ ، انظر ،
Ency. Of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed. V. 3; P. 656.

(١٣٤) الشماخي ، السير ، ص ٣٥٠ .

(١٣٥) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٥٧ .

(١٣٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ .

Ency. of Isl (Art Tunisia), led. t. 4, P. 850.

أبو خزر الزناتى حولها الحصار حتى قوى جنسان وإلى المدينة وعسكره ، ودافعوا عن المدينة ، وتغلبوا على المحاصرين (١٣٧) وحين وصلت القوات الزناتية يقودهم خزرون بن فلفول الزناتى أحد أمراء مغراوة الزناتية كانت الهزيمة قد لحقت بأبى خزر الزناتى ومن معه ، وكانت الجيوش الفاطمية قد اقتربت من مدينة باغاية ، فعادت قوات زناته أدراجها دون قتال (١٣٨) ولم ينضم بنو يفرن الزناتيون إلى أخوانهم من بنى واسين في الثورة على الفاطميين - رغم العداء المدير بين بنى يفرن والفاطميين بسبب ثورة أبى يزيد الزناتى وما نالهم على أيدي الفاطميين بعد القضاء على الثورة - لما كان بين القبيلتين الزناتيتين من الصروب القبلية (١٣٩) .

طارد المعز الفاطمى فلول الثوار ، وكما هي عادة بطون زناته كلما أيقنوا من الهزيمة ، فروا إلى الصحاري والجبال ، فاختار المعز الفاطمى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى لمطاردة أبى خزر الزناتى والبحث عنه (١٤٠) ، اذ كان المعز لدين الله يعتمد كلية على قبيلة صنهاجة بعد خروج الجيش الفاطمى إلى مصر ، وعمل على محاربة ثوار زناته بقبيلة صنهاجة التى انضمت إليه (١٤١) ، وبذل بلكين بن زيرى غاية جهده في البحث عن أبى خزر الزناتى ، ولكنه لم يستطع الاهتداء إلى مكانه أو معرفة أخباره (١٤٢) ، اذ كان أبو خزر الزناتى قد اختفى في الجبال أربعين يوما حتى فقد مطاردوه الأمل في العثور عليه ، وكفوا البحث عنه ، فترك مخبئه بالجبال ، وانتقل إلى اباضية نفوسة يحتوى

(١٣٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ .

(١٣٨) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٠ .

(١٣٩) الشماخى ، السير ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، أبو زكريا ، السيرة ،

ورقة ٥٤ .

(١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، ويذكر البعض أن زيرى بن

مناد هو الذى خرج لمطاردة أبى خزر الزناتى ، واستطاع القبض عليه ، (انظر ،

دياب ، سياسة الدول الاسلامية ، ص ١٢٠) .

(١٤١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ .

(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ .

بهم (١٤٣) ، لما عرف عنهم من التمرد على طاعة الحكام الفاطميين (١٤٤) .

ظل أبو خزر الزناتى مختفيا عند اباضية نفوسة حتى أرسل له المعز لدين الله الفاطمى بالامان (١٤٥) ، فحذره من حوله من تصديق أمان المعز خشية أن يكون خدعة للقبض عليه ، ولكن أبا خزر خرج الى المعز دون خوف ثقة في وعده ، لأن « المعز لا ينقض عهدا ، ولا ينكث ميثاقا » على حد قول أبى خزر نفسه (١٤٦) . وما أن علم المعز بقدوم أبى خزر الزناتى اليه حتى أرسل اليه ثمانين فارسا من زناتة ليستقبلوه وليزداد اطمئنانا ، فالتقوا به عند مدينة قابس (١٤٧) ، وعادوا الى المعز (١٤٨) ، فرحب المعز بأبى خزر وأكرمه وأجرى عليه رزقا كثيرا بعد أن وصل اليه في ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هـ / فبراير سنة ٩٧٠ م (١٤٩) ، وأبقاه عنده حتى خرج الى مصر في ربيع الاول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر سنة ٩٧٣ م (١٥٠) ، فأخذه معه خوفا من أن يثور

(١٤٣) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٨ .

(١٤٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٥ ، الا أن ابن حوقل يذكر أن جبل نفوسة كان خاضعا لطاعة الفاطميين ، (صورة ، ص ٩٣) ، الا أن خضوعه للفاطميين كان في فترة سابقة على اختفاء أبى خزر فيه ، كما أن خضوع أهل الجبل لسلطان الفاطميين لم يكن خضوعا تاما ، فلم يكن للخليفة الفاطمى واليا على جبل نفوسة ، وانما كان مشايخ الجبل يدفعون ضرائب للولاة العاطميين على القيروان ، ثم تحرر اباضية نفوسة من كل سلطان للفاطميين ودفع الضرائب بعد ثورة أبى يزيد الزناتى سنة ٣٣٢ هـ ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٧) .

(١٤٥) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٢ .

(١٤٦) نفس المصدر والورقة .

(١٤٧) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٤٠٢ .

(١٤٨) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٢ .

(١٤٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ .

(١٥٠) مجهول ، نبذ ، ص ١٣ ، ويحدد ابن عذارى خروج المعز من عاصمته المنصورية متجها الى مصر لثمان بفين من شوال سنة ٣٦١ هـ / أغسطس سنة ٩٧٣ م ، (البيان ، ١ ص ٢٢٨) ، وبهذا التاريخ أخذ البعض ، (انظر ، محمد مختار ، التوقيعات ، ص ١٨١) .

ثانية بالمغرب بعد خروجه عنه (١٥١) . وكانت هذه الثورة آخر الثورات التي قامت بها زناتة افريقية على الخلافة الفاطمية ، اذ ضعفت قواها وتشتت شمل بطونها بما أنزله بها الفاطميون من عقوبات في الأنفس والأموال .

أما زناتة المغرب الاوسط ، فقد عادت الى مناوئة الفاطميين من جديد بعد أن تولي زعامتها محمد بن الخير أمير مغراوة الزناتية الذي كان جبارا عاتيا (١٥٢) ، فهاجم أراضي الفاطميين ، وعاث فيها حتى شغل المعز لدين الله أمره (١٥٣) ، فأختار المعز لدين الله زيري بن مناد زعيم صنهاجة لمحاربة زناتة المغرب الاوسط (١٥٤) ، لما بين القبيلتين من عداوة ومنافسة ، وليوجد لزيري بن مناد الصنهاجي منافسا بالمغرب حتى يأمن استقلاله بالمغرب بعد رحيله الى مصر (١٥٥) ، اذ يبدو أن المعز لدين الله الفاطمي كان قد اتخذ قرارا بتولية زعيم صنهاجة على المغرب بعد أن أتم فتح مصر وانتوى الرحيل اليها . وقد عمل المعز لدين الله على حث صنهاجة للاغارة على مضارب زناتة ، بأن عقد لزيري بن مناد الصنهاجي على حرب زناتة على أن يكون لزيري بن مناد ما يستولي عليه من أراضي زناتة بقوة السيف (١٥٦) ، فجمع

(١٥١) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقات ٦١ - ٦٢ ، الا ان الجليلي يذكر أن ابا خزر ظل بالقيروان حتى توفي بها ، وقد اناف على مئة سنة ، (تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٦) ، والغالب على الظن انه خلط بين أبي خزر الزناتى عالم بنى واسين ، وبين محمد بن خزر الزناتى زعيم مغراوة الذى وفد على المعز مستائنا سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (ابن خلدون ، العبر) ٤ ص ٤٦ ، Gat Gautier, Op. Cit., P. 394.

٧ ص ٢٦ ، انظر ،

(١٥٢) مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(١٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤

(١٥٤) مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(١٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، انظر ، العبادى ، سياسة

الفاطميين ، ص ٢٠٩ .

(١٥٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ،

Ency of Isl. (Art Zirids), led, T 4, P. 1229.

٣ ص ١٥٣ . انظر ،

زيري بن مناد قبائل صنهاجة وحلفاءهم من البرانس ، وجد في غزو ديار زناتة المغرب الأوسط . وكثرت المعارك بين القبيلتين ، فأراد محمد ابن الخير زعيم زناتة المغرب الأوسط أن يحسم الصراع ، وجمع اليه الكثير من بطون زناتة استعدادا لملاقاة صنهاجة في معركة حاسمة (١٥٧) ، بيد أن بعض أولياء محمد بن الخير أرسل الى زيري ابن مناد في سرعة ، وجمع قبائل صنهاجة وأولياءهم من القبائل الاخرى ، وربما استعان بقوات الفاطميين ، وجعل ولده بلكين على قيادة هذه الجموع ، وأخرجه لمهاجمة جموع زناتة بالمغرب الأوسط ، قبل أن تستكمل تعبئتها ، وتنظم قواتها استعدادا للمقتال (١٥٩) .

كان بلكين بن زيري شجاعا حازما بعيد النظر (١٦٠) ، كما كان شديد الولاء للفاطميين (١٦١) ، شديد العداء لزناتة (١٦٢) ، فقد أسس مدينتي الجزائر ومليانة في آخر افريقية من جهة الغرب سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م (١٦٣) ، ليحكم مراقبة بطون زناتة المغرب الأوسط ، ويقف حائلا أمام هجمات زناتة على املاك الفاطميين بافريقية ، كما أنه كان ساعد أبيه الايمن في القيام بالاغارة على مضارب زناتة ، ثم خلفه في زعامة صنهاجة وحرب زناتة ، فحاض حروبا عنيفة قاسية ضد زناتة ، وحالفة النصر فيها جميعا .

(١٥٧) مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(١٥٨) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ، ص ٢٧ .

(١٥٩) مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(١٦٠) أنظر ، موكار ، المغرب العربي ، ص ١٨٩ .

(١٦١) يفهم ذلك من قول ابن عذارى ، بأن العزيز بالله الفاطمي ، أرسل اليه من مصر بارسال بعض جند صنهاجة اليه فكان رد بلكين أنه على استعداد أن يسير بنفسه الى مصر ليضع نفسه في خدمة الفاطميين اذا ما طلب الخليفة ذلك ، (البيان ١ ص ٢٣٨) .

(١٦٢) أنظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٨٠ ،

Gautier, Op. Cit., P. 402

Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 130

(١٦٣) أنظر

انقضى بلكين على جموع زناتة ، ودارت حرب بين القبيلتين لم يعهد بمثلها ، فاختل نظام فرسان زناتة الذين أخذوا على غرة قبل أن يكملوا التهيئة ويستعدوا للقتال ، وأيقن محمد بن الخير زعيم زناتة بالهزيمة ، وأن عدوه قد أحاط به ، وأن الأسر مصيره ، فأثكا على سيفه ، فذبح به نفسه (١٦٤) ، أنه أن يقع في أسر صنهاجة ، « فأتى بأمر عظيم طار ذكره في أرض المغرب » (١٦٥) . وكان مقتله في السابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ٣٦٠ / ١٧ فبراير ٩٧١ (١٦٦) ، فهزمت زناتة هزيمة قاسية ، وقتل بضعة عشر أميرا من أمرائها ، وكثير من فرسانها ، وبعث زيري بن مناد الصنهاجي برعوس القتلى من أمراء زناتة الى المعز لدين الله ، فعظم سروره بهزيمة زناتة (١٦٧) ، وتقبل التهانى في ذلك ثلاثة أيام (١٦٨) ، وأرسل بالبشرى الى مصر فقرأت على المنابر (١٦٩) ، مما يبين أهمية هذا النصر بالنسبة للفاطميين ، ومدى العداء بينهم وبين قبيلة زناتة . ومما لا شك فيه أن هذه الهزيمة القاسية التى نالتها زناتة على أيدي صنهاجة كانت من أكبر الخدمات التى أسداها زيري بن مناد زعيم صنهاجة الى الخلافة الفاطمية بالمغرب (١٧٠) ، ولولاها ما استخلف المعز لدين الله زعيم صنهاجة في حكم بلاد شمالى افريقيا ، اذ ثبت هذا النصر سلطان صنهاجة بأرض المغرب (١٧١) .

استطالت صنهاجة على بواى زناتة بعد مقتل زعيمها محمد بن الخير ، وبخاصة على البطون الزناتية الضاربة حول مدينة المسيلة ، وأولياء جعفر بن على حمسون الاندلسى والى المسيلة من قبل

(١٦٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٩ .

(١٦٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥٩ .

(١٦٦) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٨٠ .

(١٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ .

(١٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ .

(١٦٩) المقرئى ، اتعاظ ، ص ١٨٠ .

(١٧٠) أنظر Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V 1, P 130

(١٧١) مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

الفاطميين (١٧٢) ، اذ كانت المنافسة قائمة بين جعفر بن علي الاندلسي وزيرى بن مناد الصنهاجى على التقرب الى الخليفة الفاطمى (١٧٣) .
والغالب على الظن أن هذه المنافسة كانت لان كل منهما طمع فى أن يخلف المعز لدين الله على ولاية المغرب ، ولهذا فكلما زادت حظوة زيرى بن مناد عند المعز لدين الله كلما ساء ذلك جعفر بن علي (١٧٤) ، وكان انتصار زيرى بن مناد الصنهاجى على زناتة سببا فى أن سما على جعفر بن علي فى الرتب عند المعز الفاطمى (١٧٥) ، ثم عمل زيرى بن مناد على اذلال جعفر بن علي بالاستقطالة على أوليائه الزناتيين ، مما

(١٧٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، / ص ٥٣ ، وجعفر بن علي بن حمدون الاندلسى لم يكن واليا عاديا من ولاة الخليفة الفاطمى ، وانما كان صاحب منزلة خاصة عند المعز لدين الله ، (الجوزى ، سيرة ، ص ١٢٩) ، لأن أسرته كانت من أخلص أنصار الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ، فقد سحب جده حمدون أبا عبد الله الشيعى ، وانضم أبوه علي بن حمدون الى الدعوة الاسماعيلية سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، ولما تغلب أبو عبد الله الشيعى على أفريقية ظهر علي بن حمدون ، ثم ازداد حظوة فى أيام المهدي ، وضمه الى ابنه أبى القاسم ولى عهده حيث خرج علي بن حمدون مع أبى القاسم فى حملته على المغرب لاختضاع زناتة المغرب الاوسط سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، وأمره أبو القاسم ولى العهد ببناء المسيلة وولاه عليها ، فظل واليا عليها حتى كانت ثورة أبى يزيد الزناتى ، فأبلى فيها أحسن البلاء حتى سقط فى ميدان القتال سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، فخلفه جعفر بن علي هذا على ولاية المسيلة ، ولم يزل متوليا عليها رفيع المنزلة عند الخليفة الفاطمى المعز لدين الله حتى خروجه عليه ، (ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٣ - ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ، وكان جعفر بن علي كثير المطاء مؤثرا لاهل العلم ، فعظم شأنه وعلا ذكره ، (ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٥) ، فمدحه الشعراء ، ومنهم أبو القاسم بن هانىء الاندلسى شاعر المعز لدين الله ، (ابن دحية ، المطرب ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ابن الآبار ، التكملة ، ١ ص ٣٦٨) ، الا أن الحجى محقق ككتاب المقتبس لابن حيان ينسب جعفر بن علي الى قبيلة زناتة ، (المقتبس ، ص ٢٦ هامش ٣) .

(١٧٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة

• ٤٨

(١٧٤) نفس المصادر والصفحات .

(١٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ .

زاد جعفر حقدا على زيري بن منساد (١٧٦) ، فخلع طاعة الفاطميين وانضم إلى أمراء زناتة (١٧٧) .

حقيقة كان بين جعفر على الأندلسي وزيري بن مناد انصهاجي احن ومشاجرات وضغائن في النفوس (١٧٨) ، وقد بذل المعز جهدا كبيرا في محاولة الصلح بينهما (١٧٩) . والغالب على الظن أن ما بين جعفر بن على وزيري بن بن مناد لم يكن السبب الوحيد لتمرّد جعفر على طاعة الفاطميين والانضمام إلى زناتة ، إذ كان هناك جفاء وخلاف بين المعز الفاطمي وجعفر بن على بسبب الالتزامات المالية التي فرضها المعز على ولاية المسيلة (١٨٠) ، إذ فرض على أهل المسيلة من بنى برزال وبنى زنداج الزناتيين ضرائب وخراج غزير (١٨١) ، وكان هؤلاء أولياء جعفر بن على (١٨٢) ، وربما زاد من هذا الجفاء ما شاع في المغرب آنذاك من أن المعز سوف يعطي جعفر بن على ولاية افريقية ، والمغرب كله لزيري بن منساد الصنهاجي ، مما عظم على جعفر بن على الذي أراد أن لا يكون له شريك في حكم المغرب (١٨٣) .

ورغم الجفاء بين جعفر بن على والمعز لدين الله لم يعزله الأخير عن ولاية المسيلة على أمل أن يعد جعفر إلى ما كان عليه أبوه من ولاء للفاطميين (١٨٤) ، إلا أن زيري بن مناد عمل من ناحيته

(١٧٦) مجهول ، نبذ ، ص ٧ .

(١٧٧) نفس المصدر والصفحة ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٧ .

(١٧٨) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ١١٣ ، النويري ، نهاية ،

٢٢ ورقة ٤٨ .

(١٧٩) الجوزدي ، سيرة ١ ص ١٠٠ - ١٠١ ، انظر الملاحق .

(١٨٠) نفس ، ص ١٢٩ - ٣٢ ، انظر الملاحق .

(١٨١) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ .

(١٨٢) مجهول ، نبذ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٣ .

(١٨٣) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٨ .

(١٨٤) الجوزدي ، سيرة ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، انظر الملاحق .

على أن يوسع هوة الخلاف بين المعز وجعفر ، وأخذ يرمى جعفر بالميل الى زناته (١٨٥) ، ثم حصل على الدليل المادى لهذا الاتهام بعد غزوته الناجحة على مضارب زناته ، اذ استولى على رسائل بخط جعفر بن على توضح علاقته مع محمد بن الخير زعيم زناته ، وأرسلها الى المعز (١٨٦) ، فحنق المعز على جعفر وكتب اليه يأمره بالمجيء اليه ومعه أهله وماله وولده ، فأسقط في يد جعفر وأيقن بالموت اذا ذهب الى المعز (١٨٧) ، وبالفعل خرج جعفر بن على واخيه يحيى من المسيلة ومعهما جميع الأهل والولد والعبيد ، وما استطاعا حمله من المال في جمادى الآخرة سنة ٣٦١ / ابريل سنة ٩٧١ م (١٨٨) ، ولكن ليس الى المنصورية عاصمة الخلافة الفاطمية ، وانما الى أمراء زناته بالمغرب الاوسط وخلعا طاعة الفاطميين (١٨٩) ، فاستقبله أمراء زناته استقبالا حافلا لخروجه على أعدائهم الفاطميين ونكاية في زيرى بن مناد زعيم صنهاجة (١٩٠) .

علم زيرى بن مناد الصنهاجى بخروج جعفر بن على الى أمراء زناته ، فأراد زيرى أن يبادر اليهم قبل أن تجتمع اليهم بقية البطون الزناتية وتشتد شوكتهم (١٩١) ، وزحف في جموع صنهاجة ومن والاهم

(١٨٥) أنظر ، الجيالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٣١٥ .

(١٨٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٥ ، ويذكر ابن حيان أن زيرى بن مناد استولى من زناته على فرس من عتاق الخيل كان المعز اهداه الى جعفر بن على ، فأهداه جعفر بن على الى أمير زناته ، وأن زيرى أرسل الفرس مع الرسائل الى المعز ، (نفس المصدر والصفحة) .

(١٨٧) نفسه ، ص ٣٦ ، ويذكر ابن حيان أن المعز أرسل الى جعفر بن على يعزيه في وفاة خليله محمد بن الخير أمير زناته ويخبره بأمر الفرس الذى أرسله زيرى بن مناد اليه قائلا « أعظم الله أجرك في خليلك ، فقد أجاد قتالنا على الفرس الذى كنا حملناك عليه وآثرناك به على أنفسنا » ، فعلم جعفر أن علاقته بزناته قد عرفها المعز فأيقن الموت ، (نفس المصدر والصفحة) .

(١٨٨) مجهول « نبذ » ص ٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ .

(١٩٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ .

(١٩١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

من قبائل البرانس الى المكان الذي اجتمعت فيه بطون زناتة مع جعفر ابن علي (١٩٢) ، والتقى الجمعان في رمضان سنة ٣٦٠ هـ / يولية سنة ٩٧١ م (١٩٣) ، ودارت رحى معركة كان القتال فيها عنيفا ، وأسفرت عن مصرع زيري بن مناد الصنهاجي وكثير من رجاله ، واستولى الزناتيون على جميع معسكر زيري ، وأدركوا ثأرهم من قبيلة صنهاجة خليفة الفاطميين (١٩٤) ، واحتز فرسان زناتة رأس زيري بن مناد ، وحملها جعفر بن علي الاندلسي وأخيه يحيى وطائفة من وجوه زناتة الى الحكم المستنصر خليفة الاندلس (١٩٥) فأعد لهم الحكم المستنصر استقبالا حافلا (١٩٦) وعلقت رأس زيري بن مناد على أسوار قرطبة (١٩٧) .

كان لمقتل زيري بن مناد زعيم صنهاجة أكبر الاثر في زيادة العداء والمنافسة بين صنهاجة وزناتة (١٩٨) ، وكانت هزيمة صنهاجة ومقتل زعيمها ، وخروج جعفر بن علي وأخيه يحيى على طاعة الفاطميين والانضمام الى أمراء زناتة نكبتين عظيمتين على الخليفة الفاطمي المعز ،

-
- (١٩٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٧ .
 (١٩٣) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ١٩٧ .
 (١٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦ ، ابن عذاري ، البيان ، ٢ ص ٢٥٩ ، انظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٢٤٠ .
 (١٩٥) مجهول ، نبذ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٢٧ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٤ .
 (١٩٦) وقد قدم لنا المؤرخ ابن حيان وصفا تفصيليا لاستقبال خليفة الاندلس الحكم المستنصر الاموي لامراء زناتة وجعفر بن علي وأخيه يحيى ، (المقتبس ، ص ٣٩ - ٥٢) ثم أجمله في النهاية بقوله « أن هذا اليوم كان من أحد الايام اعظم بقرطبة في أكتمال حسنه وجلال قدره ، وتخلد حديثه زمنا طويلا قاضيا من عجب الجلالة » ، (المقتبس ، ص ٥٧) .
 (١٩٧) وقد ظل رأس زيري بن مناد الصنهاجي معلقا على أسوار قرطبة حتى وصول زاوي بن زيري لاجئا الى الاندلس بعد فشل ثورته على باديس ابن بلكين بن زيري في افريقية ، وكان وصول زاوي الى الاندلس بعد سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م ، (انظر ، اسماعيل العربي ، غرناطة عاصمة بني زيري ، ص ٨) .
 (١٩٨) انظر حسن ابراهيم ، الدولة العاطمية ، ص ٩٦ .

فقلد المعز لدين الله بلكين بن زيري عمل والده ، وأمدّه بالمال والرجال والعناد ، وأمره بالخروج الى المغرب الاوسط حيث الكثير من البطون الزناتية وأقواها ، ليشفيه من زناته ، ويأخذ بثأر أبيه زيري (١٩٩) ، وزحف بلكين بن زيري الى المغرب الاوسط في أول سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م ، ودارت معارك عديدة وعنيفة بين صنهاجة وزناته كان النصر فيها حليف بلكين وصنهاجة ، وقتل الكثير من رجال زناته ، وسبى نساءهم وأولادهم وجعل من جثث القتلى أكواما ، وأمر رجاله أن تجعل القدور على رؤوس قتلى زناته ويطبخ فيها (٢٠٠) ، وربما كان في ذلك بعض المبالغة ولكنه ليس بمستبعد على قبيلة خرجت للثأر لزعيمها من قبيلة كانت على عداوة قديمة معها ، الى جانب طبيعة البربر عموما من الخشونة وشدة الغضب .

استولى بلكين على جميع مدن المغرب الاوسط من أيدي زناته ، وطرد القبائل الزناتية منه ، « ومحا آثار زناته منه » على حد تعبير ابن خلدون (٢٠١) ، ودخلت مدينة تلمسان في عمالة صنهاجة ، وأصبحت تحت سلطانها ، فكانت المرة الاولى في تاريخ الخلافة الفاطمية أن تخضع هذه المدينة الزناتية لطاعتهم ، وتدخلت تحت سلطان حليفهم صنهاجة (٢٠٢) ، وأعيدت قبائل ازداجة البرنسية الى مدينة وهران (٢٠٣) ، ودخلوا في طاعة بلكين بن زيري (٢٠٤) ، ثم زحف بلكين الى مضارب

(١٩٩) مجهول ، نبذ ، ص ٨ ، النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ .

(٢٠٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، النويري ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ص ٧٤ ، انظر

Ency of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309.

(٢٠١) مجهول ، نبذ ، ص ٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٠٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٧ ، انظر

Julien, Op. Cit., P. 66.

(٢٠٣) ومدينة وهران تبعد ثلاثة مراحل عن تلمسان ، الادريسي ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٢ ، وكان يعلى بن محمد زعيم بني يفرن الزناتيين أخضع قبائل ازداجة لطاعته ، واستولى على مدينة وهران سنة ٣٤٣ هـ ، انظر قبله .
(٢٠٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٩ .

زناتة بالبوادي والصحاري ، فقتل من زناتة وجميع أصناف البربر
الخصاصين - أي البتر - عددا كثيرا ، ورفع الأمان عن كل من ركب
فرسا أو نتج خيلا من سائر البربر البتر بالمغرب الأوسط (٢٠٥) ،
فكان عمل بلكين هذا تعبيرا عن كراهيته للقبائل البترية وبخاصة قبيلة
زناتة (٢٠٦) ، وقصارى القول ، ان المغرب الأوسط ، وهو بلاد
زناتة (٢٠٧) - أصبح خاليا من بطونها القوية ، ولم يعد به من بطون
زناتة سوى بنى وما نوا وبنى يلومي ، فدخلوا في طاعة صنهاجة ، وعملوا
في جيوشها بعد ذلك (٢٠٨) . ودخلت مدينة تلمسان الواقعة في قلب
مصارب زناتة في طاعة الفاطميين للمرة الاولى في تاريخهم .

هربت قبائل زناتة من المغرب الأوسط تحت وطأة هجوم
صنهاجة الى المغرب الأقصى (٢٠٩) ، كما خرجت بعضها الى الأندلس (٢١٠)
فواصل بلكين بين زيري زحفه على المغرب الأقصى لمطاردة القبائل
الزناتية التي فرت اليه ، واتبع آثار أمير مغراوة الزناتية الخير بن
محمد وقومه الى سجلماسة ، واستطاع أن يقتله ويشتت جموعه
في سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م (٢١١) ، ونذر دماء زناتة بجميع قبائلها ،
فارتحلوا الى ما وراء ملوية بالمغرب الأقصى (٢١٢) ، وبذلك تمكن
بلكين من القضاء على قوة مغراوة الزناتية وفرق شملها . وأصبح
المغرب الأوسط خلوا من زناتة لأول مرة منذ الفتح الإسلامي ،
وقضى على زناتة الجيل الاول بالمغرب الأوسط وهاجرت فلولها

(٢٠٥) مجهول ، نبذ ، ص ٨ .

Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٠٦) أنظر .

(٢٠٧) ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ .

(٢٠٨) ابن خلدون ، العبر ، ص ٥٥ .

(٢٠٩) أنظر .

Ency of Isl. (Art Maghrawa) 1 ed. T. 3, P. 107.

Terrasse, Op. Cit., P. 186

(٢١٠) أنظر .

(٢١١) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨ .

Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢١٢) نفسه ، ص ٢٧ .

الى المغرب الاقصى ، وبدأت سيطرة صنهاجة على المغرب الاوسط ،
واصبح الطريق امامها مفتوحا للسيطرة على المغرب الاقصى .

انتقم بلكين بن زيرى من قبيلة زناتة انتقاما قاسيا لمقتل أبيه ،
وحقق رغبة المعز لدين الله في انيل من زناتة ، بقتل امرائها
وتشتيت جموعها بالمغرب الاوسط ، فأعجب المعز بما فعل بلكين ،
واستدعاه اليه ، وأثنى عليه ، وحمد له ما فعله بقبائل زناتة ،
وقدده سيفه ، وأهسدها بالكثير من فاخر الثياب ، والخيول بسروجها
المحلاة (٢١٣) ، وولاه على المسيلة وأعمالها زيادة على ما كان لأبيه
زيرى مكافأة له (٢١٤) ، فعمد بلكين الى اذلال بنى برزال الزناتيين النازلين
حول المسيلة ، وأخذهم بالقهر والأضطهاد (٢١٥) ، لانهم من قبيلة زناتة
عدوتهم التقليدية ، وأولياء جعفر بن على الأندلسى منافس أبيه
زيرى ولم يكن لبنى برزال قدرة على الوقوف أمام قوة صنهاجة
صاحبة السيادة على تاهرت والمسيلة ، فأرسل أميرهم الى جعفر بن على
الأندلسى بما نالهم من صنهاجة ، فأستأذن لهم جعفر الخليفة الاموى
الحكم المستنصر بالمعبر الى الأندلس ، ووصفهم له بالشجاعة والانقياد
للطاعة (٢١٦) ، فاستدعاهم الحكم المستنصر ، وأحسن قبولهم ،
وزاد لهم فى العطاء ، وضمهم الى جيشه مع من كان به من فرسان زناتة
وغيرهم من البربر ، فظهر بنو برزال على أقرانهم فى الحروب (٢١٧) ،

(٢١٣) الفويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ،
ص ٧٥ .

(٢١٤) ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢١٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ .

(٢١٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ ، أنظر ، مؤنس ، محقق ،
الحلة ، ٢ ص ٥٠ هامش .

(٢١٧) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ٥٣ ، وكان الحكم المستنصر معجبا
بفرسان بنى برزال ايما إعجاب ، وكان يجد متعة فى النظر اليهم اذا تحركوا
للحلب ، وكان يقول لمن حوله « انظروا الى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم ،
فكانهم الذى عناهم الشاعر بقوله : فكانما ولدت قياما تحتهم .. وكانهم
ولدوا على صهواتها » ، (ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢) .

وظلوا بالاندلس ، واستعان بهم المنصور بن أبى عامر ، فزادت مكانتهم بالاندلس (٢١٨) .

اعادت الغزوة الفجحة - التى قام بها بلكين على المغربين الأوسط والأقصى للانتقام من زناته والخذ بثأر أبيه - جميع بلاد المغرب الى طاعة الفاطميين كما فعل جوهر الصقلى من قبل (٢١٩) ، مما كان سببا فى رفع قدر بلكين بن زيرى وقبيلة صنهاجة عند المعز لدين الله (٢٢٨) ، واختياره لبلكين بن زيرى ليخلفه فى حكم المغرب (٢٢١) ، وبالفعل سلمه المعز الفاطمى أعمال افريقية وأعمال المغرب ، وفوض اليه أمور البلاد كلها فيما عدا طرابلس وصقلية ، وأمر الناس بالسمع والطاعة له لسبع بين من ذى الحجة سنة ٣٩١ هـ / الرابع من أكتوبر سنة ٩٧٢ م (٢٢٢) ، وخلع عليه لقب أبو الفتوح يوسف (٢٢١) ، ربما لما حقق بلكين بن زيرى من انتصارات على زناته ، وفتوح فى أراضيها بالمغرب الأوسط ، اذ أخرجها منه وشردها . وقد أوصاه المعز الفاطمى بأمور كثيرة منها ألا يرفسح السيف عن البربر (٢٢٤) ، وأن يشفيه من زناته (٢٢٥) ، فامثل بلكين وصيته (٢٢٦) ، وواصلت صنهاجة

(٢١٨) المقرئ ، نفح ، ١ ص ٣٩٧ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥٠ هامش ، وعن المنصور بن أبى عامر ، الحميدى ، جذوة ، ص ٧٣ - ٧٤ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٢ ص ٥٩ .

(٢١٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٥ .

(٢٢٠) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ .

(٢٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٥ ، انظر ،

Ency of Isl. (Art Buluggin), 2 ed, V. 1, 1309

(٢٢٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٩٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٩

ورقة ٢٥٧ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٧٥ ، الا أن احد المستشرقين

يذكر أن المعز قلد بلكين ولاية افريقية والمغرب فى أوائل سنة ٣٦٣ هـ (O'leary. Op. Cit., P. 109)

(٢٢٣) انظر ، عبده بجوى ، حركة الاسلام فى افريقية ، ص ٨٢ .

Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309

(٢٢٤) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٤٣ .

(٢٢٥) أبو زكريا السيرة ، ورقة ٥٣ ، الشماخى السير ، ص ٣٥٤ .

(٢٢٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٣ .

حرب زناتة • وعزم المعز على الرحيل الى مصر ، فأتاه بلكين بألفى جمل من ابل زناتة (٢٢٧) • والغالب على الظن أنها كانت ضمن ما استولى عليه بلكين في غزوته الناجحة على مضارب زناتة ، وقدمها للمعز الفاطمي كرمز لتفوقه على زناتة وانتصاره عليهم ، فحمل المعز عليها جميع ما كان له بالقصور من الذخائر والأموال (٢٢٨) ، وخرج الى مصر في ربيع الاول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر سنة ٩٧٢ م (٢٢٩) ، فدخل مدينة الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ هـ / مايو سنة ٩٧٣ م (٢٣٠) ، ووصل الى عاصمة ملكة القاهرة المعزية في رمضان من نفس السنة / يونية سنة ٩٧٣ م (٢٣١) •

قامت دولة صنهاجة بالمغرب منذ أن قلد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمر بلاد المغرب الى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (٢٣٢) ، وصارت صنهاجة صاحبة السلطة الفعلية على افريقية والمغرب ، فأصبح الصراع بينها وبين قبيلة زناتة صراعا قبيليا (٢٣٣) ، لا يستره مذهب ديني أو ميل سياسي • وما أن عاد بلكين من وداع المعز الفاطمي الى مدينة المنصورية وعقد للعمال على الولايات ، وأخرج جبابة الأموال الى سائر البلدان حتى خرج بجيشه الى المغرب الاوسط على عجلة في شعبان سنة ٣٦٢ هـ / مايو سنة ٩٧٣ م (٢٣٤) ، اذ بلغه أن أهل مدينة

(٢٢٧) المقریزی ، اتعاظ ، ص ١٤٤ • وامتلاك زناتة للابل يوضح لنا طبيعة حياتهم ، بأنهم كانوا بدوا أهل ترحال ، وربما كانوا يستخدمون الابل في التجارة عبر الصحراء مع السودان •

(٢٢٨) النويری ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، انظر، الجيلالی ، تاريخ الجزائر،

١ ص ٣٠٩ •

(٢٢٩) مجهول ، نبذ ، ص ١٢ •

(٢٣٠) ابن الابرار ، الحطة ، ٢ ص ٢٩٣ ، ابن تغربردی ، النجوم ، ٤

ص ٧٢ •

(٢٣١) الدواداری ، كنز ، ٦ ص ١٤٧ ، المقریزی ، اتعاظ ، ص ١٨٧ •

(٢٣٢) ابن عذاری ، البيان ، ١ ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص

٢٩٢ ، الا ان ابن خلدون يذكر ان تقليد المعز لبلكين بن زيري امور افريقية والمغرب كان سنة ٣٥٨ هـ ، نفس المصدر والصفحة

Terrasse, Op. Cit., P. 186

(٢٣٣) انظر ،

(٢٣٤) مجهول نبذ ، ص ١٣ ، النويری ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ •

تاهرت قد أعلنوا التمرد والخروج على طاعته وطرّدوا عامله (٢٣٥) ، ومن المعروف أن تاهرت قاعدة زناتة (٢٣٦) ، كما بلغه أن قبائل زناتة بدأت تتجمع في تلمسان (٢٣٧) ، فاتجه بلكين الى مدينة تاهرت أولا لاهميتها بالنسبة له ، وحارب أهلها ، ودخل المدينة عنوة ، وقتل الرجال وسبى النساء وأضرم المدينة نارا بعد أن خربها (٢٣٨) ، وقد ظل الخراب ظاهرا على مدينة تاهرت وأهلها سنين ، اذ يروى ابن حوقل أن أهل تاهرت كانوا على حالة من الفقر والخصاصة (٢٣٩) .

رحل بلكين من تاهرت بعد أن خربها الى مدينة تلمسان حتى يقضى على بطون زناتة التي بدأت تتجمع فيها قبل أن يكتمل جمعهم ويشتد أمرهم ، فهربت البطون الزناتية من تلمسان عندما علموا بقدوم بلكين اليها (٢٤٠) ، اذ كانوا قليلي العدد وربما كانت القسوة التي انتقم بها بلكين من بطون زناتة أخذا بثأر والده جعلت البطون الزناتية تخشاه وترهبه . وعلى أية حال ، فقد ضرب بلكين الحصار حول مدينة تلمسان حتى استسلم أهلها ، فنقلهم الى مدينة أشير (٢٤١) ، ليكونوا تحت مراقبة قبيلة صنهاجة وفي متناول يدها اذا ما حاولوا التمرد والعصيان ، فأنشأ أهل تلمسان مدينة لهم بالقرب من أشير ، وأسموها تلمسان (٢٤٢) . وربما كان ذلك نوع من التعبير السلبي عن عدم

(٢٣٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٣ .

(٢٣٦) ابن أبي زرع ، الانيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوي ، الاستقصا

١ ص ١٧٤ .

(٢٣٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، انظر ، العبادي ، في التاريخ

العباس والفاطمي ، ص ٣١٦ .

(٢٣٨) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ ، انظر

Julien, Op. Cit., P. 67

(٢٣٩) صورة ، ص ٩٣ .

(٢٤٠) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٧٦ .

(٢٤١) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٣ ، انظر

Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٤٢) النويري ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة

١٢٣ .

الخضوع لقبيلة صنهاجة بعد أن فشلوا في الوقوف أمام قوتها ، وبين لنا مدى تمسك أفسراد زناتة باسم مدينتهم التي أبعدوا عنها قسرا . وما أن انتهى بلكين بن زيري من اخضاع جيوب المقاومة الزناتية في المغرب الأوسط حتى أعد المدة لمطاردة البطون الزناتية بالمغرب الأقصى ، فجاءته رسالة من المعز الفاطمي تنهاه عن التوغل في بلاد المغرب في الوقت الذي اضطربت فيه الأمور بالقيروان (٢٤٣) ، مما اضطر بلكين إلى الرجوع إلى افريقية حتى تستتب الأمور بها ، فشغله اضطرابه افريقية حتى قضى عليه سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م (٢٤٤) .

انتهزت بطون زناتة بالمغرب الأقصى انشغال بلكين بن زيري بمشاكل افريقية ، وعملوا على فرض نفوذهم على المغرب الأقصى ، وأعلنوا طاعتهم لخليفة قرطبة الحكم المستنصر حتى يعطوا حكمهم لبلاد المغرب الأقصى نوعا من الشرعية ، فانضموا إلى جيوش الخليفة الأموي التي جازت من الأندلس إلى المغرب الأقصى لمحاربة الأدراسة (٢٤٥) . وأعادوا مدينتي فاس والبصرة إلى الطاعة في رمضان سنة ٣٦٣ هـ / يولية ٩٧٤ م (٢٤٦) ، ثم احتاج الأمويون إلى جيوشهم بالمغرب الأقصى لصد ثغور الأندلس (٢٤٧) ، فتضافرت جهود أمراء زناتة على انتزاع المغرب الأقصى من طاعة الفاطميين ، والوقوف في وجه بلكين بن زيري ودفعه عن المغرب الأقصى (٢٤٨) .

(٢٤٣) وكان ذلك الاضطراب بسبب سياسة نائبه عبد الله بن محمد الكاتب التميمي المعروف بالمختال مع أهل القيروان ، فكتب زيادة الله بن القائم بأمر الله الفاطمي إلى المعز لدين الله بالقاهرة بما حدث في القيروان والذي يمكن أن يؤدي إلى الفتنة والحرب ، فأرسل المعز لدين الله برسالته إلى بلكين بالعودة إلى افريقية ، مجهول ، نبذ ، ص ١٣ .

(٢٤٤) مجهول ، نبذ ، ص ١٣ ، ابن خلدون ، المعبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢٤٥) ابن جزيان ، المقتبس ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢٤٦) ابن أبي زرع ، الانيس ، ص ١٣٦ - ١٣٩ .

(٢٤٧) ابن خلدون ، المعبر ، ٧ ص ١٨ .

(٢٤٨) مجهول ، نبذ ، ص ١٤ .

وكانت مدينة سجلماسة لم تخضع لطاعة زناتة وحلفائهم الامويين بالاندلس من قبل ، اذ ظلت في أيدي الخوارج الصفرية منذ نشأتها سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م حتى إخضعها جوهر الصقلي لطاغية الفاطميين وولى عليها من قبلهم سنة ٣٤٨ هـ / ٩٦٣ (٢٤٩) ، الا أن الخوارج الصفرية ما لبثوا أن استردوا مدينة سجلماسة لطاعتهم سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م (٢٥٠) . واتخذ أميرها من بنى مدرار لقب المعتر بالله (٢٥١) ، وظلت المدينة في طاعته حتى زحف اليها خزرون بن فلفول الزناتى في جموع مغراوة ، وهزم جيوش المعتر وقتله في رمضان سنة ٣٦٧ هـ / ابريل سنة ٩٧٨ م (٢٥٢) ، ودخل المدينة واستولى على ما فيها من مال وسلاح ، وقضى على دولة الخوارج الصفرية (٢٥٣) ، وأرسل رأس المعتر الى هشام المؤيد خليفة الأندلس (٢٥٤) ، فعقد الخليفة الأموى لخزرون بن فلفول على سجلماسة (٢٥٥) . والجدير بالذكر أن خليفة الأندلس لم يساعد أمير مغراوة الزناتية في الاستيلاء على سجلماسة ،

(٢٤٩) انظر قبله .

(٢٥٠) مجهول ، نبذ ، ص ١٦ ، اذ وثب اهل سجلماسة على العامل الذى ولاه جوهر واختاروا لهم واليا ، النعمان ، المجالس ، ورقة ٢٩٦ . (٢٥١) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ص ٣٧ .

(٢٥٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ مجهول نبذ ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ص ٣٨ ، بيد أن ابن خلدون ذكر في موصح آخر من كتابه العبر أن خزرون بن فلفول استولى على سجلماسة في سنة ٣٦٦ هـ ، (العبر ، ص ٧ ص ١٩) ، وبهذا التاريخ أخذ بعض المؤرخين المحدثين ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٤٢ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٧ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧١) .

(٢٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ص ٧ ص ٣٨ ، انظر

Bel, Op. Cit., P. 169

(٢٥٤) مجهول ، نبذ ، ص ١٦ ، ومد تولى هشام عرش الخلافة بقرطبة بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر في صفر سنة ٣٦٦ هـ / اكتوبر سنة ٩٧٦ م ، (ابن عذارى ، البيان ٢ ص ٢٦٩ ، ابن دحية ، المطرب ، ص ١٤٠) (٢٥٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩ .

ص ١٩ .

كما لم يكن في استطاعته طرد أمير مغراوة منها ، إلا أن الأمير الزناتى كتب بالفتح الى خليفة الاندلس حتى يكتسب حكمة صفة المشروعية .
وظهر بين أمراء زناتة في تلك الفترة من عرف بشجاعته وطموحه ، وهو زيرى بن عطية الزناتى الذى عمل على جمع شمل قبائل زناتة بالمغرب الأقصى ، وبالفعل نجح في مهمته ، وانضوت الكثير من البطون الزناتية بالمغرب الأقصى تحت قيادته ، وكثر جمعه سنة ٣٦٨ هـ / (٩٧٨ - ٩٧٩ م) (٢٥٦) ، فقام باخضاع مدن المغرب الأقصى وحصونه لطاعته ، فعظم شأن زناتة بالمغرب الأقصى ، واتسع ملكهم به (٢٥٧) .
لم يكن بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة ليعترك قبيلة زناتة تثبت سلطانها على المغرب الأقصى وتزداد قوتها ، وتعمل على استعادة المغرب الاوسط الذى أخرجت منه مرغمة فأعد جيشا عظيما وخرج به لاسترداد المغرب الأقصى من أيدي زناتة لخمس بقين من شعبان سنة ٣٦٨ هـ / السابع والعشرين من مارس سنة ٩٧٩ م (٢٥٨) ، فاستولى

(٢٥٦) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٦ ، فقد ملك زيرى بن عطية هذا مدينة فاس وغيرها وصار أمير زناتة كلها في وقته ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٥٢) ، واستطاع ان يسترجع قسما كبيرا من المغرب الاوسط من أيدي صنهاجة ، وان يلحقه بامارته بالمغرب الأقصى سنة ٣٨١ هـ ، (انظر بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٣) ثم قامت الحروب بينه وبين المنصور محمد بن ابي عامر بأرض المغرب الأقصى مما كان سببا في هزيمته وتشقيت قواته سنة ٣٨٩ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣) .
(٢٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٤٠ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ .

(٢٥٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩ ، انظر Ency of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1309
ويختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الغزوة ، فيرى ابن الاثير ، وبيبرس والعينى أن بلكين بن زيرى خرج الى المغرب الأقصى للقضاء على زناتة سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ - ٩٧٦ م) ، (الكامل ، ٩ ص ٢٠ ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ ، عقد الجمان ، ١٩ ، ورقة ٢٩٤) ، أما النويرى فيرى أنها كانت سنة ٣٦٧ هـ / (٩٧٧ - ٩٧٨ م) ، (نهاية ، ٢٢ ورقة ٥١) ، ويرى السلاوى وبعض المحدثين أنها كانت سنة ٣٦٩ هـ / (٩٧٩ - ٩٨٠) ، (الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ ، انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ١ ص ٣٢٦ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢١ ، عفان ، حولة الاسلام ، ١ ص ٤٩٢ .

على مدينة البصرة (٢٥٩) من يد يحيى بن على الاندلسى (٢٦٠) والى المدينة من قبل الأمويين وحليفتهم زناتة (٢٦١) ، ثم خرج الى مدينة فاس التى كان والياها (٢٦٢) يدينان بالطاعة لامراء زناتة ، ويدعون للخليفة الاموى بقرطبة على منابرها ، وضرب الحصار حولها وقاتل أهلها حتى أسلمت له أمرها ، فقتل عاملها (٢٦٣) ، وبعد أن ولى على مدينة فاس انطلق بجيوشه الى سجلماسة أحد معاقل زناتة القوية بالمغرب الأقصى ، وقاتل جموع زناتة بها حتى هزمهم وقتل أميرهم (٢٦٤) .

ارتفعت بطون زناتة بالمغرب الأقصى بعد أن هزم بلكين أقوى بطونهم به ، واستولى على البصرة وفاس وسجلماسة أقوى معاقلهم فيه ، وقتل أمير مغراوة الزناتية الذى كان أكثرهم جمعا ، لذا فروا الى مدينة سبتة واحتموا بها (٢٦٥) لأنها كانت خاضعة لبنى أمية حلفائهم ، وبها

(٢٥٩) البصرة مدينة بالمغرب الأقصى بحذاء جبل طارق ، الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٨١ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٦٠) كان الحكم المستنصر خليفة الاندلس قد عقد لجعفر بن على واخيه يحيى هذا على المغرب سنة ٣٦٥ هـ ، (مجهول ، نبذ ، ص ١٤) ، وادمهما بالاموال والظلم لاستمالة أمراء زناتة ، فانضم اليهما غالبية أمراء زناتة بالمغرب الأقصى لمحاربة بلكين بن زيرى الصنهاجى ، (مجهول ، نبذ ، ص ١٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩) ، ثم استدعى محمد بن أبى عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد جعفر بن على الى الاندلس سنة ٣٦٧ هـ ، وابتقى أخاه يحيى حاكما على مدينة البصرة ، (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩) .

(٢٦١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ .

(٢٦٢) كان لمدينة فاس عاملين أحدهما على عدوة القرويين وهو محمد بن على بن قشوش ، والاخر على عدوة الاندلسيين ويدعى عبد الكريم بن ثعلبة ، (ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٤) .

(٢٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٤ .

(٢٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢٦٥) مجهول ، نبذ ، ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩ .

بعض جنودهم (٢٦٦) ، والاهم من ذلك لحصانتها ، اذ يحيط بها البحر من كل النواحي ، فيما عدا موضعاً ضيقاً (٢٦٧) ، وبشرقيها جبل كبير تحيط به الشعار الكثيفة (٢٦٨) ، كما كان عليها أسوار عظيمة من صخر (٢٦٩) .

وكان بلكين بن زيروى يعرف مناعة سبتة وحصانتها ، فلم يعمد اليها مباشرة ، وانما وجه جهوده الى الاستيلاء على بقية مدن المغرب الاقصى ، فاستولى عليها ، وطرده منها جميع عمال بنى أمية الموالين لزنانة ، فأمن بذلك ظهر قواته ، ورحل الى مدينة سبتة ليقضى على من لجأ اليها من زنانة (٢٧٠) ، وما أن ضرب بلكين الحصار حول المجاز الذى يصل مدينة سبتة بأرض المغرب حتى أيقن محمد بن الخير زعيم بنى خزر الزناتيين من اصرار بلكين على القضاء عليهم داخل سبتة ، فجاز الى الاندلس مستغيثاً بالمنصور محمد بن أبى عامر (٢٧٦) ، صاحب

(٢٦٦) نفسه ، ص ١٥ .

(٢٦٧) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٥ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٠٣ .

(٢٦٨) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٣٧ ، والشعار هو الشجر الكثيف ، المصباح المنير ، ص ٦٧٩ .

(٢٦٩) أبو الفدا ، تقويم ، ص ١٣٣ .

(٢٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة

٥٩ .

(٢٧١) عمل محمد بن أبى عامر فى خدمة الخليفة الاموى الحكم المستنصر حتى وفاته سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وكان ابنه هشام وولى عهده صغيراً ، فضمن محمد بن أبى عامر لام هشام سكون الحال ، واستقرار الملك لابنها على ان تمده بالاموال وتوليه قيادة الجيوش ، فاستمال العسكر ، وقضى على منافسيه ، فصار صاحب القدير ، والمتغلب على الامور ، واسقط رجال الحكم المستنصر من سائر الطبقات ، وكون جيشاً يدين له بالولاء ، ثم حجب هشام المؤيد ، وتلقب بالمنصور ، ودانت له اقطار الاندلس كلها حتى كانت وفاته سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، (الحميدى ، جذوة ، ص ٧٣ - ٧٤ ، ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن البار الحلة ، ١ ص ٢٦٩ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ٢ ص ٥٩) .

السلطة الفعلية بالاندلس ، ليقف الى جانبهم ويدفع عادية بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة عنهم (٢٧٢) ، اذ أن قوة زناتة المغرب قد ضعفت بسبب هجرة الكثير من فرسانها الى الاندلس (٢٧٣) ، والعمل في جيوش بنى أمية (٢٧٤) ، وبخاصة بعد أن أصبح المنصور محمد بن أبى عامر صاحب السلطة الفعلية بالاندلس ، فقد استعان بهم في القضاء على العصبية العربية بالاندلس (٢٧٥) .

خرج المنصور بن أبى عامر لامتداد زناتة بنفسه ، وقاد جيوش الاندلس حتى الجزيرة الخضراء (٢٧٦) ، وعقد لجعفر بن على الاندلسى على حرب بلكين بن زيرى وقبيلة صنهاجة ، وأمددة بالجند والمال ، وأجازه البحر الى المغرب (٢٧٧) ، وعبر مع جعفر بن على الاندلسى الكثير من فرسان زناتة الذين كانوا يعملون في جيوش المنصور بن أبى عامر بالاندلس (٢٧٨) ، واستعدت جيوش الاندلس وفرسان زناتة للمقاتلة (٢٧٩) ، وعندما خرج بلكين بن زيرى في خاصته الى الجبل المطل على سبتة ليروا من أين تؤتى ، رأى بلكين وخاصته جموع زناتة وجند الاندلس المستعدة للمقاتلة ، فأيقن استحالة الاستيلاء على مدينة سبتة

(٢٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، ٧ ص ٢٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ١٧ .

(٢٧٣) عن هجرة البطون الزناتية الى الاندلس ، (ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٦٦ - ٦٨ ، ٢٦٢ - ٢٦٧ ، ٣١١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ - ١٩٣) .

(٢٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢٧٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، المقرئ ، نصح ، ١ ص ٣٩٧ ، ٤٢٧ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش .

(٢٧٦) وتقع بالاندلس ، وتقابل مدينة سبتة بالمغرب ، ويفصلها عنها مضيق جبل طارق ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٩٩) .

(٢٧٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ .

(٢٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢٧٩) مجهول ، نبذ ، ص ١٧ .

بدون مساعدة الاسطول (٢٨٠) ، فأعرض بلكين عن مهاجمة سبتة وترك حصارها وعاد بجيوشه الى الهجوم على مدينة البصرة ، وأمر بنهبها وهدمها (٢٨١) ، فصارت كأن لم تكن من قبل ، ولم يعد لها أثر (٢٨٢) .

استولى بلكين بن زيري على المغرب الاقصى فيما عدا مدينة سبتة التي ظلت خاضعة للخليفة الاموي بالاندلس (٢٨٣) ، وولى على

(٢٨٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥١ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ ، الا أن ابن خلدون يذكر أن سبب رجوع بلكين عن مهاجمة سبتة ، أنه عندما خرج الى سبتة مع خاصته ليرى من أين تؤتى ، رأى جيشا من زناتة وجند الاندلس لا قبل له به ، (العبر ، ٧ ص ٢٩) ، وقال لمن معه « هذه أفعى فغرت علينا فاما » ، وكر راجعا تاركا مدينة سبتة ومن بها من زناتة ، (العبر ، ٦ ص ١٥٦) ، ويضيف مؤرخ مجهول ، أن بلكين عاد الى معسكره بعد أن رأى هذا الجمع الكبير من فرسان زناتة وحفائهم الامويين ، وجمع رجاله للمشورة ، فقال احدهم : « أرى أن تنصرف عن القوم ، فقد اقمتم بين البحر والسيف ، ولا مهرب منهما ، فسيقاتل كل منهم قتال مستميت وخلفك من قبائلهم وعساكرهم من قد طويت الديار دونه ، فان انكسرت اطبقوا عليك ، فعسى تخلصك ، وان ظهرت فبعد صبر يذهب فيه من يعز فقده من رجالك ولا يسد موضعه ، فخشى بلكين أن يشيع هذا الراى فى زناتة وتأخذ به » ، (نبذ ، ص ١٧ - ١٨) ، ويبين ذلك أن المدد الاموى الذى جاز سبتة لم يكن بالعدد والقوة اللذين صورهما ابن خلدون : « وان المنصور بن أبى عامر لم يكن جادا فى مساندة زناتة وامدادها ، وانما خرج فى شبه مظاهرة عسكرية لارهاب بلكين بن زيري ، والا فلماذا لم تخرج هذه الجموع من الجيش الاموى ومن معها من زناتة لمطاردة بلكين وحربه بعد أن عاد عن سبتة الى مدن المغرب الاقصى يهدمها وينهبها ، ولماذا كان فرار زناتة الى الصحارى بعد ابتعاد بلكين عن سبتة كما سنشير الى ذلك ؟ »

(٢٨١) مجهول ، نبذ ، ص ١٧ ، ويذكر د . حسن ابراهيم ، أن المنصور ابن أبى عامر اضطر للاتفاق مع بلكين بن زيري عندما حاصر بلكين هذا مدينة سبتة ، وذلك ليتفرغ لحروبه ضد المسيحيين فى شمالى الاندلس ، (انظر Relations, P. 63)

- (٢٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٢
- (٢٨٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٩٠

اعماله ولاة من قبله (٢٨٤) ، ورحل بعساكره لحرب أمير برغواطية (٢٨٥) ، عندما لم يجد من يناوئيه من أمراء زناتة في حكم بلاد المغرب (٢٨٦) ، وما أن علمت بطون زناتة المحاصرة في مدينة سبتة برحيل بلكين عنها حتى خرجوا منها ، وفروا الى أقاصى المغرب في الرمال والصحارى (٢٨٧) وقد صور المؤرخ ابن عذارى حال بلاد المغرب وأمراء زناتة بعد هذه الغزوة التى قادها بلكين بن زيرى قائلًا ، « وأقام أبو الفتوح بلكين في بلاد المغرب ، وهو قد ملكها ، وأهل سبتة منه خائفون ، وزناتة مشردون ، وذلك من سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٩ م » (٢٨٨) ، فكف بلكين بن زيرى عن غزو بطون زناتة (٢٨٩) حتى وفاته في ذى الحجة سنة ٣٧٣ هـ / مايو ٩٨٤ م (٢٩٠) .

وقصارى القول ، ان المعز لدين الله استغل الصراع بين قبيلة زناتة وقبيلة صنهاجة لصالح الخلافة الفاطمية ، فعقد لزعيم صنهاجة على حرب أمراء زناتة ، وسأده في النيل من زناتة التى ضعفت قواها في المغرب بسبب عبور الكثير من فرسانها الى الاندلس تحت وطأ هجمات صنهاجة ، وللمعمل في جيوش خلفاء بنى أمية الذين شجعوهم على الوفود الى الاندلس بكل الطرق الممكنة ، فاستطاعت صنهاجة تثبيت بطون زناتة من المغرب الاوسط الذى عرف بهما ، بل وتشريدها من المغرب الاقصى بعد ذلك ، فظلوا في التيه طوال سنوات حكم بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة .

(٢٨٤) نفسه ، ص ٣٨ .

(٢٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٧ ، وامارة برغواطية قامت ببلاء تامسنا في المغرب الاقصى ، وغنها ، انظر ، البكرى ، المغرب ، ص ١٣٤ - ١٤١ ، ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

(٢٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩ .

(٢٨٧) ابن الاثير الكامل ، ٨ ص ٢٤٠ ، بيبيرس ، زبدة ، ٦ ورقة

١٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢٨٨) البيان ، ١ ص ٢٣٧ .

(٢٨٩) مجهول ، نبد ، ص ١٨ .

(٢٩٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ ص ١٣ ، ابن خلكان ، وفيات ،

١ ص ٩٣ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309

الخاتمة

مما سبق تبين لنا أن بطون قبيلة زناتة انتشرت في كل شمالي افريقيا بأقاليمه الثلاثة المعروفة ، افريقية ، والمغربين الأوسط والأقصى، وأن كانت غالبية البطون الزناتية وأقواها عاشت في المغرب الأوسط حتى أنه عرف بهم ، فأطلق عليه مغرب زناتة ، فكانت زناتة صاحبة السيادة عليه ، اذ تبادلت قبيلتها مغراوة وبنى يفرن الزناتيتين هذه السيادة عليه . وكان تباعد مضارب بطون زناتة في شمالي أفريقيا بعضها عن بعض سببا في ضعف الترابط فيما بينها ، فكانت كل منها تعيش وكأنها قبيل قائم بذاته لا يربطه بغيره من البطون الزناتية رابطة العصبية ، وبالإضافة الى ذلك ، فإن بعض بطون زناتة كانت متكافئة القوة والعدد ، وبخاصة مغراوة وبنى يفرن ، فلم تخضع احدهما للآخرى ولم تجتمعا على رئاسة واحدة ، لأن كل منهما طلب الرئاسة ، مما كان سببا في تفرق كلمتهما ، وقيام الحروب بينهما ، فضعفت قوة كل منهما ، « لأن القبيل الواحد ، وإن كانت فيه بيوتات متفرقة ، وعصبيات متعددة ، فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها ، تغلبها وتستتبعها ، وتلتحم جميع العصبيات فيها ، وتصير وكأنها عصبية واحدة ، والا وقع الافتراق المفضى الى الاختلاف والتنازع ، لأن الرئاسة تكون في فرع واحد ، ولا تكون في الكل ، والرئاسة تكون بالغلب ، لذلك يشترط أن تكون عصبية الفرع الذي يطلب الرئاسة أقوى من سائر البطون الأخرى ليقع الغلب وتتم الرئاسة » ، كما ذكر المؤرخ ابن خلدون (١) ، الذي قام بدراسة العصبية القبلية ، واستنبط نظرياته

عنها من دراسة لتاريخ المغرب وقبائله ، وبخاصة قبيلة زناتة التي لا يفتأ يذكرها كلما أراد الاستدلال على شيء خاص بالعصبية أو تأكيد (٢) .

وعندما قام العرب بفتح المغرب وضح عدم الترابط بين بطون زناتة اذ انضمت بعض البطون الزناتية مثل مغراوة وبنو عبد الواد الى العرب مع أول الفتح ، ووقفت بطون زناتية أخرى مثل جراوة وبنو يفرن تقاوم العرب الفاتحين مقاومة عنيدة حتى هزمهم العرب وأخضعوهم فتحولت بقية البطون الزناتية الى الاسلام ، وشاركوا العرب في اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس . وبعد ذلك اعتنقت بعض بطون زناتة مبادئ الفرق الاسلامية المختلفة من المعتزلة والخوارج الصفرية والاباضية - مما كان سببا في زيادة ضعف رابطة العصبية بين البطون الزناتية - وثاروا على الخلافة الاموية والعباسية ، واقتطعوا المغربين الأوسط والأقصى من سلطة الخلافة وأقاموا عليها امارات زناتية مستقلة ، وساندوا الدول المستقلة التي قامت هناك مثل الرستمين والادارسة ، فنالت بطون زناتة بالمغربين الأوسط والأقصى الاستقلال بمضاربهم في ظل هذه الدول ، اذ كان للادارسة والرستمين السلطة الاسمية على مضارب زناتة ، ولامراء زناتة السلطة الفعلية ، الا أن اختلاف المذاهب الدينية بين البطون الزناتية زاد من التباعد والتنافس وحدة الصراع بينهما ، وبخاصة فرعيها الكبيرين مغراوة التي كانت على مذهب أهل السنة ، وبنو يفرن الذين دانوا بمبادئ الخوارج الصفرية والاباضية ، فقامت الحروب بينهما ، لأن قبيلة زناتة وهي أشبه القبائل البربرية بالعرب لا يمكن أن تجتمع الا بصيغة دينية « لان خلق التوحش الذي فيهم يجعلهم أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلبة وبعد الهمة ، والمنافسة في الرياسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم » (٣) ،

(٢) عن ابن خلدون ودراسته للعصبية القبلية بالمغرب ، انظر . قبله .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٩ .

ومما يؤكد لنا أن ضعف قوة قبيلة زناتة كان بسبب اختلافهم في المذاهب الدينية التي اعتنقوها ، وعدم وجود زعامة دينية يجتمعون حولها أن قبيلة زناتة كانت أكثر عددا وأكبر قوة وأشد توحشا من قبيلة مسمودة ، ولكن وجود زعامة دينية اجتمعت عليها قبيلة مسمودة «ضاعفت من قوة مسمودة وعصبيتها ، فغلبوا على زناتة واستتبعموهم » (٤) .
وخلاصة القول ، ان بطون زناتة لم تجتمع على زعامة سياسية أو دعوة دينية حينما قامت الخلافة الفاطمية في شمالي افريقيا ، وان كانت بطون زناتة هي صاحبة السلطة الفعلية في المغرب الأوسط وقتذاك .

ولم تتفق بطون زناتة حول شيء ما قدر اتفاقها على معارضة الدعوة الفاطمية ، وعدم الخضوع لطاعة الفاطميين أو الانضمام لهم ، وان كانت بطون زناتة بافريقية قد خضعت مرغمة لسلطة الفاطميين ، فذلك مرجعة الى قرب مضاربها من مركز الخلافة ، وأنهم كانوا في متناول يد جيوشها ، كما كانت مضاربهم محاطة بأنصار الفاطميين من قبائل البرانس . رغم ذلك كثيرا ما أعلنوا الثورة والتمرد . أما زناتة المغرب الأوسط ، الذين كانوا أكثر تماسكا تحت زعامة محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية فقد ظلت في صراع مستمر مع الخليفين المهدي والقائم بأمر الله ، ووقفوا حجر عثرة أمام محاولات الفاطميين لاختضاع المغرب ولم تمكن الخلفاء الفاطميين من بسط سلطانهم على تلمسان وأعمالها ، كما قامت بالآغارة على ممتلكات الفاطميين بافريقية مما كان سببا في أن أسس الفاطميون مدينة المسيلة ، وأعانوا صنهاجة على بناء مدينة أشير لتقفنا حاجزا بين زناتة وأملاك الفاطميين بافريقية . ولم تدخل بطون زناتة المغرب الأقصى في صراع مباشر مع الفاطميين لأنهم كانوا أكثر بطون زناتة بدواة ، وكانت حياتهم ترحال ولم يعرفوا الاستقرار ، ولم يقمعت اعتداء مباشر من الفاطميين عليهم ، كما لم يكن لهم زعامة يجتمعون حولها ، فانضموا الى قبيلة مكناسة في حربهم مع الفاطميين ، وما أن كانت الجيوش الفاطمية تعود من المغرب الأقصى حتى تعلن هذه البطون الزناتية التمرد من جديد .

وقد ظلت البطون الزناتية بامريقية على خضوعها مرغمة للفاطميين حتى وجدت زعامه دينيه بينهم ممثله في أبى يزيد الزناتى ، فاجتمعوا حوله وأعلنوا الثورة على الفاطميين واتخذوا من المذهب الدينى ستارا لثورتهم، وانضمت اليهم بعض بطون زناته المغرب الأوسط ، وحققوا الانتصارات على الفاطميين ، واستولوا على معظم مدن افريقيه ، ولم يبق في يد الفاطميين سوى مدينة المهدية ، الا أن المنافسة بين أنصار أبى يزيد بسبب الاختلاف في المذاهب ، ودخول قبيلة صنهاجة الى جانب الفاطميين نكايه في قبيلة زناته المنافسة لها كانا سببا في هزيمة أبى يزيد ومن معه من زناته افريقية ، ورغم فشل ثورة أبى يزيد الا أنها كانت سببا في أن تخلق المنصور بالله عن الاتجاه المذهبي والسياسة المالية التى اتبعها القائم بأمر الله مع رعاياهم ، وأوقفت نشاط الفاطميين الخارجى كلية طوال مدة الثورة ، وأعطت زناته المغرب الأوسط الفرصة لفرض سلطانها عليه واستعادة مدينتى تاهرت وفاس من أيدي الفاطميين.

وكان انضمام صنهاجة الى جانب الفاطميين سببا في تغيير ميزان القوى كلية لصالحهم ، واستطاع الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، أن يستغل العداء والتنافس بين صنهاجة وزناته أفضل استغلال لصالح الخلافة الفاطمية ، « فكلما ثار أحد زعماء زناته رماه المعز بقرينه زيرى بن مناد زعيم صنهاجة » (٥) ، فاستطاع المعز الفاطمى بمعاونة صنهاجة استرداد تاهرت بالمغرب الأوسط ، ومدن المغرب الأقصى من أيدي زناته ، وأوقع الهزيمة ببنى يفرن الزناتيين وفرق شملهم ، وأخرجهم من حلبة الصراع . وبعد أن خرج الجيش الفاطمى لفتح مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م اعتمد المعز الفاطمى كلية على قبيلة صنهاجة ، وعقد لزعيمها زيرى بن مناد على حرب زناته على أن يكون له ما يستولى عليه من أراضي زناته بقوة السيف (٦) ، فشن زعيم

(٥) ابن خلدون ، العبر ٦ ص ١٥٤ .

(٦) مجهول ، نبذ ، ص ٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، ابن الخطيب ،

أعمال الاسلام ، ٣ ص ١٥٣ .

صنهاجة عن ساعده واعسار على مضارب زناتة حتى سقط قتيلًا في إحدى المعارك ، فقاد ابنه جموع صنهاجة للاحذ بثأر أبيه ، وأمه المعز لدين الله الفاطمي بالمسال والرجال ، فأُنزل الهزائم المتتالية بقبائل زناتة بالمغرب الأوسط ، وأضطروهم إلى الارتحال عنه حتى أصبح المغرب الأوسط خلوا من زناتة . وبعد خروج الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى مصر شنت قبيلة صنهاجة - التي صارت صاحبة السلطة الفعلية على شمالي إفريقيا - هجوماً عنيفاً على قبائل زناتة بالمغرب الأقصى ، واضطرتهم إلى الفرار إلى الصحاري ، وبذلك أخرجت قبائل زناتة من المغرب الأوسط والأقصى وشردوا في الصحاري .

وكان للتحالف بين زعماء زناتة وخلفاء قرطبة الأمويين أثره على علاقة زناتة بالفاطميين في المغرب ، كما كان له أثره على قبيلة زناتة نفسها ، إذ كان سبباً في ازدياد العداء بين زناتة والفاطميين ، ووقوف زناتة أمام رغبة الفاطميين لمد سلطانهم على المغرب الأوسط والأقصى ، فقد كانت زناتة رأس حربة للامويين في صراعهم مع الفاطميين . ولكن هذا التحالف كان وبالاً على زناتة ، لأن خلفاء قرطبة لم يمدوا قبيلة زناتة بالعموم الكافي للوقوف أمام هجمات الفاطميين وأنصارهم من البرانس ، فانهزمت زناتة في الكثير من معاركها ، وكلما هزمت زناتة على أيدي الفاطميين عبرت بعض بطونها إلى الأندلس ، وشجع خلفاء قرطبة فرسان زناتة على العبور إليهم ، واعتمدوا عليهم في حروبهم مع النصارى ، مما كان سبباً في نقص جموع زناتة بالمغرب ، وبالتالي ضعف قوتها ، وفي النهاية هزيمتها القاسية أمام صنهاجة وتشريدها في الصحاري .

وقصارى القول ، أن زناتة أقلقت راحة الفاطميين بالمغرب ، وعطلت الكثير من مشاريعهم ، بينما كان هذا الموقف العدائي من الفاطميين سبباً في أن خسرت زناتة الكثير من فرسانها ، ومضاربها بالمغرب (م ٢٠ - زناتة والخلافة الفاطمية)

الأوسط والاقصى ، وان عادت بعض بطون زناتة بعد ذلك بسنوات لتبدأ فترة جديدة من تاريخها أقامت فيها امارات مستقلة في فاس وسجلماسة وسلا (٧) ، وتادلة (٨) ، وأغمسات (٩) ، وطرابلس (١٠) .

-
- (٧) وهي مدينة بأقصى المغرب ، عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخي ، خريطة رقم ١٠ .
- (٨) مدينة بالمغرب الأقصى تقع بالقرب من فاس ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٢ ، وعن هذه الامارات الزناتية ، انظر ، العبادي ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص ٦٦ - ٦٧ .
- (٩) وهي تقع بالمغرب الأقصى وتبعد ثلاثة فراسخ عن مراكش ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
- (١٠) وقد قامت هذه الامارة الزناتية سنة ٣٩٠ هـ ، ابن عذاري ، البيان ، ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

الملاحق

خطبة أعدھا القائم بأمر الله وأمر أحد فقهاءه ،
أبو جعفر أحمد بن محمد بن عمر المروزي أن
يخطب بها رجال قبيلة كتامة أثناء حصار
أبي يزيد الزناتي للمهدية .

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي محمد صلى الله
عليه ، وعلى آله الطيبين ، أيها القاس ، أن هذا اللعين الفكارى قد استشره
شره ، واستتبوا مرتعه ، وحملتة الأمانى الغرارة ، وللفنفس التى هى
بالسوء أماره ، على غمط نعمة الله عليه ، وسول له الشيطان الذى هو
قرينة ألا غالب له ، وإنما أرخى له أمير المؤمنين فى زمانه ، ليحشر فى
فصل خطامه ، فلعنه الله لعنا وببلا ، وأخزاه خزيا طويلا ، وصيره إلى
نار قلظى ، « لا يصلها الا الأتقى الذى كذب وشظى » ، وقد علمتم
يامعشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم وقدماء أسلافكم من لزوم الطائفة
والاعتصام بصبلها ، والتقى بظلمها ، والعجادة فى الله حق الجهاد ،
وأنكم خبيثة الله لهذا الحق المعهدى الفاطمى المهدى حتى أظهر الله
وأعلاه ، وجعل لكم فضره وسخاه ، فأنتم كحوارى عيسى ، وأنصار
محمد صلى الله عليه . يا أبناء المهاجرين والأنصار الأولين السابقين
المقربين ، أليس بكم لزال الله دولة الظالمين التى مضت أحقابها النفسين ،
حتى جعلهم الله حصيدا خالدين ، ولورثكم أرضهم وديارهم ، فحسرتهم
تغزون بعد أن كنتم تغزون . نزل بآرائكم الدجال اللعين فى شرفمة
ضالة مضلة ، لم يستضيئوا بنور هداية ، فهم كالانعلم الممثلة ، والصور
الممثلة ، والخشب المسندة ، والحرر المستنقرة ، ان أقاموا هلكوا ، وان

طوبوا أدركوا ، فلا تنكسوا بعد الاقدام ، وأنتم حزب الله ، وهم حزب
الشيطان ، وقتيلكم في الجنة ، وقتيلهم في النار ، فأى حق بعد هذا
الحق تطلبون ، ومع أى امام بعد امامكم تقاتلون ، قاتلوا رحمكم الله
أحزاب الضلال ، وذئاب الطمع ، وفراش النار ، واطلبوهم في نواحي
الأرض ، وأقصى البلدان ، وجميع الآفاق ، حتى يحق الحق ، ويبطل
الباطل ، ولو كره المشركون .

الجوذري ، سيرة ، ص ٥٤ - ٥٥

خطاب المنصور بالله الى مولاہ جوذر نائبہ على المہدية ، وقد
وصل عنوان الخطاب باسم القائم بأمر الله ، يصف فيه انتصاره
على أبى يزيد الزناتى في موقعة يوم الجمعة .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله . والله أكبر ، الله أكبر ، والله
الحمد ، الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ، ومننه التى لا تجارى ،
لا اله الا الله ، والله أكبر تكبير ولى عہد المسلمين ، سيف أمير المؤمنين
ناصر الدين ، شكرا لنعمته رب العالمين ، يا وارث النبيين ، ياسيد
المسلمين ، يا خليفة رب العالمين ، يا خير الخلق أجمعين ، يا ولى رب
العالمين ، لليوم أعز الله دين جدك ، محمد رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله ، وسنته وأمته ، وأدغم أركان الدين ، وأظهر برهان أمير المؤمنين
وأفلح نحبته ، وأعلا كلمته ، ونصر حزبه ، اليوم فتحت مشارق الأرض
ومغاربها ، اليوم ازداد الحق ضياء وسناء وعلاء . الحمد لله رب
العالمين الذى نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، والله
ياسيدنا مولانا أمير المؤمنين ، ما سمع من عهد جدك المصطفى صلى
الله عليه ، بيوم كان أعز نصرا وتأييدا وظفرا وقهرا ، أن عاند الفسقة
الفجرة عساء من أيقن بالموت واستبسل ، وناصب وعاند ، فأبى الله
عز وجل الا اتمام نوره ، واخلأ كلمته على كره الكافرين رغم الراغمين ،
جملة ما أبشربه سعيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، أن تقتلهم غطت
الأرض ، وامتلا العسكر المنصور من غنائمهم ، وكذلك مدينة القيوان ،
وما عجز الأولياء من حملة واستنقلوه أطلقت النار عليه فأخرقته ،

واستولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير ، فقتل به ما لا يحصى سوى من قتل في المعركة ، وليس الى احصاء قتلاهم سبيل لكثرتهم ، وكان اللعين قد صابر وحامى ، فقصده بنفسى ، فأخذته السيوف والرماح بين يدى ، وليس على اللعين الا قميص واحد - سربله الله سراويل جهنم - ففعل انه قد صرع في المعركة ، وقد أمرت بالتفتيش عليه ، وأرجو ذلك ، على أنه ان كان قد هرب بحشاشه نفسه ، فهو أسير يومه أو غده ، وأنا راحل في ليلتي هذه بعد نصف الليل أو في السحر لأشق البلاد طولا وعرضا أطا ديار الفاسقين ، وأمحو بسيفك آثارهم بحول الله وقوته ، وعزه ونصرته ، وقد بعثت بكتابى هذا الى أمير المؤمنين مع ثلاثة من عبيده ممن شهودوا الواقعة الميمونة تحت ركابى ، ليثانفوها أمير المؤمنين صلى الله عليه بما شاهدوه ، وان كان وصف النعمة معييا ، وشكرها معجزا . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين . وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

الجوهرى ، سيرة ، ص ٤٥ - ٤٦

خطاب المنصور بالله الى جوهر يأمره بصنع سيوف بالمهدية بدلا من الافرنجية واليمانية .

اعمل لنا سرجا مذهب خفيفة سفريه بأقل من ألف درهم ، وتخير لها عودا واسعا جيدا ، واعمل بما بقى منها سيوفا بصمائل على نصول تطبعها بالمهدية تكون لها ، ولا يكون منها افرنجية ولا يمانى ولا غيره ، فان هذه السيوف المستعملة أمضى من كل سيف رأينا ، وقد اخترنا ذلك وجربناه مرارا ، وليكن حلية كل سيف منها بخمسين دينارا ليكون لك بذلك أجران : أجر فيما تقربت به الى الله عز وجل ، وأجر تشارك فيه من يجاهد بها بين أيدينا في سبيل الله ان شاء الله ، وسائر مالك فانتفع به ، ثمرة الله لك ومتعك به .

الجوهرى ، سيرة ، ص ٤٧

**خطاب المعز لدين الله الى محمد الكاتب بعد أن خرج
المعز لدين الله للقضاء على ثورة ابي خزر الزناتى .**

يا محمد . ابعث الى جوذر سلمه الله بتوقيعنا هذا تعرفه أنا ذكرناه
بعين كسرى ، ذكره الله بالرحمة والعافية ، وأنا أمرنا أن يملأ له بين أيدينا
من رأس العين حملين ماء ، وأنفذناهما اليه ، وبعثنا اليه بخمسة دنانير
من السكة للمباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم
امتنانه ، ليراها ويتبرك بها ، وأرجو أن يمد الله في عمره حتى
يحيى منا ، ونعطيها مما يضرب لنا ببغداد ، وقد أكمل الله لنا
الأمال ، وعرفه ما نحن عليه من السلامة ، وتتابع النعم ، وما معنا من
للجموع التى يستعملها الله غيظا يرضيه على استيلاء أعدائنا حيثما
كانوا ، فليطب نفسا . غمنا فلنا الا كل خير الذى يسره الله به ،
والحمد لله كما هو أهله .

الجوزى ، سيرة ، ص ١١١

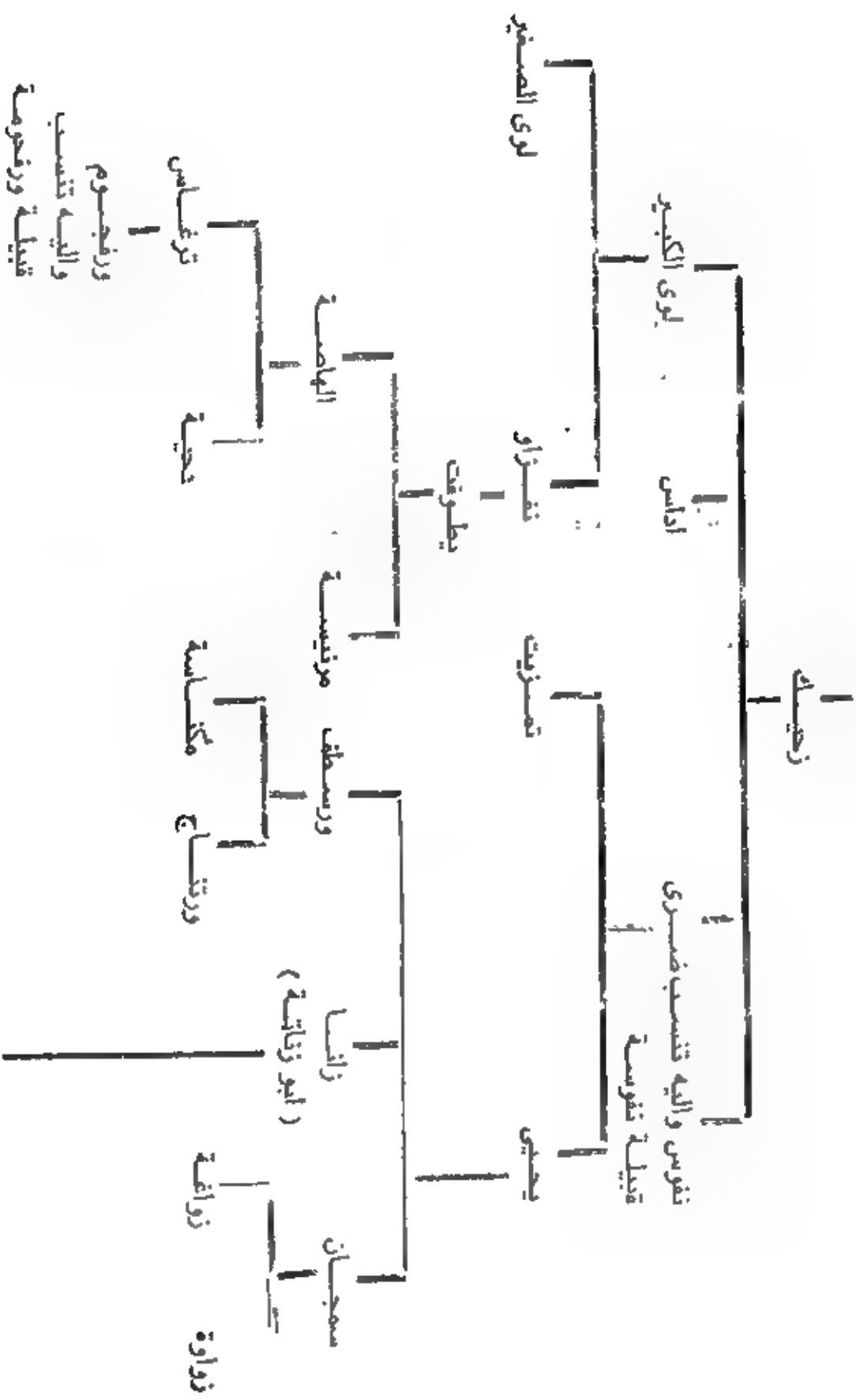
**خطاب المعز لدين الله الى مولا جوذر يذكر فيه ما قام به
من الصلح بين جعفر بن علي الاتدلسي وبلكين بن
زيرى الصنهاجى لحسم الاختلاف بينهما .**

يا جوذر . كان ما بلغك والحمد لله ، وأنه لحقيق بأن يسره كل
ولى ، ويكمد به كل شقى غوى ، ولقد احتملنا منهم ما لو كان بين يدي
أقل عبيدنا لكبر عليهم ، لكن للذى أردناه من صلاح الاحوال احتملنا
ذلك وصبرنا عليه ، ولا سيما ان كان ذلك بين أيدينا ، وفي خلوة لم
يبد لأحد من أوليائنا أو عبيدنا ، وقد علم الله أن ذلك ليس هو
لفقرنا الى أحد منهما جميعا ، بل لو شئنا الاستبدال بهما لوجدنا
كثيرا يبذلون على ذلك الأموال العظيمة ، فيجب عليك أن تؤكد على
جعفر في موافاة نفسه ، وأخذها بما يجب لنا عليه من امتثال
أمرنا ، فان مات عاملا بأمرنا ، فأقل ما أوجبه الله عليه . ذلك
لو كنا صرفناه . فكيف ونهى الأمة المفترضة طاعتنا ذوو الأنفس

الطاهرة في الحنان والاشفاق والسماح والاحتمال ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، فالعمل بأمرنا واجب من كل الوجوه ، فان يجمال له ما أوردناه ، فقد سعد واستعجل الراحة وأراحنا ، وان مات باذلا روحه فيما أرضنا ، فقد قضى فرضه وكشف لنا ما اشتبه علينا ، فخذ في هذا الباب بما تعلم أن تتم معه ارادتنا ، فليس والله في كل وقت تتسرع الصدور بمثل الذي كان منا ، وهذا المقام هو الفصل بخير لنا ولهم بحول الله ، وضده لمن تنكب ارادتنا ، وانما ذكرنا ذلك لبعض ما شاهدناه بالامس ، فقد يبدو لنا أن اليأس من صلاحهم أغلب علينا ، ثم نعود الى الرجاء فيما عودنا الله الى أن تم ما رأيناه ، وبلغك ، وان كان ثم فيه بعض ما فيه ، لكن عوائد الله علينا جميلة ، وفضله علينا واسع وهو يجزيينا على أفضل ما عودناه ان شاء الله •

الجوذي ، سيرة ، ص ١٠١ - ١٠٢

مادغيس الأبتَر (الذي نسبت إليه قبائل البتَر)



المصادر والمراجع

أولا : المصادر

(١) المخطوطات :

- الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر ، ت ٦٢٣ / ١٢٢٦) .
- أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٨٩٠ تاريخ .
- بيبرس الحوادر (ت ٧٢٥ / ١٣٢٥) .
- ربدة الفكر في تاريخ الهجرة ، جزء ٦ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٤٠٢٧ .
- الدرجيني (أبو العباس أحمد ، ت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .
- طبقات الاباضية ، الجزء الأول ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٢٥٦١ ح .
- أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر ، ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .
- كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٩٠٣٠ ح .
- العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٨ / ١٣٤٧) .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، جزء ٥ ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٤٣٧٦ ح .
- العيني (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين ، ت ٨٥٥ / ١٤٥١) .

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، الأجزاء ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ،
مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٥٨٤ تاريخ .

- مجهول .

تاريخ مدينة ماس وبناء جامع القرويين والاندلسيين ، ملحق على
مخطوط كتاب تحفة الألباب مألوف ابن الربيع الغرناطي الاندلسي ،
مخطوط بدار الكتب ، برقم ١١ ش تاريخ .

- المغربي (محمد الشطيبي) .

كتاب الجمان في أخبار الزمان ، مخطوط بدار الكتب ، برقم
١٤١٦ تاريخ .

- النعمان (الماضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون ،
ت ٣٦٣ / ٩٧٤) .

١ - المجالس والمسائرات ، الجزءان ١ ، ٢ ، مخطوط بمكتبة
جامعة القاهرة ، برقم ٢٦٠٦٠ .

٢ - افتتاح الدعوة الزاهرة ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ،
برقم ٢٤٠٨٨ ونشر جزء منها في ملاحق كتاب Ivanov :
Ismaili-Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Bombay, 1942.

- النويري (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٣٢ / ١٣٣٢) .

نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزءان ٢٢ ، ٢٦ ، مخطوط بدار
الكتب ، برقم ٥٤٩ معارف عامة .

(ب) المصادر المطبوعة :

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ،
ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) .

١ - الحلة السيرة ، الجزءان ١ ، ٢ ، ، تحقيق حسين مؤنس ،
القاهرة ١٩٦٣ م

٢ - التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٥ م .

- ان الأثير (محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠ /
١٢٣٣) .

- ١ - الكامل في التاريخ ، الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، طبعة سنة ١٨٧٢ م ، بدون مكان .
- ٢ - اللباب في تهذيب الأنساب ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد ادريس الحمودى الحسنى ، ت ١١٦٣/٥٥٨) .
- نزهة المشتاق في اخدراق الآفاق ، الجزء الثالث ، طبعة نابولي ١٩٧٢ ، الجزء الخامس ، طبعة نابولي ١٩٧٥ .
- الاصطخرى (ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكركى ، ت النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .
- المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد الوهال الحينى ، القاهرة ١٩٦١ م .
- الاندلسى (محمد بن محمد الاندلسى الوزير السراج ، ب ١١٤٩ / ١٧٣٦) .
الحل السنخسسية فى الأخبار التونسية ، الجزء الاول ، تحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، تونس ١٩٧٠ م .
- الأنصارى (أحد النائب ، ت القرن التاسع عشر الميلادى) .
المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، الطبعة الثانية ، ليبيا بدون تاريخ .
- ابن بسام (أبو الحسن على ، ت ٥٤٢ / ١١٤٧) .
الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك ، ت ٥٧٨ / ١١٨٢) .
الصلة فى تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، الجزء ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ، ت ٧٧٩ / ١٣٧٧) .
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- (م ٢١ - زناتة والخلافة الفاطمية)

- البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت ٤٢٩ / ١٠٣٧) .
الفرق بين الفرق ، تعليق محمد بدر ، القاهرة ١٩١٠ م .
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧ / ١١٠٣) .
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، الجزائر ١٨٥٧ م .
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي ، ت ٢٧٩ / ٨٩٢) .
فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٠١ م .
- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، ت اوائل القرن الثامن
الهجري / الرابع عشر الميلادي) .
رحلة ، تقديم حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ م .
- ابن تغربردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ / ١٤٦٩) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء ١ ، ٤ ، القاهرة
١٩٦٣ ، وهي نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
- ابن جبير (عز الدين أبو الحسن الجزرى) .
الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار ، تحقيق ،
حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- الجزنائي (أبو الحسن على ، ت أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر
الميلادي) .
زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، الجزائر ١٩٢٢ م .
- الجوزرى (أبو علي منصور العزيزى ، ت النصف الثانى من القرن الرابع
الهجرى / العاشر الميلادى) .
سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق ، محمد عبد الهادى شعبة ، محمد
كامل حسين ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ابن حزم (على بن محمد بن سعيد ، ت ٤٥٦ / ١٠٦٣) .
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة
١٩٦٢ م .
- ابن حماد (أبو الحسن على بن حمادة ، ت ٦٢٨ / ١٢٣١) .

اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشر فاندرهين ، الجزائر
١٣٤٦ / ١٩٢٧ .

- الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ، ت ٤٨٨ / ١٠٩٥) .
حذوة المقيس ، ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواء الحديث وأصل
الفقه والأدب وذوى النباهة والشعر ، تحقيق ، محمد بن تاويت
الطنجي ، القاهرة ١٩٥٢ م .

- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت ٧٢٧ / ١٣٢٧)
صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر
الأقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م .

- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل البصيرى ، ت النصف الثانى من القرن
الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

صورة الأرض ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ابن حيان (حيان بن خلف بن حسين ، ت ٤٦٩ / ١٠٧٦) .

المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ،
بيروت ١٩٦٥ م .

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت حوالى سنة
٩١٢/٣٠٠ - ٩١٣) .

المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ م .

- الخشنى (أبو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد ، ت ٣٦١ / ٩٧٢) .
قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، القاهرة ١٣٧٢ م .

- ابن الخطيب (لسان الدين بن محمد بن الخطيب السلیماني ، ت ٧٧٦ /
١٣٧٤) .

١ - أعمال الاعلام مبين بويج قبل الاحتلال من ملوك الاسلام :
الجزء الثانى نشر ليفى بروفنسال تحت عنوان : تاريخ
اسبانيا الاسلامية ، بيروت ١٩٥٦ م

٢ - الجزء الثالث من كتاب أعمال الاعلام ، نشره أحمد مختار
العبادى ، ومحمد ابراهيم الكتانى تحت عنوان : تاريخ

- المغرب العربي في العصر الوسيط ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ / ١٤٠٦) .
 - ١ - مقدمة كتاب العبر ، بيروت ١٩٥٦ م .
 - ٢ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، بيروت بدون تاريخ .
- ٣ - التعريف بابن خلدون ، ورحلته شرقا وغربا ، تحقيق ، محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ١٩٥١ م .
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ، ت ٦٨١ / ١٢٨٢) .
 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، بدون تاريخ .
- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري ، ت ٦٩٦ / ١٢٩٧) .
 - معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، الجزء الاول ، تحقيق ، ابراهيم شيوخ ، تونس ١٩٦٨ ، والأجزاء ٢ ، ٣ ، تونس ١٣٢٠ / ١٩٠٢ .
- ابن حجية (عمر بن الحسن بن علي ، ت ٦٣٣ / ١٢٣٥) .
 - المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق ، مصطفى عوض عبد الكريم ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ابن الدلائى (أحمد بن عمر بن أنس العذري ، ت ٤٧٨ / ١٠٩٤) .
 - ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، نشر عبد العزيز الأهواني جزء من الكتاب تحت عنوان : نصوص عن الاندلس ، مدريد ١٩٦٥ م .
- الحواداري (أبو بكر عبد الله بن أبيك ، ت بعد سنة ٧٣٦ / ١٣٧٦) .
 - كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس ، نشر تحت عنوان : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١ م .
- ابن أبي دينا (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، ت أواخر القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) .
 - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق ، محمد شمام ، تونس ١٩٦٧ م .

- الرقيق (ابراهيم بن القاسم القيرواني ، ت النصف الاول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .

نشر جزء من كتابه تحت عنوان . تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق ، المنجي الكعبي ، تونس ١٩٦٨ م .

- ابن أبي زرع (ابو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، ت النصف الاول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تعليق ، محمد الهاشمي الفيلاي ، الرباط ١٩٣٦ م .

- ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد ، ت ٦٨٥ / ١٢٨٦) .
المغرب في حلى المغرب ، الجزء الاول ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٤ م .

- السلاوي (احمد بن خالد الناصري) .
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الجزء ٣٠١ ، تحقيق ، جعفر الناصري ، ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

- السمعاني .

الأنساب ، ليدن ١٩١٢ .

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١ / ١٥٠٥) .
١ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢ - لب الالباب في تحرير الانساب ، طبعة سنة ١٨٤٠ م .

- ابن شاکر الکتبی .

فوات الوفیات ، الجزء الأول ، القاهرة ١٨٨٢ م .

- ابن الشباط (محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري ، ت ٦٨١ / ١٢٨٢) .

وصف الأندلس وصقلية ، قطعة من كتاب صلة السمت وسمه المرط ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .

- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ، ت ٩٢٨ / ١٥٢٢) .
المسير ، بجنون تاريخ .
- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، ت ٥٩٩ / ١٢٠٣) .
بغية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، مدريد ١٨٨٤ م .
- ابن أبي الضياف (ت ١٢٩١ / ١٨٧٤) .
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ١٩٦٣ م .
- ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ، ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، القاهرة ١٣١٧ م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ / ٩٢٢) .
تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ، بجنون تاريخ .
- ابن ظافر (جمال الدين علي ، ت ٦٢٣ / ١٢٢٦) .
اخبار الدول المنظمة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- ابن العبري (غريغوريوس أبي الفرج هارون ، ت ٦٨٥ / ١٢٨٦ م) .
تاريخ مختصر الدول ، تحقيق ، انطون صلحاني ، بيروت ١٩٥٨ .
- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الحكم بن اعين ، ت ٢٥٧ / ٨٧١) .
فتوح مصر والمغرب ، تحقيق ، عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ م .
- عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ م / ٨٥٣ - ٨٥٤ م) .
مبتدا خلق الدنيا ، نشر ، محمود مكي حزة منه تحت عنوان : باب استفتاح الأندلس ، ضمن مقال بعنوان : مصر والتاريخ العربي الاسباني ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، القسم الاسباني ، عدد ١ ، ٢ ، ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .
- عبيد الله بن صالح .
نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفي بروفنسال ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مجلد ٢ ، ١٩٥٤ م .
- ابن عذاري (محمد بن عذاري المراكشي ، ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الاول ، تحقيق ،
ليفى بروفنسال ، كولان ، ليدن ١٩٤٨ م ، الجزء الثانى ،
تصحيح ، دوزى ، ليدن ١٨٤٩ م ، الجزء الثالث ، نشر ، ليفى
بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ م .

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيروانى ، ت ٣٣٣ / ٩٤٤) .
طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق ، على الشاذلى ، نعيم
حسن اليافى ، تونس ١٩٦٨ م .

- ابن غالب الغرناطى (محمد بن أيوب ، ت القرن السادس الهجرى / الثانى
عشر الميلادى) .

قطعة من كتاب فرحة النفس في تاريخ الأندلس ، نشر ، لطفى
عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، نوفمبر ١٩٥٥ م .
- الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ، ت ٥٠٥ / ١١١١) .

الاقتصاد في الاعتقاد ، تحقيق ، ابراهيم آكاه ، حسين آتاي ،
اسقرة ١٩٦٢ م .

- ابن غلبون (محمد بن خليل الطرابلسى ، ت القرن الثانى عشر الهجرى /
الثامن عشر الميلادى) .

تاريخ طرابلس العرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان
بها من الأخيار ، نشر وتصحيح ، الطاهر أحمد الزاوى ، القاهرة
١٣٤٩ هـ .

- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل ، ت ٧٣٢ / ١٣٣٢) .

١ - المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٠٧ م .

٢ - تقويم البلدان ، باريس ١٨٣٠ م .

- ابن الفرضى (عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، ت ٤٠٣ / ١٠١٢ -
١٠١٣) .

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة
١٩٦٦ م .

- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد) .

مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ م .

- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ / ٨٨٦) .
الامامة والسياسة ، الجزء الثاني ، تحقيق ، طه محمد الزيني ،
القاهرة ١٩٦٧ م .

- القزويني (زكريا بن محمد بن محمد ، ت ٦٨٢ / ١٢٨٣)
آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ م .

- ابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز ، ت ٣٦٧ / ٩٢٧) .
تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق وتعليق ، عبد الله أنيس الطباع ،
بيروت ١٩٥٧ م .

- الفيسراني (أبو الفضل محمد بن طاهر ، ت ٥٠٧ / ١١١٣) .
الأنساب المتفكة ، نشر ، Do Jong ، طبعة ١٨٦٥ م .

- كتاب زهرة المعاني ، الجزء المنشور في ملاحق كتاب Ivanov :
Ismaili-tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Bombay, 1942.

- المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله ، ت نهاية القرن الرابع الهجري /
العاشر الميلادي) .

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، الجزء الاول ،
تحقيق ، حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ م .

- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠ / ١٠٥٨) .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

- مجهول (ت نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .
أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، مدريد ١٨٦٧ م .
- مجهول .

ذيل مشتمل على نص بعض أوراق من تاريخ مبتور الاول والآخر ،
ومجهول الاسم والمؤلف ، وملحق على الجزء الثالث من كتاب البيان
المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، باريس ١٩٣٠ م .

- مجهول (ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) .
مفاخر البربر ، نشره ، ليفي بروفنسال تحت عنوان : فبذ تاريخية
في أخبار البربر في للقرون الوسطى ، الرباط ١٩٣٤ م .

- مجهول (ت القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) .
الاستبصار فى عجائب الامصار ، نشر وتعليق ، سعد زغلول
عبد الحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨ م .
- المراكشى (عبد الواحد بن على التميمى ، ت القرن السابع الهجرى / الثالث
عشر الميلادى) .
المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تصحيح وتعليق ، محمد
العيان ، محمد العربى الطمى ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- المرتضى (احمد بن يحيى) .
طبقات المعتزلة ، تحقيق ، سوسنة ديفلد - فلزر ، بيروت
١٩٦١ م .
- المسعودى (على بن الحسين بن على ، ت ٢٤٦ / ٩٥٧) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الاجزاء ٢ ، ٣ ، تحقيق ، محمد
محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد ، ت ٣٨٨ / ٩٩٨) .
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٩ م .
- المقرئ (احمد بن محمد المقرئ التلمسانى ، ت ١٠٤١ / ١٦٣١) .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الاجزاء ١ ، ٣ ، ٥ ،
تحقيق ، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .
- المقرئ (تقي الدين احمد بن على ، ت ٨٤٥ / ١٤٤١) .
١ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال
الدين الشيبان ، القاهرة ١٩٤٨ م .
٢ - البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب ، تحقيق ،
عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ م .
- المكتبة الصقلية .
نشر ، امارى ، ليبزج ١٨٥٧ م .
- نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى .
نشر ، ليفى برفنسال ، باريس ١٩٤٨ م .

- ابن النديم (محمد بن إسحق ، ت ٣٨٥ / ٩٩٥)
 - الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ م
- الواقسي
 - فتوح إفريقية ، نشر ، التجاني المحمدي ، تونس ١٩٦٦ م
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ، ت ٦٢٦ / ١٢٢٩)
 - معجم البلدان ، الأجزاء ١ - ٨ ، تصحيح ، أمين الخانجي ، القاهرة ١٩٠٦ م
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤ / ٨٩٧)
 - ١ - البلدان ، الطبعة ١٩٥٧ م
 - ٢ - تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٦٠ م
- اليماني (محمد بن محمد)
 - سيرة جعفر الحاجب ، نشر ، ايفانوف تحت عنوان ، مذكرات في حركة المهدي الفاطمي • مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، مجلد ٤ ، الجزء الثاني ، ١٩٣٦ م

(١) المراجع العربية والمترجمة :

ارشيبالد لويس

— القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط
القاهرة ١٩٦٠ م .

اقبال موسى بن علاوة

— دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ، رسيبالة
دكتوراه ، بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس .

أحمد عبد الرزاق :

دراسات في المصادر المملوكية المبكرة ، القاهرة ١٩٧٤ م .

بالنشيا ، جنثالث :

تاريخ الفكر الاندلسي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

البراوى ، واشد :

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ م .

بروفنسال ، ليفي :

— الاسلام في المغرب والاندلس ، القاهرة ١٩٥٦ م .

بروكلمان ، كارل :

١ — تاريخ الأدب العربي ، الجزءان ٢ ، ٣ الطبعة الثالثة ،
القاهرة ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٧٥ م .

- ٢ - تاريخ الشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٧٧ م .

البشبيشى ، محمود :

- الفرق الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٢ م .

بلبع ، عبد الحكيم :

- ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، القاهرة

١٩٦٩ م .

بونار ، رابع بن احمد :

- المغرب العربى ، الجزائر ١٩٦٨ م .

الجابرى ، محمد عابد :

- العصبية والحولة ، الدار البيضاء ١٩٧١ م .

الجيلالى ، عبد الرحمن بن محمد :

- تاريخ الجزائر ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م .

حسن ابراهيم حسن :

- ١ - الفاطميون فى مصر ، القاهرة ١٩٣٢ م .

٢ - عبيد الله المهدي ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٣ - المعز لدين الله ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٤ - تاريخ الحولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف :

- العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، الطبعة الاولى ،

القاهرة .

حسن احمد محمود :

- ١ - الحضارة الاسلامية فى بلاد المغرب والاندلس ، القاهرة

١٩٦٦ م .

٢ - قيلم فولة للمولبطين ، القاهرة ١٩٥٧ م .

حسن الباشا :

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م .

حسن حسنى عبد الوهاب :

- ١ - خلاصة تاريخ تونس ، تونس ١٩٦٨ م .
- ٢ - ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، الجزء الأول .

حسن على حسن عبد العواد :

- دولة الادارسة بالمغرب ، رسالة ماجستير ، بمكتبة جامعة القاهرة .

خالد الصوفى :

- تاريخ العرب في الأندلس ، بنغازى ١٩٧١ م .

دبوز ، محمد على :

- تاريخ المغرب الكبير ، الجزءان ٢ ، ٣ ، القاهرة ١٩٦٣ م .

دوزى

- تاريخ مسلمى إسبانيا ، الجزء الأول ، القاهرة .

رزق الله منقربوس :

- تاريخ دول الاسلام ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٠٧ م .

الزاوى ، الطاهرى احمد :

- تاريخ الفتح العربى في ليبيا ، القاهرة ١٩٦٣ م .

...

سرور ، محمد جمال الدين :

- سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

سعد زغلول عبد الحميد :

- تاريخ المغرب ، القاهرة ١٩٦٥ م .

السيد عبد العزيز سالم :

..... تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٦ م .

الشعراوى ، احمد ابراهيم :

..... الامويون أمراء الاندلس الاول ، القاهرة ١٩٦٩ م .

شعيرة ، محمد عبد الهادى :

..... تاريخ المرابطون وتاريخهم ، الشيلسى ، القاهرة ١٩٦٩ م .

.....

شكرى فيصل :

..... المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجرى ، القاهرة ١٩٥٢ م .

صابر محمد دياب :

..... سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

العبادى ، احمد مختار :

١ - في التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ١٩٧٢ م .

٢ - في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية .

عبد بحدوى :

..... مدع حركة الاسلام في افريقية ، القاهرة ١٩٧٠ م .

على عبد الواحد والى :

..... عبد الرحمن بن مخلون ، القاهرة ، اعلام العرب ، ٤ .

على يحيى معمر

..... الاباضية في موكب التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ م .

عنان ، محمد عبد الله :

..... دولة الاسلام في الاندلس ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢ - ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى ، القاهرة ١٩٣٢ م .

فلهوزن ، يوليوس :

- تاريخ الدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ م .

ماجد ، عبد المنعم :

١ - التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٥ ، والجزء الثانى ، القاهرة ١٩٧١ م .

٢ - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

٣ - نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٤ - تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٥ - مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٥٢ م . . .

٦ - للعصر العباسى الاول ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٣ م .

ماجد والمينا :

- الأطلس التاريخى للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

متز ، آدم :

- الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جزآن ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .

محمد الشاذلى المنيفر :

- تاريخ قفصة ، وعلمائها ، تونس ١٩٧٢ م .

محمد الطالبي :

- تاريخ قفصة ، وعلمائها ، تونس ١٩٧٢ م .

محمد كروى على :

- الاسلام والحضارة العربية ، جزآن ، القاهرة ١٩٦٨ م .

محمد مختار :

- التوفيقات الالهامية ، القاهرة ١٣١١ هـ .

محمود اسماعيل عبد الرازق :

- ١ - سياسة الاغلبية الخارجية ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- ٢ - الحركات السرية في الاسلام ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٣ - قضايا في التاريخ الاسلامي ، بيروت ١٩٧٤ م .
- ٤ - الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٧٦ م .
- ٥ - مغربيات ، فاس ١٩٧٧ م .

مشرفة ، عطية مصطفى :

- نظم الحكم بمصر في عصر الماطميين ، الطبعة الثانية ،
القاهرة .

مؤنس ، حسين :

- ١ - فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٢ - فجر الاندلس ، القاهرة ١٩٥٩ م .

ابن منصور ، عبد الوهاب :

- قبائل المغرب ، الجزء الأول ، الرباط ١٩٦٨ م .

الميلى ، مبارك :

- تاريخ الجزائر ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٦٣ م .

النص ، احسان :

- العصبية القبلية واثرها في الشعر الأموي ، بيروت ١٩٦٤ م .

النصولى ، انيس زكريا :

- الدولة الاموية في قرطبة ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٣٦ م .

يحيى بو عزيز :

- الموحز في تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، الطبعة الاولى
١٩٦٥ م .

(ب) المراجع الأوربية :

— Abun-Nasr, J. :

A History of the Maghreb. London, 1975.

— Bel, A.

La Religion Musulmane en Berbérie. Paris, 1938.

— Bernard, A.

Le Maroc, Paris, 1913.

— Brunschvig, R.

La Tunisie dans le Haut moyen age, Le Caire, 1948.

— Condé, J.A

History of the Dominion of the Arabs in Spain. Trans. by Mrs.

Foster. Vol. 1 London.

— Fournel, H.

Les Berberes, Etude sur Conquete de L'Afrique
Vols. 1, 2, Paris, 1875.

— Gautier, E.F.

Le Passé de l'Afrique du Nord. Les Siècles obscurs du
Maghreb. Paris, 1952.

— Hill, D.

Islamic Architecture in North Africa. London, 1976.

— Hitti, P.K.

History of the Arabs, London, 1943

— Hols, E.

Andalus : Spain under the Muslims, London 1958.

— Holt, P.M.

Egypt and the Fertile Crescent. I.S.A., 1966.

(م ٢٢ - زفانة والخلانة الفاطمية)

- Hopkins, J.F.
Medieval Muslim Government in Barbary until the 6th Century of Hijra. London, 1958.
- Idris, H.R.
Contribution à L'Histoire de L'Afrikia. Tableau de la vie Intellectuelle Administrative A Kairouan sous Les Aglabites et Les Fatimites.
- Ivanov, W.
Ismaili-tradition concerning the Rise of the Fatimids. Bombay, 1942.
- Julien, A.
History of North Africa, trans. by John Peirce. 1970.
- Lane-Poole, S.
1- The Moors in Spain. London, 1887.
2- Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum, Vol. 1, 1879.
3- Catalogue of the Collection of Arabic Coins presented in the Khedivial Library at Cairo. London, 1879.
- Lavoix, M.H.
Catalogue des monnaies Musulmane de la Bibliothèque Nationale, t 2, «L'Espagne et Afrique», Paris, 1891.
- Le Tourneau, R.
La Revolte d'Abou-Yazid aux me siècle, Le Cahier de tunisie 1953, Tunis, 1953.
- Lewis, B.
The Arabs in History. New York, 1967.
- Mamour, P.H.
Polemics on the Origin of the Fatimid Caliphs. London, 1934.
- Marçais, G.
1- Le Berberie Musulmane et L'Orient au Moyen age, Paris, 1946.

2. L'art L'art de l'Islam. Paris, 1946.
 3. L'Architecture Musulmane d'occident :
Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1955.
- Masqueray, E.
Chronique d'Abou-Zakaria. Alger, 1878.
- Mercier, E.
Histoire de L'Afrique Septentrionale depuis le temps. Les plus reculés jusque la Conquête Française, Vol. 1, Paris, 1888.
- O'leary, D.L.
A Short History of the Fatimid khalifate. London, 1923.
- Osborn, R.D.
Islam under the Arabs, London, 1876.
- Provençal, L.
Histoire de l'Espagne Musulmane, Vol. 2 Paris, 1950.
- Read, J.
The Moors in Spain and Portugal. New Jersey, 1974.
- Sauvaget
Introduction to the History of the Muslim East. Los Angeles, 1965.
- Scott, S.P.
History of the Moorish Empire in Europe, Vol. 1. Philadelphia and London, 1904.
- Sha'ban, M.A.
Islamic History A New Interpretation. Cambridge, 1971.
- Terrasse, H.
Histoire du Maroc, Vol. 1, New York, 1975.
- Vatikiotis, P.J.
The Fatimid Theory of State, Lahore, 1957.
- Williams, J.A.
Themes of Islamic Civilization. Los Angeles, London, 1971.
- Wüstenfeld — Mahler'sche : Vergleichungs (tabellen der Mohammedanischen Und Christlichen Zeitrrechnung, Leipzig, 1926.

(١) الدوريات والمجلات العربية :

اسماعيل العربى :-

— غرناطة عاصمة بنى زيرى ، مجلة أوراق ، المعهد
الأسباني العربى للثقافة ، عدد ١ سنة ١٩٧٨ ، مدريد
١٩٧٨ م .

امبرتو رتيقتيانو

— منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، مجلة
كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢٠ ، الجزء الأول ،
القاهرة ١٩٥٦ م .

سعد زغلول عبد الحميد :

— فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة
الشعبية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد
١٦ ، سنة ١٩٦١ م ، الاسكندرية ١٩٦١ .

العبادى ، احمد مختار :

— الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية
الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٢٠ ، سنة ١٩٦٧ م ،
الاسكندرية ١٩٦٧ م .

— سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٥ ، عدد ١ ، ٢ ،
سنة ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .

عبد الهادي التازي :

- نظرية جديدة في تاريخ بناء جامع القرويين ، صحيفة
معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٦ ، عدد ١ ،
٢ ، سنة ١٩٥٨ م ، مدريد ١٩٥٨ م .

محمد بن تاويت التطوانى :

- دولة الرستميين أصحاب تاهرت ، صحيفة معهد
الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٥ ، عدد ١ ، ٢ ،
سنة ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .

- نشأة دولة الخوارج بالمغرب ، مجلة البحث العلمى جامعة
محمد الخامس ، عدد ٤ ، ٥ ، سنة ١٩٦٥ م ، الرباط
١٩٦٥ م .

محمد المنونى :

- نظام الدولة المرينية . مجلة البحث العلمى ، جامعة
محمد الخامس ، عدد ٢ ، مايو / أغسطس ١٩٦٤ م ، الرباط
١٩٦٤ م .

محمود على مكي :

- التشيع في الأندلس الى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة
معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ ، عدد
١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٤ م ، مدريد ١٩٥٤ م .

مؤنس ، حسين :

- ثورات البربر في افريقية والأندلس ، مجلة كلية الآداب ،
جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١٠ ، الجزء الأول ، القاهرة
١٩٤٨ م .

(ب) الدوريات والمجلات الأوربية :

— Cambridge Medieval History, Vol. 2.

— Cherbonneau, M.

Document inédit sur l'hérétique Abou-Yazid Mokhalied Ibn Kaidad de Tademket. Traduits de la chronique d'Ibn Hammad, Journal Asiatique, Tome 20, Paris, 1852.

— Encyclopaedia of Islam, 1st and 2nd Editions.

— Hassan Ibrahim

Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Umayyads in Spain during the 4th century A.H. (10th century A.D.), Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol. 10, Part 2, Cairo, 1948.

— Le Tourneau, R.

North Africa. The Cambridge History of Islam, Vol. 2. Cambridge, 1970.

— Provençal, L.

La Política Africana de 'Abdal-Rahman III. Al-Andalus, Vol. V, 1946.

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥ - ٨
تمهيد	٩ - ٤٢
الفصل الأول: زناتة ، بطونها ومضاربها ومذاهبها	٤٣ - ٩٥
الفصل الثاني : دور زناتة انسياسى قبل قيام الخلافة الفاطمية	٩٧ - ١٥٢
الفصل الثالث : زناتة وقيام "سنة الفاطمية"	١٥٣ - ١٨٦
الفصل الرابع : ثورة زناتة الكبرى على الفاطميين	١٨٧ - ٢٤٨
الفصل الخامس : الصراع بين زناتة وصنهاجة	٢٤٩ - ٢٩٨
الخاتمة	٢٩٩ - ٣٠٦
الملاحق	٣٠٧ - ٣١٦
ثبت المصادر والمراجع	٣١٧ - ٣٤٢

رقم الايداع ٧٨٢٥ / ٨٦

شركة سعيد رافت للطباعة

شارع خالد بن الوليد - أمام فندق السلام

تليفون ٩٥٨٩٩٣٩١